

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لِنُفَاخِرَجَبَيْ طَلَبِ الرِّضَا فِي مُتَرَجَمِهِ

الرِّضَا الْحُسَيْنِي

مَجَلَّةُ فِصْلِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاتِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مُؤَسَّسَتِهِ وَارْتِثَ الْإِذْنُ لِلدَّائِرَاتِ الْخَصَصِيَّةِ فِي النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

العدد الأربعون

السنة العاشرة (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م)

الإصلاح الحسيني

*.....الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

*.....التنسيق العام:

السيد صالح التنكابي

السيد مالك البطاط

السيد حسن محمد رضا الحكيم

*.....إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

*.....معاونية المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ جيلدر الأسدي (قم المقدسة)

*.....التصميم والإخراج الفني:

الشيخ حسين المالكي

السيد صادق الحيدري

عبد الزهرة الطائي

*.....رئيس التحرير:

الدكتور حاتم كاظم موسى البخاتي

*.....مدير التحرير:

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

*.....هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلما

د. الشيخ رغدان المنصوري

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي

*.....التدقيق اللغوي:

عصام بدران العلي

*.....معمد الترجمة الإنجليزية:...

الشيخ حيدر نجم البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

السياسة العامة لمجلة الإصلاح الحسيني

مَجَلَّةُ (الإصلاح الحسيني) مَجَلَّةٌ علمية تختصّ بالنهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة.

تُعنى المَجَلَّةُ بنشر كلّ ما يمتّ بصلة إلى النهضة الحسينية، وآفاقها المتعدّدة، من خلال تسليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلّع المَجَلَّةُ لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في دراسة النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات المقدّمة موافقة لأصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتّبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأساس؛ تستقبل المَجَلَّةُ من الكتاب والباحثين الكرام كلّ بحث له صلة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المَجَلَّةُ المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١ . أن تكون البحوث منسجمة مع اختصاص المَجَلَّةُ، وسياستها العامة، وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢ . يخضع البحث المقدّم للنشر لعملية تقييم علمي من قبل لجنة مختصة من المحكّمين العلميين.

٣ . بعد عملية التقييم العلمي، وتأييد صلاحية البحث للنشر، يخضع البحث للتحريير من قبل هيئة التحرير.

٤ . إطلاع الباحث على قبول نشر بحثه أو عدمه في مدّة أقصاها شهران من تاريخ استلام البحث.

- ٥ . بعد الموافقة على نشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.
- ٦ . لا يحقّ للباحث سحب بحثه بعد تقييمه من قبل المحكمين العلميين، وتأييد صلاحية نشره من قبل رئاسة التحرير.
- ٧ . للمجلة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.
- ٨ . ليست المجلة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.
- ٩ . لا ترى المجلة نفسها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلة، أم لم يُنشر.
- ١٠ . تستقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغات الأخرى غير العربية، وستعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.
- ١١ . قد تعتمد المجلة إلى ترجمة البحوث المنشورة بلغات أخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلة، بعد إعلام الباحث بذلك.
- ١٢ . تحتفظ هيئة التحرير بحقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسجماً مع سياسة المجلة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.
- ١٣ . يخضع ترتيب البحوث المقدّمة للنشر لاعتبارات فنية تقتضي التقديم أو التأخير أحياناً.
- ١٤ . تُراعى في أسبقية النشر الأبحاث المشاركة في المؤتمرات أو الندوات أو الملتقيات الفكرية التي تُقيمها مؤسسة وارث الأنبياء، وذلك بعد تأييد صلاحيتها للنشر من قبل اللجنة المعنية بذلك.
- ١٥ . جميع الأفكار والآراء المطروحة في المجلة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ضوابط النشر في مجلّة الإصلاح الحسيني

- ١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامّة.
- ٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهميّة على الصعيد العلمي.
- ٣ . ألا يكون البحث منشوراً في مجلّة أخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.
- ٤ . أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.
- ٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.
- ٦ . ألا يكون البحث المقدم للنشر مستلاً من كتاب، أو رسالة، أو أطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقع الباحث تعهداً خطياً خاصاً بذلك.
- ٧ . ألا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.
- ٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحليّ بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.
- ٩ . ألا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

دليل المؤلفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (Cope)، من حيث الأسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأي سبب من الأسباب؛ فإن تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

- ١ . على المؤلف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكمة.
- ٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدمات بشكل منطقي متسق.
- ٣ . تجنب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحي إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.
- ٤ . تجنب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانية للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طياته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.
- ٥ . لا ينبغي للمؤلف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلة أو فعالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.

- ٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المراجع، اسم المؤلف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، سنة الطبع)، على أن يكون ترتيب المصادر المثبتة في هامش كل صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).
- ٧ . الاعتماد على المصادر الأولية المعنية بموضوع البحث قدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.
- ٨ . على المؤلف إذا اكتشف وجود خطأ أساسي في بحثه، أن يُشعر إدارة المجلة فوراً بذلك؛ كي تتخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.
- ٩ . عدم التعريض والإساءة إلى الأشخاص أو الباحثين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.
- ١٠ . الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق؛ فلا بدّ للباحث من الالتزام بوضع علامات الاقتباس المتعارفة لكل نصّ مقتبس من مصادر أخرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.
- ١١ . ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكّمين، وفي حال عدم الموافقة على التعديلات المقترحة، يجب عليه تقديم تبرير منطقي بأسباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسباباً مقنعة تحتفظ المجلة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.
- ١٢ . يُكتب عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتُثبت جهات انتساب الباحث (القسم، الكلية، الجامعة أو المؤسسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).
- ١٣ . كتابة ملخص البحث (Abstract) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (Keywords)، وتتراوح كلمات الملخص ما بين (١٥٠-٢٠٠) كلمة،

على أن يضمّ الملخص بيان موضوع البحث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

١٤ . ينبغي تحديد مشكلة البحث وأهمّيته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسيرها في ضوء المنهج العلمي المتّبع.

١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلّفين أو أكثر، فلا بدّ من حصول مقدّم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلّفين المشاركين في إعداده وتأليفه قبل تقديمه؛ فإنّ ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.

١٦ . لو تبّين بعد قبول البحث أنّه غير مستوفٍ لشروط النشر، فسيُطلع الكاتب على ذلك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشتغال البحث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافّة التبعات القانونية.

١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.

١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاصّ بالمجلة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.

١٩ . تُرفع الملاحظات التي يبيدها المحكّم العلمي إلى الباحث؛ بغية إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

دليل المحكمين العلميين

المهمة الأساسية للمحكم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بدقة فائقة، والنظر في منهجيته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتبة على ذلك، وفق آليات محددة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنَّ المحكم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يساهم في مساعدة المؤلف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناء على ذلك؛ ينبغي أن يتمتع المحكم باستعداد كامل لتحمل مسؤولية التحكيم من خلال توفر مواصفات متعددة:

١ . التخصص العلمي: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصص المحكم ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢ . السرية الكاملة: ينبغي للمحكم الالتزام بمعايير السرية المتعلقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سرية المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخص لهم من قبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سرّية؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكم من قبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣ . الموضوعية: على المحكم تحرّي الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلفين على أساس الجنس، أو الأصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

٤ . الأمانة: على المحكّم أن ينأى بنفسه عن استخدام المعلومات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيّمه لمصلحته الشخصية.

٥ . الدقّة الكافية: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحث، والتأكّد من خلوه من الانتحال والسرقة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيّمه وأعمال أخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.

٦ . الاستقرار النفسي: لا بدّ للمحكّم الاجتناب عن التحكيم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.

٧ . التقيد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم.

وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

معايير التحكيم

عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:

١ . تناسب العنوان مع العنوان.

٢ . اشتغال البحث على منهجية عرض مكتملة: (ملخص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).

٣ . تناسب المقدّمة مع المحتوى.

٤ . ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

- ٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.
- ٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.
- ٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.
- ٨ . الالتزام بأصول البحث العلمي.
- ٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.
- ١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.
- ١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.
- ١٢ . تقييم النتائج التي توصل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقتها.
- ١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عام عن مضمون البحث ونتائجه.
- ١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.
- ١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلة.

مراكز النشر

* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدسة.

* العراق/ النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.

* العراق/ كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدسة.

* إيران/ قم المقدسة: شارع معلّم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدسة.

المحتويات

أهلاً بك العبد

زيارات الإمام الحسين عليه السلام تنوع الأبعاد وتعدد الدلالات

رئيس التحرير ١٧

ملف العبد

قرأت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام (٨)

زيارات الإمام الحسين عليه السلام ودورها في إشاعة المفاهيم القيمية . دراسة في ضوء أخلاقيات النهضة الحسينية

د. الشيخ إبراهيم النصيراي ٢٥

زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها في رشد عملية التبليغ الديني وتطويرها . المنبر الحسيني أنموذجاً

د. الشيخ فيصل الكاظمي ٤٩

زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة . دراسة في فضيلتها وآثارها وأحكامها الشرعية

أ.د. الشيخ وفقان خضير محسن الكعبي ٦٩

أثر زيارة الإمام الحسين عليه السلام في تنمية الذات وتكاملها . دراسة في القيم الأخلاقية

الشيخ رائد الستري ١٠٣

غُسل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وإجراؤه عن الموضوع.. آراء وأقوال

السيّد محمد محمود الخطيب ١٣٧

حضور التجربة الدينية لدى زائري العتبات المقدّسة على مستوى الاعتقادات والأفعال.. زيارة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

د. سميرة عبد الرحمن قصباجي ١٦٥

أسباب منع زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة في دوافع المنع من قبل بعض الخلفاء والسلطين على مرّ التاريخ

السيّد علاء تكليف العوادي ١٩١

فضل الحجّ وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في الروايات.. دراسة مقارنة

الشيخ خالد منصور الحنتوشي الركابي ٢١٣

زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتحصيل المغفرة

محسن حيدر الأسدي ٢٤٣

الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية.. القسم الثالث

أ. د. تيري زاركون/ أ. د. مارك قابوريو/ أ. د. نيلي وان دورن – هاردر/
أ. د. روديقر سيسمان/ أ. د. سكوت ريس ٢٧٧

دراسات حسينية

أسباب النهضة الحسينية.. دراسة تحليلية نقدية.. القسم الثاني

السيّد محمد باقر الهاشمي ٣٠٧

افْتَتَحْ خَيْرَ الْعَدَدِ

زيارة الإمام الحسين عليه السلام تنوع الأبعاد وتعدّد الدلالات

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

تنوع الأبعاد وتعدد الدلالات

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على مدار الأعداد السبعة السابقة، وهذا العدد الذي بين يديك - عزيزي القارئ الكريم - كانت لـ (مجلة الإصلاح الحسيني) جولة علمية وفكرية بين محطات شعيرة زيارة الإمام الحسين عليه السلام ومرافئها المتنوعة، من خلال ما جادت به قرائح العلماء والباحثين من أبحاث ومقالات علمية قيّمة، أسفرت عن أنّ هذه الشعيرة المقدّسة غزيرة بالدلالات، وحافلة بالأبعاد على مستوى النصوص الغنية بالإشارات إلى كثير من جوانب المنظومة الدينية، العقدية منها والفقهية والأخلاقية والتاريخية المتعلقة بسيرة الأئمة وأهل البيت عليهم السلام، وفضائلهم وملكاتهم؛ لورود كثير من هذه النصوص على ألسنة المعصومين عليهم السلام.

وعلى مستوى الممارسة كذلك؛ إذ رسموا عليهم السلام بعض معالمها حين اختطّوا ببياناتهم الشريفة طرقاً يتبعها الزائر وهو متوجّه في طريقه إلى تلك الحضرة القدسية المشرفة، من خروجه من بيته وحتى وصوله إلى البقاع المشرفة، فيجد هناك تعاليم تُرشده نحو بعض الآداب الخاصّة، من قبيل: التطهّر والاعتسال، والمشي بسكينة ووقار مع الذكر والتسبيح والاستغفار، وكيفية الدخول بطلب الإذن بالتشرّف بالمكان، مع بيان مواطن الوقوف والحركات، وتقبيل الضريح؛ مكملين بذلك جرعة الفيض الإلهي والعطاء الربّاني لهذه الرحلة الروحية العميقة، التي انفرد بها - بحمد الله ومنّه - أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

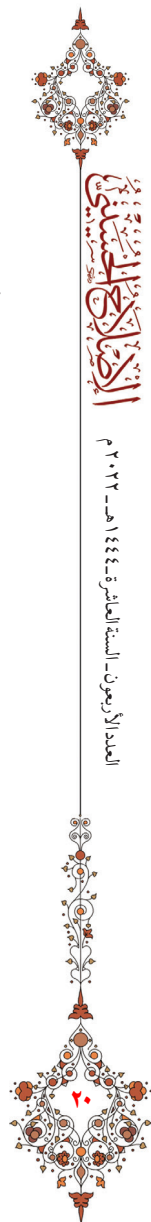
فكانت مقالات وأبحاث الأعداد الثمانية لـ (مجلة الإصلاح الحسيني) التي احتضنت ملف: (قراءات في زيارات الإمام الحسين عليه السلام) حصيلة غنية بهذه الأبعاد المتعددة والدلالات المتنوعة، فتطالعنا نصوصها ومتونها بجواهر نفيسة، ولآلى ثمينة؛ ففي المجال العقدي تناولت بعض الدراسات والمقالات - في مجلّتنا - مسألة التوحيد بوصفها مسألة مفصلية وركناً ركيناً في البناء المعرفي الإسلامي، سيّما إذا أبرزت في شعيرة زيارة الأضرحة المقدّسة، ومنها ضريح الإمام الحسين عليه السلام؛ لما قد يُثار حولها من غبار من قبل بعض الاتجاهات الإسلامية بغير وجه حقّ.

كما كانت قضية الولاء لأهل البيت عليه السلام، والارتباط الوثيق بهم، والتعبير عن الحبّ والوفاء لهم، والتأكيد على أهميّة الاقتداء بهم، والتبرّي من أعدائهم، حاضرة في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، فجاء التأكيد عليها؛ لأهمّيتها في تصحيح مسار المؤمنين في حركتهم نحو غاياتهم المرجوة. وغير ذلك من المطالب العقديّة التي جاءت في طيّات الأبحاث والدراسات التي حملتها أعداد المجلة.

وقد كان لما حوته نصوص الزيارة من الإشارة إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام وتاريخه وفضائله، وعوامل نهضته، والأسباب المؤدّية إلى قيامه بتلك الثورة المعطاء، مساحة لافتة في عدد من الأبحاث والمقالات التي تطرّقت إليها بالبحث والتحليل بموضوعية وإتقان.

وفي جانب مهمّ آخر؛ كان للقيم الأخلاقية والسلوكية مكانها في نصوص زيارات الإمام عليه السلام، مع حصول الزائر على الثواب الجزيل والعطاء الوفير من الأجر والمغفرة، فينقلب في نهاية هذه الشعيرة مسروراً قد غنم الكثير من الغنائم والأعطيات الدنيوية والأخروية، وكذلك يحصل على العديد من الآثار المادّية والمعنوية التي ستترك أثرها الواضح على مجمل حياته اليومية، وسلوكه وتعامله مع المجتمع.

هذا؛ وقد كشفت أبحاث المجلة عن أنّ نصوص الزيارة غنية بجوانب كثيرة لم تقتصر على الجانب الديني والفكري حسب، بل تضمّ - كما بيّنا - جوانب تاريخية،



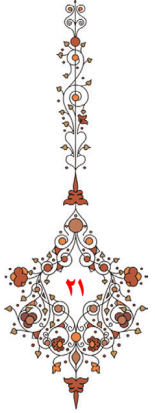
يمكن جعلها وثائق تاريخية مهمة تؤرّخ لأحداث النهضة الحسينية، وما جرى فيها،
وثُلقي الضوء على بعض الأمور التي ربّما أغفلتها المصادر التاريخية.

بالإضافة إلى أنّ كثيراً من هذه النصوص قد صدرت عن الأئمة عليهم السلام؛ فلذا
صارت مادة دسمة لعدد من الأبحاث والدراسات الأدبية واللغوية، فحملت بعض
الأعداد قسماً من هذه الموضوعات المهمة في هذا الجانب.

ولم تغفل بعض الأبحاث والدراسات التشديد على أنّ كثيراً من فقرات الزيارات
الحسينية تغرس في نفوس الزائرين قيم الجهاد والنهوض ضدّ الظلم، وإحقاق الحقّ،
والشهادة والتضحية من أجل القيم السامية.

وإذا ما التفتنا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها ممارسة عبادية عملية يتنقل
الزائر بين فقراتها المختلفة تاركة عليه آثارها المتنوّعة، فتبرز لدينا هنا أبعادها الكثيرة
التي أشارت إليها بعض المقالات والدراسات في مجلّتنا، ومنها البُعد الروحي
والنفسي؛ فالزيارة وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى يعيش الزائر في رحابها
حالة من التذلّل والخشوع أمام الله تعالى، وهو يتأمّل في تضحيات الإمام الحسين عليه السلام
وأهداف نهضته، والتقرب إلى الله سبحانه من خلال الزيارة إلى قبر أحبّ خلقه إليه،
وعندما يتواصل الزائر مع الإمام الحسين عليه السلام روحياً، فهو يستمدّ منه القوّة والعزيمة،
ويستشفع به عند الله، وعندما يسكب دموعه وهو يستذكر مظلوميّته ومظلومية أهل
بيته وأصحابه، فهو يُعبّر عن حبه وإخلاصه للإمام عليه السلام، فتسمو نفسه، ويظهر
وجدانه، ويفرغ ما في ضميره من عاطفة تجاه مظلومي العالم، ويشاركهم آلامهم
وآمالهم في الخلاص من الظلم، والتنعم بالعدالة والحرية، وغير ذلك من الدلالات
الروحية والنفسية العميقة.

وفي الجانب التربوي تُعدّ الزيارة مدرسة تربوية عظيمة، تزرع في نفوس الزوّار
القيم الأخلاقية السامية، مثل: الصبر، والشجاعة، والتضحية، والإيثار، وتُسهم في
تعزيز روح التضامن والإخاء بين المؤمنين.



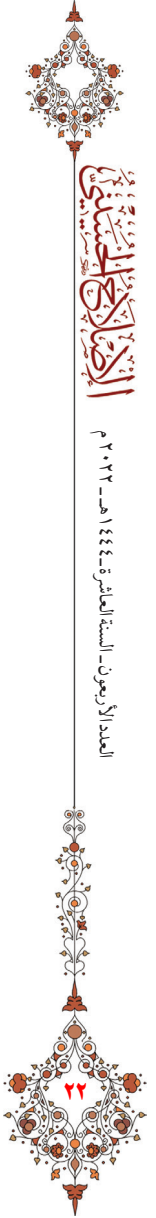
والزيارة في بُعدها الاجتماعي مناسبة لتجمّع الناس وتلاحمهم من مختلف الأطياف والمجتمعات، ومن مختلف الطوائف والمذاهب؛ لتعزيز روح الوحدة والتآخي بينهم، في نموذج فريد من الوحدة الاجتماعية؛ لتقوية أواصر الأخوة والتعاون بين الزائرين في مشهد يجدد البيعة للإمام الحسين عليه السلام ومناصرته في قضيتته العادلة، ومساعدة الفقراء والمعوزين، وإشاعة روح التكافل بين المؤمنين، والتفاني والإخلاص في العمل الطوعي خدمةً للزائرين.

وأما البُعد السياسي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فالزيارة تذكّر بالواجب الديني والأخلاقي في الدفاع عن الحق والعدل، ومقاومة الظلم والطغيان، والتأكيد على الهوية الدينية والوطنية لدى الزوّار، والتضامن مع جميع المظلومين في العالم. وتمثّل معلماً من معالم الصمود والثبات على المبادئ أمام الظلم والاستبداد، وتُعيد إلى الأذهان ذكرى النهضة الحسينية كرمز للمطالبة بالعدالة والحرية، والحثّ على مواصلة النهج الثوري مهما كانت الصعاب وغلت التضحيات، واقتلاع جذور اليأس والإحباط والانهازمية من نفوس المؤمنين.

فهذه أبعاد يمكن أن تُستكشف من الزيارة، وغيرها من الأبعاد والدلالات المتشابهة لهذه الشعيرة المقدّسة، لقد أفضت لنا عملية البحث في جوانب هذه الشعيرة وعلى مدار ثمانية أعداد من المجلّة أنّ التراث الحسيني - ومنه الزيارة - هو تراث ثرّ وغني؛ إذ لم تُشكّل هذه الأبحاث المتعدّدة إلّا ومضة من نور هذه الممارسة العبادية.

هذا؛ ونتقدّم بوافر الشكر والامتنان للعلماء والباحثين والكتّاب... وآخر دعوانا

أن الحمد لله ربّ العالمين.



مَلَفُ الْعَدَدِ

قَرَأَتْ فِي زِيَارَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (ع)

- ◆ زيارات الإمام الحسين (ع) ودورها في إشاعة المفاهيم القيّمية.. دراسة في ضوء أخلاقيات النهضة الحسينية
- ◆ زيارة الإمام الحسين (ع) وأثرها في رشد عملية التبليغ الديني وتطويرها.. المنبر الحسيني أنموذجاً
- ◆ زيارة الإمام الحسين (ع) يوم عرفة.. دراسة في فضيلتها وآثارها وأحكامها الشرعية
- ◆ أثر زيارة الإمام الحسين (ع) في تنمية الذات وتكاملها.. دراسة في القيم الأخلاقية
- ◆ غُسل زيارة الإمام الحسين (ع) وإجراؤه عن الوضوء.. آراء وأقوال
- ◆ حضور التجربة الدينية لدى زائري العتبات المقدّسة على مستوى الاعتقادات والأفعال.. زيارة الإمام الحسين (ع) أنموذجاً
- ◆ أسباب منع زيارة الإمام الحسين (ع).. دراسة في دوافع المنع من قبل بعض الخلفاء والسلاطين على مرّ التاريخ
- ◆ فضل الحجّ وزيارة الإمام الحسين (ع) في الروايات.. دراسة مقارنة
- ◆ زيارة الإمام الحسين (ع) وتحصيل المغفرة
- ◆ الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية.. القسم الثالث

زيارات الإمام الحسين عليه السلام ودورها في إشاعة المفاهيم القيمية
دراسة في ضوء أخلاقيات النهضة الحسينية

د. الشيخ إبراهيم النصيراي
أستاذ في الحوزة العلمية وخطيب حسيني، النجف الأشرف

**The Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH)
and Their Role in Spreading Moral Concepts
– A Study in Light of the Ethics
of the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)**

Dr. Shaykh Ibrahim al-Nusayrawi
Lecturer at the Islamic Seminary
and Husayni speaker, Holy Najaf

ملخص البحث

تدور فكرة البحث في هذا المقال حول بيان مدى مساهمة زيارات المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام في إنماء البعد الأخلاقي لدى الزائر، من خلال ترسيخ جملة من المفاهيم القيمة في سلوكه، انطلاقاً من كون هذه الشعيرة المهمة هي امتداد للنهضة المعطاء التي قام بها أبطال واقعة الطف الخالدة بقيادة سيّد الشهداء عليه السلام، التي تُعدّ الوجه الحقيقي والصادق للرسالة المحمدية ذات العطاء الإلهي على جميع المستويات.

سار البحث على وفق المنهج التحليلي الذي يعتمد على عرض الفكرة في كلّ مفصل من مفاصله، ومن ثمّ تقديم المستند لها من نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وتحليل النصّ في موارد الحاجة إلى ذلك، مع التدليل - أيضاً - في بعض جوانب البحث بالآيات القرآنية أو الروايات الشريفة.

هذا؛ وقد توّصل البحث إلى جملة من النتائج المهمة التي منها: إنّ زيارات الإمام عليه السلام لها عدّة أبعاد على مستوى المعرفة، أو العقيدة، أو السياسة، أو العاطفة والأخلاق. ومنها أيضاً: إنّ الدور الذي تقدّمه الزيارات في تعزيز البعد الأخلاقي لدى الزائر كان نتيجة ما حملته النهضة الحسينية من منهج أخلاقي متكامل يتطابق تماماً مع منهج بيت النبوة. وغير ذلك من النتائج.

الكلمات المفتاحية: زيارة الإمام الحسين عليه السلام، الأخلاق، المفاهيم القيمة، الزائر، المعصومون عليه السلام، النهضة الحسينية.

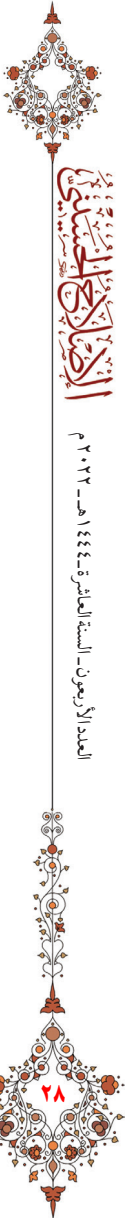
Abstract

This study aims to portray the extent of the contribution the Ziyaras (visitations) of Master Abu Abdillah al-Husayn (PBUH) offer in developing the ethical dimension of the visitor. The Ziyaras establish several moral concepts in the visitor's behavior, as these important rites represent an extension of the generous uprising led by the heroes of the everlasting event of al-Taff. An uprising led by the Master of the Martyrs (PBUH), which is considered the true and faithful depiction of the prophetic Muhammadi message, the source of divine generosity on all levels.

This study follows an analytical methodology that relies on presenting the idea in detail, then providing references from the visitation-texts related to Imam al-Husayn (PBUH) and analyzing any of these texts when needed with evidence from the Quranic verses or noble narrations.

This research reaches a number of important results, such as, that the Ziyaras of the Imam (PBUH) have multiple dimensions in terms of knowledge, beliefs, politics, emotions, and ethics. The role of these Ziyaras in supporting the ethical dimension of the visitor is the result of the complete ethical approach the Husayni uprising carried, which entirely matches the approach of the Prophet (PBUH&HF). Other results were also reached.

Keywords: Ziyara (visit) of Imam al-Husayn (PBUH), ethics, moral concepts, visitor, the Infallibles (PBUT), the uprising of Imam al-Husayn (PBUH).



المقدمة

يُشكّل الإمام الحسين عليه السلام مفهوماً عظيماً مهماً ليس من السهولة الإحاطة بكل جوانبه؛ لأنّ الشخصية التي تجمع بين أجواء عالم الغيب وعالم الشهادة يصعب فهمها فهماً دقيقاً في بادئ الأمر، بل الموضوع يحتاج إلى درجة عالية من التأمل والدقة والبحث حتّى يتسنى لنا أخذ الصورة التي نبحت عنها في حياة هؤلاء الخالدين.

ونظراً للأهمية الكبرى التي حظي بها الإمام عليه السلام ورد الحثّ على الارتباط به قرآنياً وروائياً، تارةً بصفته واحداً من المعصومين عليه السلام، وأخرى بصفته منفرداً. فعلى الأولى نجد أنّ الله تعالى قال في محكم كتابه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، فقد روي عن ابن عباس أنّه قال: «لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ...﴾ الآية، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وولدهما»^(٢). والمودّة عبارة عن التفاعل والارتباط الوثيق بهذه الأسماء، اللامعة ومنهم الإمام الحسين عليه السلام. قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في هذا الصدد: «إنّ إيجاب مودّتهم وجعلها أجراً للرسالة إنّما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية، فالمودّة المفروضة على كونها أجراً للرسالة لم تكن أمراً وراء الدعوة الدينية من حيث بقائها ودوامها»^(٣).

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤)، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قوله

(١) الشورى: الآية ٢٣.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٤٨.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٤٦-٤٧.

(٤) النساء: الآية ٥٩.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر؟ قال [عليه السلام]: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر...»^(١).

وهذه الآية تُشير إلى الإطاعة المطلقة للرسول وأهل بيته [عليهم السلام]، وهي لا تحصل إلا من خلال التفاعل والاندماج والتعرّف على هذه الشخصيات التي أمرنا الله تعالى بالأطاعة، ولا نبتعد عنها. فهم المعصومون بدلالة هذه الآية الذين لا يعصون الله أبداً، قال العلامة الطباطبائي [عليه السلام]: «ولا ينبغي أن يرتاب في أنّ هذه الإطاعة المأمور بها في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إطاعة مطلقة غير مشروطة بشرط ولا مقيدة بقيد، وهو الدليل على أنّ الرسول لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء يُخالف حكم الله في الواقعة، وإلا كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى وتقدس، ولا يتم ذلك إلا بعصمة فيه [عليه السلام]. وهذا الكلام بعينه جارٍ في أولي الأمر»^(٢).

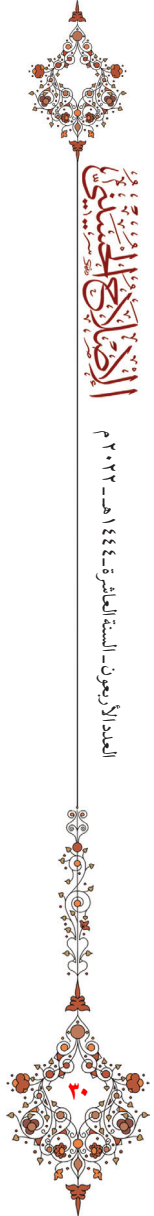
أمّا الأحاديث التي حثّت على ضرورة الارتباط بالإمام الحسين [عليه السلام] بصفته منفرداً، فنذكر منها على سبيل المثال الحديث المروي عن الرسول الأعظم [عليه السلام]، الذي قال فيه: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٣). ومنها أيضاً ما نُسب للنبي [عليه السلام] أنّه قال: «مكتوب عن يمين العرش: إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»^(٤). يُضاف إلى ذلك الأحاديث الكثيرة التي أصرّت على ضرورة زيارة قبره الشريف، والتي سوف يأتي ذكر بعض منها لاحقاً. ونتيجة لما تقدّم؛ فقد ورد الحثّ على الزيارات لكلّ المعصومين [عليهم السلام] وللإمام

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٣٨٩.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦.

(٤) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٥٢.



الحسين عليه السلام بالخصوص، ونجد - مثلاً - الحث على زيارة النبي صلى الله عليه وآله في عدد من النصوص، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَاذْهَبُوا إِلَيَّ بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنِي». وقال عليه السلام: «مَنْ أَتَانِي زَائِراً كُنْتُ شَفِيعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وكذلك ورد الحث على زيارة الإمام علي عليه السلام، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَارِفاً بِحَقِّهِ غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ وَلَا مُتَكَبِّرٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ مِثَّةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَهُوَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْمَلَائِكَةُ...»^(٢).

وهكذا باقي المعصومين عليهم السلام، فمشاهدتهم المشرفة لها مكانة خاصة في نفوس المسلمين، ولها حرمة وقديسية؛ لذا نجد تفاعل الزائرين فيها بالدعاء والأذكار وتلاوة نصّ الزيارة والصلاة، وكلّ هذه الأفعال تُعمّق العلاقة والصلة معهم عليهم السلام.

وزيارات الإمام الحسين عليه السلام قد بلغت حدّاً من الكثرة والتأكيد عليها؛ لخصوصية أرادها الله تعالى في الارتباط المميّز مع الإمام عليه السلام، زيارات وردت بتعابير منوّعة وفي مناسبات مختلفة، وقد اشتملت هذه الزيارات بعمومها على عدّة أبعاد، سواء على مستوى المعرفة، أم العقيدة، أم السياسة، أم العاطفة، أم الأخلاق.

هذا؛ وقد ارتأينا في هذا المقال عرض جملة من المفاهيم القيمية الأخلاقية المفادة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، التي كان منبعها الأساس ما اشتملت عليه نهضة الطفّ الخالدة من دروس أخلاقية جسّدت شخصيّة قائد هذه النهضة الإمام الحسين عليه السلام.

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، المقنعة: ص ٤٥٧.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٢٥٧.

ومن هنا؛ سيكون بحثنا في هذا المقال موزعاً على محورين رئيسين:

المحور الأول: زيارات الإمام الحسين عليه السلام.. الأهداف، الآثار، الأبعاد

النقطة الأولى: أهداف زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الهدفية هي الأساس في فعالية ونشاط كل عاقل، وكل الذين يريدون أن تكون لهم حياة طيبة مميزة لا بد أن يختاروا لأنفسهم الأهداف المنشودة الصحيحة في كل خطوة يخطونها، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام - مثلاً - ممارسة رائعة وشعيرة مهمة لها أهداف كثيرة يحققها الزائر، نذكر بعضاً منها:

١. تكريم شخصية المزور

إن من أهداف الزيارة هو تكريم الأشخاص الذين نزورهم، وإبراز لمحبتهم - أي: مودّتهم - فالقرآن الكريم نصّ على مودّتهم في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾^(١)، وقد أكّدت النصوص الروائية أن المراد بالقربى في الآية هم قريبي رسول الله ﷺ، ومن هذه النصوص ما روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسيره للآية أعلاه أنه قال: «هم الأئمة عليهم السلام»^(٢).

ومنها أيضاً ما عن إسماعيل بن عبد الخالق - في رواية تقتصر فيها على محلّ الشاهد - قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول: «... ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾»، قلت: جعلت فداك، إنهم يقولون: إنهم لأقارب رسول الله ﷺ. فقال: كذبوا، إننا نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء»^(٣).

(١) الشورى: الآية ٢٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤١٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٨، ص ٩٣.

هذا؛ وأنّ المودّة غير المحبّة، فهي إبراز للمحبّة وإظهار لها عبر الفعاليات الإحساسية، ومنها البكاء عليهم، وإقامة المجالس، وزيارتهم، والكتابة عنهم، وقول الشعر فيهم، وغير ذلك، وكلّ هذه الأمور هي إظهار لمحبتهم ﷺ.

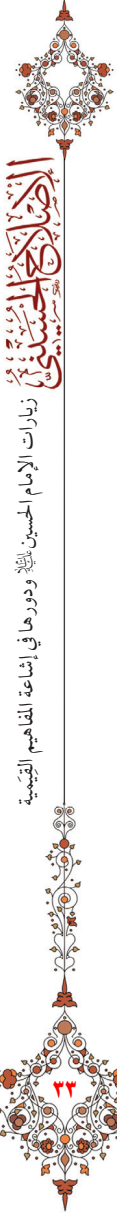
٢. إبقاء الصلة وديمومتها

من أهداف الزيارة إبقاء الصلة حيّة وناضجة بين الإنسان والإسلام الحي، حتّى لا يتحوّل الإسلام في الذهن إلى مجرد ممارسات طقسية فقط، فمن خلال الزيارة تبقى النماذج الصافية الطاهرة التي طبّقت الإسلام حيّة في ذهن المسلم، وتبقى الصلة قائمة معهم، فالمعصومون ﷺ هم حجج الله تعالى على العباد، فلا بدّ أن يكون منهجهم وأشخاصهم وشخصيّاتهم ماثلة أمامنا. وأبرز ما يقوم هذه الصلة والعلاقة هو التواصل، وبما أنّ زيارة الإمام الحسين ﷺ أخذت صدىً كبيراً وزخماً لا نظير له، بقي الإمام ﷺ ونهجه ومدرسته ونهضته مناراً لنا في حياتنا الفكرية والعقدية والأخلاقية. وهذا المعنى يتجلّى بوضوح في نصوص زيارات الأئمة ﷺ، ومن ذلك ما يردّه الزائر في إحدى الزيارات الجامعة: «بأبي أنتم وأُمّي ونفسي، بموالاكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة»^(١).

٣. فهم شخصية المزور وجهوده ودوره

من خلال الزيارة نفهم شخصية المزور وجهوده ودوره، والمبادئ التي استشهد من أجلها. كما تؤكّد الزيارة العهد الذي يُنشئه الزائر مع مزوره وسائر أئمة أهل البيت ﷺ على أن يبقى أميناً على خطّهم وطريقتهم وسنتهم ونهجهم وأخلاقهم، ففي زيارة للإمام الحسين ﷺ المروية عن الإمام الصادق ﷺ جاء فيها: «قلبي لكم مسلّم، وأمرّي لكم متّبع، ونصرتي لك معدّة، حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين لدينه

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٧٩٠.



وبيعثكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم»^(١). وهذه العبارات هي إعطاء عهد من قبل الزائر للإمام عليه السلام بالسير على دربه، واتخاذة قدوة ومثلاً أعلى.

النقطة الثانية: آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام

في زيارة الإمام الحسين عليه السلام تتجلى آثار كثيرة يمكننا الإشارة إلى أثرين منها: دنيوي، وأخروي:

الأول: الأثر الدنيوي

يتجسّد هذا الأثر بزيادة الرزق والعمر كما ورد في بعض النصوص، منها: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء. وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»^(٢).

ومنها أيضاً: ما عن عبد الملك الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا عبد الملك، لا تدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ومُر أصحابك بذلك؛ يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، ويحييك الله سعيداً، ولا تموت إلّا سعيداً، ويكتبك سعيداً»^(٣).

الأثر الآخر: الجزاء الأخروي

عبّرت النصوص عن الجزاء الأخروي لزائر قبور المعصومين عليهم السلام بعدّة تعابير، منها ما ورد في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فعن زرارة بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال عليه السلام: «يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك»^(٤).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٤٢-٢٤٣.



إضافة لغفران ذنوب الزائر، فعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عجباً لأقوام يزعمون أنهم شيعة لنا ويقال: إن أحدهم يمرُّ به دهره ولا يأتي قبر الحسين عليه السلام؛ جَفَاءً منه وتهاوناً وعَجْزاً وكَسَلاً! أما والله، لو يعلم ما فيه من الفضل ما تهاون ولا كسل. قلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وما فيه من الفضل؟ قال: فضل وخير كثير، أما أول ما يُصِيبُه أن يغفر له ما مضى من ذنوبه، ويقال له: استأنفِ العمل»^(١).

وعندما نتصقح النصوص نجد العجب في مكانة زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فإضافة لما تقدّم من الثواب الجزيل نقرأ أيضاً الأجر والثواب الخاصّ المميّز، فعن عبد الله بن ميمون، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين بن علي عليه السلام زائراً عارفاً بحقّه، غير مُسْتَكْبِفٍ ولا مُسْتَكْبَرٍ؟ قال عليه السلام: «يُكْتَبُ له أَلْفُ حَجَّةٍ مقبولة، وأَلْفُ عُمْرَةٍ مبرورة، وإن كان شَقِيّاً كُتِبَ سعيداً، لم يزل يخوض في رحمة الله [عز وجل]»^(٢).

وخاتمة هذه الآثار الأخروية، فإنّ أهل البيت عليهم السلام يعدّون زائر المولى أبي عبد الله عليه السلام بأن يكون مسكنه الجنّة، فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، أو أبا جعفر عليه السلام يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مسكنه الجنّة، ومأواه الجنّة، فلا يدع زيارة المظلوم. قلت: مَنْ هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء، مَنْ أتاه شوقاً إليه وحبّاً لرسول الله وحبّاً لفاطمة وحبّاً لأُمير المؤمنين [صلوات الله عليهم أجمعين]، أقعده الله على موائد الجنّة يأكل معهم والناس في الحساب»^(٣).

النقطة الثالثة: أبعاد زيارة الإمام الحسين عليه السلام

هناك عدّة أبعاد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، نستفيدها ممّا ورد على لسان المعصومين عليهم السلام، أهمّها:

(١) المصدر السابق: ص ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦١.

أولاً: البعد المعرفي

يتعرّف الزائر من خلال قراءة نصوص الزيارة على خصوصيّات الإمام عليه السلام ومقامه وصفاته، وأنّه - مثلاً - وارث الأنبياء عليهم السلام، والنور الذي كان في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهّرة... فقد ورد في زيارته عليه السلام: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام... أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهّرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدهّمات ثيابها»^(١).

وعندما نتصفّح الروايات الواردة في زيارات الأولياء عليهم السلام نجد الحثّ على الجانب المعرفي؛ لتكون المعرفة متزامنة مع الزيارة، ففي خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كَمَنْ حجّ ثلاث حجج مع رسول الله ﷺ»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٣).

وعنه عليه السلام كذلك: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتبه الله في عليّين»^(٤). وروايات أخرى كثيرة، نستفيد منها أنّ هذا الحثّ على المعرفة هو بسبب ما تستبطنه الزيارة من فوائد مهمّة تكون لنا رابطاً قوياً مع المعصوم عليه السلام.

هذا؛ وأنّ المعرفة لها صور متعدّدة، هي:

- (١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٣٠.
- (٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٧.
- (٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢.
- (٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٠.



١. المعرفة السطحية: التي لم يدخل الإنسان في عمقها، وإنما لديه فكرة أولية يطبقها دون أن يتفاعل معها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١)، فهي تُشير إلى الإقرار بالتوحيد في الباطن، والشرك في الظاهر، والسير خلف الأصنام.

٢. المعرفة الإجمالية: هناك مَنْ يعرف أنّ هذا الشيء علةٌ وذاك معلول، من دون الدخول في التفاصيل.

٣. المعرفة الدقيقة: وهي المعرفة التي توقفنا بدقّة على المراد الذي نبحت عنه، ففي مجال المعرفة الدينية تدلّنا على جمال الله تعالى، الذي يتجلّى من خلال معرفة أسمائه وصفاته. وكذا الحال فيما إذا أردنا معرفة النبي ﷺ وسائر الأولياء الصالحين عليه السلام؛ فإنّ الطريق إلى ذلك هو الوقوف على صفاتهم ومميّزاتهم؛ ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم دائماً يذكر النبي ﷺ بصفة من صفاته كقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(٤).

ويُوصف الإمام علي عليه السلام بأنّه النّبأ العظيم، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين. والزهراء عليه السلام لها صفات عديدة، والمعصومون عليه السلام - بصورة عامّة - لهم صفات كثيرة.

ومن هنا؛ جاءت نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام في مقام ترسيخ هذه التربية المعرفية لدى الزائر، فهي تجعل لسان الزائر يلهج دوماً بصفات الإمام عليه السلام، موصلاً هذا الذكر بإقراره أنّ زيارته كانت عن معرفة بحق الإمام عليه السلام والبصيرة بالهدى الذي هو عليه السلام، ومن هذا القبيل ما نقرأه في زيارة ليالي القدر: «السلام عليك يا بن رسول

(١) العنكبوت: الآية ٦١

(٢) الإسراء: الآية ١.

(٣) الأحزاب: الآيتان ٤٥-٤٦.

الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة فاطمة سيّدة نساء العالمين، السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته. أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حقّ تلاوته، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه محتسباً حتّى أتاك اليقين... أتيتك يا مولاي يا بن رسول الله، زائراً عارفاً بحقّك، مولياً لأوليائك معادياً لأعدائك، مستبصراً بالهدى الذي أنت عليه، عارفاً بضلالة من خالفك، فاشفع لي عند ربّك»^(١).

ثانياً: البعد العقدي

نلمس البعد العقدي من خلال مجيء الزائر ووقوفه معترفاً بقوله: «أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام الطاهرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك المدلّهات من ثيابها. وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المسلمين، ومעقل المؤمنين. وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي»^(٢). والمقصود بهذه الشهادة التزام فكري عقائدي ديني، وأيضاً إعادة عهد التوّلي والتبرّي، كما ورد في مضامين زيارات عديدة عبارة: «فمعكم معكم لا مع عدوّكم»^(٣)، وكذلك عبارة: «وقلبي لقلبيكم سلم، وأمرني لأمركم متّبع»^(٤).

فالزائر الذي يقطع المسافات البعيدة يضع في ذهنه الحسابات العقائدية، وأنّه يتوجّه لزيارة إمام معصوم افترض الله طاعته على العباد، ويردّد ما ورد على لسان المعصومين عليهم السلام: «وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا»^(٥)، فهي شهادة اعتقاد وإذعان وإقرار واعتراف.

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٥١.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتّهجد: ص ٧٨٩.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٣٨٨.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتّهجد: ص ٧٢١.

(٥) المصدر السابق: ص ٧٢١.

ثالثاً: البعد السياسي

إنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام قد يصاحبها عنوان التحديّ، كما حدث ذلك في عدّة فترات على طول التاريخ؛ ومن هذا المنطلق كان حثّ الأئمة عليهم السلام على مواصلتها أحد أغراضه مواجهة الاستبداد الذي يريد أن يحول بين خطّ المعصومين عليهم السلام والناس، فالزائر يكون في تحدٍّ صريح لأجهزة السلطة القمعية عندما يردّد هذه العبارة التي وردت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام المروية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام التي علّمها لعلقمة، وهي: «فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي ربّكم الله فيها، ولعن الله أمة قتلتكم، ولعن الله الممّهدين لهم بالتمكين من قتالكم. يا أبا عبد الله، إنّني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة»^(١).

وبسبب هذا التحدي الصريح تنبّهت بعض أجهزة السلطات إلى خطورة توافد الزائرين - وخصوصاً لكربلاء - فعملت على قمعهم بأساليب متعدّدة، ومنعهم من مواصلة الهدف.

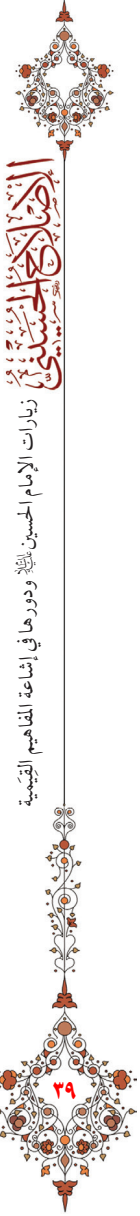
رابعاً: البعد العاطفي والأخلاقي

تمنح الزيارة بشكلها المعهود رصيماً عاطفياً كبيراً يربطنا بالمبادئ العظيمة لأهل البيت عليهم السلام، فعندما نردّد: «لقد عظمت الرزية، وجلّت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض»^(٢)، نستشعر الجانب العاطفي والميل الروحي إلى الجانب الفكري؛ فتترسّخ الفكرة في القلوب، وتنعكس هذه العبارات على أخلاق الزائر، فيتحوّل إلى إنسان يقتدي بمن هم القدوة.

والمحور التالي سيسلّط الضوء على الدروس الأخلاقية التي يستلهمها زائر

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢١.



الإمام الحسين عليه السلام من نهضة عاشوراء الخالدة؛ لتنعكس في نهاية المطاف على سلوكه ومواقفه تجاه الآخرين.

المحور الثاني: دور زيارات الإمام الحسين عليه السلام في إشاعة المفاهيم القيمية

من أشرف العلوم علم الأخلاق، وأن قيمة المرء في الحقيقة تُقدّر بنيّاته الحسنة وما يأتي به من فضائل أخلاقية، ففي الحديث النبوي الشريف: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم»^(١). وقال الإمام علي عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»^(٢).

كما واهتمّت الدراسات الإنسانية والاجتماعية والتربوية بدراسة الأخلاق في الطبيعة الإنسانية على طول مسيرة التاريخ، وعلى مرّ العصور إلى وقتنا الحاضر؛ لأنّ الأخلاق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالممارسات السلوكية والعملية للإنسان. والأديان السماوية والمذاهب الفكرية الفلسفية كذلك اهتمّت بدراستها، وتعدّدت حولها الآراء، واختلفت مناهج البحث فيها، من حيث تنوع طرق وأساليب عرضها، والوسائل المتبعة فيها.

وبذل العلماء والباحثون في شؤون التربية والقيم الدينية والأخلاقية جهوداً كبيرة متواصلة للتوصّل إلى معالجة جلّ المشاكل الاجتماعية؛ وذلك من أجل بناء الإنسان والمجتمع على أسس صالحة سليمة.

وفي واقعنا الإسلامي، وانطلاقاً من الكتاب والسنة، نجد أنّ القيم الأخلاقية والمفاهيم التربوية تُعتبر من أهمّ ما ورد في تعاليم الدين؛ حتّى ورد أنّ الأخلاق هي الغاية من بعثة نبيّنا المصطفى صلى الله عليه وآله، فقال: «إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»^(٣). كما أنّه

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٤٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٨٢، الحكمة ٨١.

(٣) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص ٨.

على الرغم من امتلاك رسول الله ﷺ مزايا كثيرة عظيمة، فإننا نجد التأكيد الإلهي على مدح خصلة الأخلاق ووصفها بعبارة تؤكد أهميتها، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

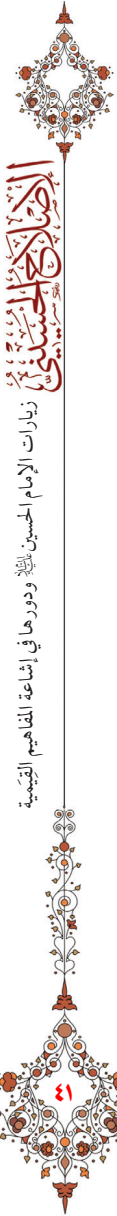
ولمّا نأتى لقضية الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّه امتداد لشخصية الرسول ﷺ، ونهضته امتداد لفكر جدّه المصطفى ﷺ ومنهجه الأخلاقي؛ حيث تعتبر الملحمة الحسينية من جوانب عديدة منهجاً أخلاقياً متكاملًا يتطابق تماماً مع منهج بيت النبوة، كيف لا وهو عليه السلام القائل: «وَأَنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مَفْسَدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ، أُرِيدُ أَنْ أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»^(٢)! وهذا بالفعل ما حصل، فقد أصبحت هذه النهضة المعطاء دستوراً أخلاقياً يقتدي به كلّ السائرين على نهج أبي عبد الله عليه السلام من الثوار الشرفاء في العالم، والزوّار والعشّاق للمفاهيم الإسلامية الحقّة.

هذا؛ ومن بين الطرق المتعدّدة لمعرفة النهج الإسلامي القويم، نجد أنّ أدعية المعصومين عليهم السلام وما ورد عنهم من نصوص في مجال الزيارات، قد تضمّنت مفاهيم عديدة، ودروساً كثيرة في مجالات شتى، ومنها الجانب الأخلاقي؛ لهذا اهتم عدد كبير من الأعلام في شرح هذا التراث الحيوي الضخم.

إنّ زيارات قبر الإمام الحسين عليه السلام المتعدّدة في أزمان متنوّعة تحمل في طيّاتها قبسات وومضات فكرية ومعرفية وتربوية وأخلاقية، يمكن أن نستخلصها من خلال تسليط الضوء عليها؛ فمع التعمّق الدقيق في النصّ الذي يقرؤه الزائر وهو واقف أمام الضريح الطاهر للمولى أبي عبد الله عليه السلام: «أشهد أنّك قد أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأتبعْتَ الرسول، وتلوت الكتاب

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠.



حقّ تلاوته، ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة»^(١)، نجده يُعدّ شهادة من الزائر بإقامة الإمام الحسين عليه السلام للصلاة وإيتائه الزكاة وأداء المفردات الأخرى، وهذا الأمر في حقيقته وجوهه تأكيد وعهد من قبل الزائر بالالتزام بالأحكام الشرعية والأخلاق السامية.

كما تتجسّد للزائر كلّ سبل الدعوة إلى إصلاح وتهذيب النفوس، والعمل المثابر لتحقيق العدالة الاجتماعية؛ لأنّ من إيجابيّات الزيارة أنّها دعوة للاقتداء بسيرة هذا الإمام عليه السلام الذي نشدّ الرحال إليه، ونقطع المسافات البعيدة؛ لنحقّق زيارته بعد معرفة نهجه ومسيرته وصفاته، فليس هناك من طريق تربوي كالاقتداء بالعظماء واتّخاذهم قدوة ونموذجاً للسير على خطاهم، فالانتهاء للإمام الحسين عليه السلام وقضيّته لا يكون بالادّعاء، وإنّما بالسلوك والتصرّفات والمواقف، فمتى ما كان الزائر ملتزماً بتلك العبارات التي يقرؤها في زيارته، وبمضامينها الأخلاقية الداعية إلى تكامل الفرد وتحلّيه بصفات الصدق والتعامل الحسن مع الآخرين، أصبح حينئذٍ حسينياً، وتحقّقت الغاية من زيارته التي ورد الحثّ والتأكيد عليها من قبل المعصومين عليه السلام.

أهمّ الجوانب الأخلاقية لدى زائر الإمام الحسين عليه السلام

ختاماً لا بدّ من الإشارة إلى بعض الجوانب الأخلاقية التي تتجسّد في مواسم زيارة الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً موسم زيارة الأربعين، وهي:

١. حسن التعامل

إن حسن التعامل الذي هو صفة واضحة يتحلّى بها الزائرون، وعدم التذرّ من أيّ معاناة تحصل بحسب مقتضيات السير أو السفر؛ وذلك لشعور الزائرين واهتمامهم بتحقيق الهدف الأسمى، وهو الإخلاص في السير إلى الإمام الحسين عليه السلام. فالزائر يحاول أن يُغيّر سلوكه عندما يقوم بأوّل خطوة يقطعها في طريق كربلاء؛

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٣٧١.

لأنه سائرٌ إلى القدوة، والمثل الأعلى، وصاحب الخلق الرفيع، الذي قال فيه ولده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: «كنت ربيع الأيتام، وعصمة الأنام، وعز الإسلام، ومعدن الأحكام، وحليف الأنعام، سالكاً في طريقة جدك وأبيك، مشبهاً في الوصية لأخيك، وفي الذم، رضي الشيم، ظاهر الكرم، مجتهداً في العبادة في حندس الظلم، قويم الطرائق، عظيم السوابق، شريف النسب، منيف الحسب، رفيع الرتب، كثير المناقب، محمود الضرائب، جزيل المواهب، حليماً شديداً، عليماً رشيداً، إماماً شهيداً، أوهاً منياً، جواداً مثيباً، حبيباً مهيباً. كنت للرسول ولداً، وللقرآن سنداً، وللأمة عضداً، وفي الطاعة مجتهداً حافظاً للعهد والميثاق، ناكباً عن سبيل الفساق، تتأوه تأوه المجهود، طويل الركوع والسجود، زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها، ناظراً إليها بعين المستوحش منها، آمالك عنها مكفوفة، وهمتك عن زيتها مصروفة، ولحاظك عن بهجتها مطروفة، ورغبتك في الآخرة معروفة، حتى إذا الجور مدّ باعه، وأسفر الظلم قناعه، ودعا الغي أتباعه، وأنت في حرم جدك قاطن، وللظالمين مباين»^(١).

وهذه اللوحة مليئة بالصور الأخلاقية الرائعة.

٢. تحلي الزائرين بروح الكرم والعطاء

فمع إطلالة موسم الزيارة، ورغم الحزن الذي يخيم من جرّاء استذكار مأساة كربلاء ومسير السبايا، تسود أجواء الفرح من جانب آخر لتجلي روح البذل والمشاركة بتقديم الخدمات، وهذا العطاء ينمو وتكتسب منه الزيادة تنوعاً عاماً بعد عام، وتنوّع الخدمات من إعداد موائد الإطعام، إلى استعمال آلات غسيل الملابس، وتهيئة أماكن استراحة الزائرين، وغير ذلك، وكلّه يُقدّم بروح من التواضع، فنرى الشيخ الكبير يُقدّم الطعام والماء وسائر الخدمات للزائر الشاب، ويشارك الجميع بمختلف الأعمار من الذكور والإناث وحتى الطفل الصغير، وتتجلى مظاهر الأخلاق بأبهى صورها، وهذه الخصال الحميدة تُجسّد روح الإيمان والولاء والخلق الرفيع.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٣٩.

٣. تتجلى في أجواء الزيارة المباركة روح الإيثار والتعاون على عمل الخير والبرّ والتقوى، فيتعاون الآلاف من الزوّار وأصحاب المواكب على عمل الخير، وأوضح مصداق لصورة الإيثار اللوحة التي رسمها القرآن الكريم بقوله: ﴿...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). وتتجسّد صورة الإيثار هذا في كربلاء بوضوح، يشهد به القاضي والداني، فنلاحظ أنّ الزائر يقدّم لأخيه - مع غُصّ النظر عن الانتماء والموطن والهوية - ما أمكنه حتّى مع حاجته لما يقدّم. علماً أنّ أطول وأكبر مائدة في العالم هي ما نشاهده في مسيرة الأربعين الممتدّة من أقصى الجنوب والشمال والشرق والغرب باتجاه كربلاء.

٤. تسود بين الزائرين روح المحبّة والوئام

رغم الأعداد الهائلة لحركة الزوّار، نجد ما يسود بينهم هو روح المحبّة والوئام؛ فإنّه لم يُعهد حصول مشاكل يُعتدّ بها، في الوقت الذي نسمع عن أنواع المشاكل في تجمّعات أخرى كما في ملاعب الرياضة في دول أوربية تتباهى بالتقدّم والازدهار وغير ذلك، رغم أنّ زيارة الأربعين هي أكبر حدث لأكبر تجمّع في العالم. إذاً؛ مراسم زيارة الإمام الحسين عليه السلام مليئة بالدروس والعبر، وهي سبيل لترسيخ الإيمان والعقيدة والخلق الجميل، وتوجيه الزائر لتصحيح سلوكه، ومعالجة أخطائه، وتقويم اعوجاج أخلاقه إن وجد، وتؤدّي لبناء النفس كما أراد الله تعالى.

الخاتمة

لقد توصلنا فيما تقدّم من أبحاث إلى النتائج التالية:

١. ورود الحثّ بضرورة الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام منضمّاً إلى سائر المعصومين عليه السلام في بعض الآيات القرآنية، من قبيل: آية المودّة، وآية الإطاعة، بحسب ما نصّت عليه الروايات المفسّرة للآيتين المذكورتين. كما توجد أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله

وسائر المعصومين عليهم السلام نصّت على خصوص الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام، وعلى ضرورة تعاهد قبره الشريف بالزيارة.

٢. إن زيارة الإمام الحسين وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصفها ممارسة رائعة وشعيرة مهمّة لها مجموعة أهداف، من قبيل: تكريم مَنْ نزورهم وإظهار لمحبتهم، وأنّ زيارتهم هي إبقاء للصلة بين الإنسان ودينه الإسلامي حيّة وناضضة، كما أنّها فهم لشخصية المزور وجهوده ودوره، والمبادئ التي استشهد من أجلها، ونحو ذلك من الأهداف.

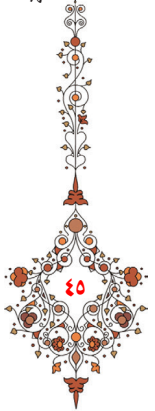
٣. تترتب على زيارة الإمام الحسين عليه السلام آثار دنيوية عديدة من أهمّها زيادة الرزق والعمر والحياة السعيدة، وآثار أخروية هي عبارة عن غفران ذنوب الزائر، وأنّ الله يؤمنه يوم الفرع الأكبر، وكثرة الثواب الجزيل الذي يجده الزائر في ذلك اليوم، ونحو ذلك من الآثار.

٤. لزيارة الإمام الحسين عليه السلام - بحسب ما نصّت عليه روايات المعصومين عليهم السلام - أبعاد متعدّدة على مستوى المعرفة والعقيدة والسياسة والعاطفة والأخلاق.

٥. إنّ النهضة الحسينية بوصفها امتداداً للدعوة المحمّدية، قد شكّلت منهجاً أخلاقياً متكاملًا مع منهج النبي صلّى الله عليه وآله.

٦. إنّ زيارات المولى أبي عبد الله عليه السلام بوصفها واحدة من الطرق المتعدّدة لمعرفة المنهج الإسلامي القويم، قد تضمّنت دروساً كثيرة في مجالات شتّى، وحملت بين طيّات نصوصها قسّات ومضات فكرية ومعرفية وتربوية وأخلاقية.

٧. وفي الختام تطرّق البحث إلى أهمّ الجوانب الأخلاقية التي تتجسّد في مواسم زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وموسم زيارة الأربعين على وجه الخصوص، والتي منها: حسن التعامل بين الزائرين، وتحليّهم بروح الكرم والعطاء، وتحليّ روح الإيثار والتعاون على عمل الخير والبرّ والتقوى، وسيادة روح المحبة والوئام بينهم.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

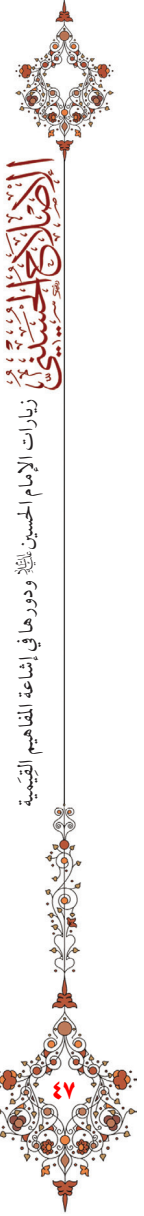
- ١ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.
- ٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي - لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصّائيين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٥ . مدينة المعاجز، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزّة الله المولائي الهمداني، مؤسّسة المعارف الإسلامية، إيران - قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٦ . مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٧ . مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، نشر: مكتبة العزيزي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش / ٢٠٠٦م.
- ٨ . المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٩ . مكارم الأخلاق، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٠ . مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

١١ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

١٢ . نهج البلاغة، جمع: محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.



زيارة الإمام الحسين عليه السلام
وأثرها في رشد عملية التبليغ الديني وتطويرها
المنبر الحسيني أنموذجاً

د. الشيخ فيصل الكاظمي
عميد معهد الشيخ الوائلي للخطابة، النجف الأشرف

**The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) and its Impact
on the Progress of the Religious Propagation Process
– The Husayni Minbar as a Sample**

Dr. Shaykh Faisal al-Kadhimi
Dean of the Shaykh al-Waeli Institute for Public Speaking,
Holy Najaf

ملخص البحث

تدور فكرة البحث حول الإجابة عن مدى الارتباط بين وظيفة زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، والعملية التبليغية - التي من أبرز مصاديقها المنبر الحسيني - في إيقاظ ضمير الأمة، وربطها من الناحية الروحية والمعنوية بمنهج سيد الشهداء عليه السلام ومبادئ نهضته المباركة؛ ومن هنا نسعى - بناءً على هذا الارتباط - إلى بيان مدى علاقة زيارة الإمام الحسين عليه السلام برشد وتطور العمل التبليغي على نطاق المنبر الحسيني.

إنّ الزيارة قد وفّرت للخطباء والمبّلّغين - علاوة على المواد المعرفية الموجودة في نصوص الزيارات - مناخات مناسبة وقفوا من خلالها على حاجات المجتمع ومشكلاته على شتّى الأصعدة؛ بغية الإسراع في رفعها وتوفير ما يناسبها من إجابات.

تمّ الاعتماد في هذا البحث على المنهج التحليلي القائم على عرض جملة من النصوص الدينية بما يخدم البحث وفرضياته وصولاً في نهاية المطاف إلى جملة من النتائج التي من أبرزها: أنّ المعالم الأولى للمنبر الحسيني كانت مع مخاطبة السيّد زينب عليها السلام أختها الإمام الحسين عليه السلام وهي تمرّ عليه يوم الحادي عشر من محرّم، الذي هو نحو من أنحاء التعزية المقرونة بالزيارة. والنتيجة الأخرى هي أنّ أجواء زيارات المولى الحسين عليه السلام التي انقسمت إلى زيارات مطلقة ومخصوصة، وفّرت أرضية مناسبة للعمل المنبري، وشكّلت نصوصها مادّة مهمّة للدارسين والباحثين، ومجالاً رحباً لتوظيفها في العمل التبليغي؛ إذ تمثّلت تلك المادّة بعناوين وأفكار وشواهد، وإلى غير ما ذكر من نتائج.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، الإمام الحسين عليه السلام، التبليغ، المنبر الحسيني، زيارة

الأربعين، كربلاء.

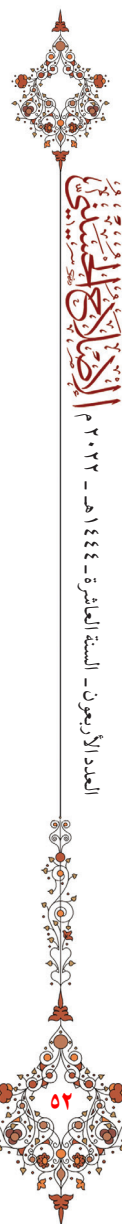
Abstract

The idea of this study revolves around the connection between the duty of visiting, the Master, Abu Abdillah (PBUH), and the propagation process – whose most prominent example is the Husayni minbar – in awakening the conscience of the Islamic nation and spiritually and morally connecting it with the path of the Master of the Martyrs (PBUH) and the principles of his blessed uprising. Hence, based on this connection, we attempt to explain the extent of the relationship between visiting Imam al-Husayn (PBUH) and the progress of the propagation related to the Husayni minbar.

The Ziyara provides orators and preachers – in addition to the knowledge material found in the Ziyara-text – appropriate environments that enable them to address the needs and problems of the society on various levels, in order to swiftly and adequately resolve them.

Moreover, this study relies on the analytical method based on presenting a number of religious texts beneficial to the research's objective and hypotheses. This approach leads ultimately to several results. The most prominent one is that the first shape of the Husayni Minbar, began with Lady Zainab (PBUH) addressing her brother Imam al-Husayn (PBUH), as she passed by him on the eleventh of Muharram, which is a form of mourning accompanied by a Ziyara. The other result is that the atmosphere of the Ziyaras of the Master Imam al-Husayn (PBUH) – which can be divided into general and specific Ziyaras – provided an appropriate platform for the preaching work. Furthermore, their texts served as important source material for scholars and researchers, as they can be widely used in the preaching process and are represented under various titles, ideas, and points. Other results are also presented.

Keywords: Ziyara, Imam al-Husayn (PBUH), propagation, Husayni Minbar, Ziyara of Arbacen, Karbala.



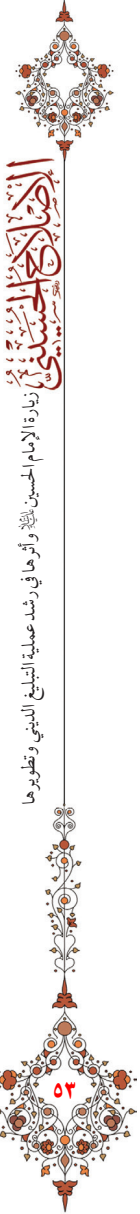
مقدمة

إنَّ النهضة الحسينية بما حملته من قيم ومبادئ دينية سامية هي نهضة باقية مستمرة في مختلف الظروف والأحوال، لا يمكن لأحد أن يقف بوجه امتدادها، ويُحمد توهجها، فقد كُتِبَ لها الاستمرارية؛ لاقتها بخاتمة الدين الإسلامي وخلوده، وهذا الاقتران قد جسّدته المبادئ والأهداف التي حملها قائد هذه النهضة المباركة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، فهو القائل في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية أثناء خروجه من المدينة: «إِنَّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنَّ الجنة والنار حقّ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث مَنْ في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»^(١).

وقد خرجت هذه المبادئ والأهداف عن دائرة الشعارات الرنانة التي يُطلقها البعض قبيل حركاتهم المناوئة لسلطة ما أو لظاهرة معينة، كيف لا وقد كلّفت هذه المبادئ مَنْ سار في ركب الحقّ يوم عاشوراء أعظم التضحيات، التي لم تقف عند القتل والتنكيل بالمقاتلين وحسب، بل تعدّت ذلك، بحيث سعى الخصوم المجرمون إلى انتهاك حرمة البيت النبوي، وإذلال شخصه، والتقليل من مكانته في نفوس المسلمين؟!!

لم يعلم أولئك المجرمون أنّ ما قاموا به من أفعال شنيعة قد فضحوا بها أنفسهم، وأبأنوا من خلالها خستهم وخبت سريرتهم، بحيث أصبحت السلطة الحاكمة - بما

(١) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٩.



تحمله من جبروت و سطوة - تحشى من كلمات يطلقها الإمام زين العابدين وهو أسير عندما طلب من يزيد مخاطبة الناس، فقد كان جواب يزيد واضحاً في إبانة هزيمته الواقعية أمام رواد بيت العصمة والطهارة، فقد قال مجيباً مَنْ طلب منه منح الإذن للإمام عليه السلام بارتقاء المنبر: «إنَّه إنَّ صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان»^(١). وهذا الأمر يوقفنا على حقيقة مفادها أنَّ المنبر الذي تتبنَّى فيه مكانة الإمام الحسين عليه السلام، ودوره في التضحية والفداء من أجل الإسلام، وتبرز فيه المصائب والمحن التي قاساها هو ومن معه، هو وسيلة مهمّة لضمان استمرارية النصر المعنوي لهذه النهضة المعطاء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر شكّلت زيارة ضريح المولى أبي عبد الله عليه السلام صورة رائعة عكست مدى الارتباط الروحي بين مفاهيم النهضة الحسينية وبين هؤلاء الطوائف حول قبلة الأحرار، ومنارة الثائرين الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما تقرّه الكلمات التي يردها الزائر وهو يقف أمام قبر مولاه الحسين عليه السلام قائلاً: «إن كان لم يُحبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري. سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً... أشهد أنّك قد أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما، وأنك صادق صدّيق، صدقت فيما دعوت إليه، وأنك ثار الله في الأرض، وأشهد أنّك قد بلغت عن الله، وعن جدّك رسول الله، وعن أبيك أمير المؤمنين، وعن أخيك الحسن، ونصحت وجاهدت في سبيل الله، وعبدته مخلصاً حتّى أتاك اليقين؛ فجزاك الله خير جزاء السابقين، وصلى الله عليك وسلّم تسليماً»^(٢).

إذاً؛ يمكن القول أنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والمنبر الحسيني، هما أبرز مصاديق الشعائر الحسينية؛ فقد جاءت روايات عن أهل البيت عليه السلام تحثّ عليهما

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٨.

(٢) مقطع من زيارة الأول من رجب، والنصف من شعبان. أنظر: القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٤٥.

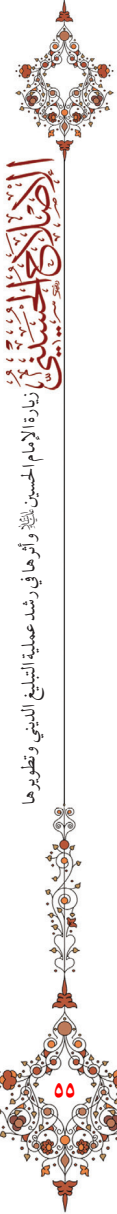
وتدعو لهما، ومن هذه الروايات التي تطرّقت إلى مدحهما والثناء عليهما ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يدعو لزوّار أبي عبد الله عليه السلام وناديبه والباكين عليه قائلاً: «يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة، وحَمَلْنَا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأُمم السالفة، وخصَّنَا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، ولزوّار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي صلّى الله عليه، الذين أففقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمد صلّى الله عليه... اللهمّ فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، ارحم تلك الخدود التي تقلّب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهمّ إني استودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان، حتى تروّيهم من الحوض يوم العطش»^(١).

كما يمكننا القول: أنّ أفضل حالات إحياء القضية الحسينية إنّما تكون حينما يجتمعان، حيث تعقد هذه المنابر في مواسم الزيارة، ويمكن لهما أن يفتقا كذلك، فهناك زيارة بلا إقامة مجالس حسينية أحياناً، وهناك مجالس حسينية خارج أجواء الزيارة كما هو الأغلب، حيث المساحة العالمية للمنبر الحسيني.

تاريخ التبليغ الديني في الإسلام

إنّ تشريع صلاة الجمعة وخطبتها بعدما تمت الهجرة النبوية إلى المدينة وتشيد المسجد النبوي الشريف، كان سبباً في كون التبليغ الديني المنبري نشاطاً أسبوعياً ارتبط بتشريع هذه الفريضة الإسلامية المهمّة، ولم يقف حال التبليغ عند هذا المستوى وحسب، بل كان يُمثّل عصب الحياة في الرسالة الإسلامية، فهو الركن الركين في لائحة المهامّ الدينية التي كان يقوم بها الرسول الأعظم صلّى الله عليه، فقد كان يؤدّي

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٣٥.



دوره التبليغي سواء في مقام إيصال المضامين الوحيانية إلى البشر، أم في مقام تبينها وتوضيحها، قال تعالى: ﴿... بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾^(١).

ومن اللافت للنظر أنّ الرسول ﷺ في مقام تأديته لهذا الدور التبليغي كان يرتقي المنبر بحسب الكيفية الموجودة آنذاك، فقد جاء في الرواية أنّ رسول الله ﷺ كان: «يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائماً، فقال: إنّ القيام قد شقّ عليّ. فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يُصنع بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ عليه [وآله] وسلّم المسلمين في ذلك فرأوا أن يتّخذوه، فقال العباس بن عبد المطلب: إنّ لي غلاماً يقال له كلاب أعمل الناس. فقال رسول الله ﷺ عليه [وآله] وسلّم مرّه أن يعمل. فأرسله إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعداً، ثم جاء به فوضعه في موضعه اليوم، فجاءه رسول الله ﷺ عليه [وآله] وسلّم، فقام عليه وقال: منبري هذا على ترعة من ترع الجنة...»^(٢).

المنبر الحسيني امتداد للمنبر الرسالي

لقد جاء المنبر الحسيني بعد واقعة الطفّ الأليمة ليُشكّل أحد أهمّ مخرجات النهضة المباركة لأبي عبد الله عليه السلام، هذه النهضة التي «استطاعت أن تُحدد لها موقعاً مهماً في السياق التاريخي للإسلام، ومن خلال ذلك ربطت نفسها بالدين كفكرة نظرية من جهة، وبالدين كمشروع تغييري من جهة أخرى»^(٣). ونتيجة لهذا الارتباط بين هذه النهضة وبين المشروع الإلهي صار للتبليغ الديني (الرسالي) حضور واضح يُضاف إلى ما يُبيّنه الخطيب من أحداث أليمة ومصائب وويلات قاساها الإمام الحسين عليه السلام ومن معه.

(١) النحل: الآية ٤٤.

(٢) ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٢٥٠.

(٣) الهاشمي، كامل، أصول المحاضرات: ص ١٣.

ثم يتطور المنبر الحسيني تطوراً تاريخياً حتى صار مجالاً تبليغياً واسعاً فاق خطبتي الجمعة حضوراً وأماكن وأزمنة، ولعل ذلك هو أحد أبعاد قول النبي ﷺ: «إنَّ الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة...»^(١)، فقد صار المنبر الحسيني ينشر الهداية وينير الطرق ويستنقذ الخاطئين، وهناك مجالات أرحب للمنبر الحسيني زادت من تألقه^(٢).

زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأقسامها

إنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وعموم أهل البيت عليه السلام علاوة على كونها تدرج تحت المعنى العرفي للزيارة الذي هو عبارة عن: «قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به»^(٣)، فهي: «نوع ندبة ورناء بالإضافة إلى ما تحتويه من التذكير بحقوقهم [عليهم السلام] والشدَّ الوجداني بهم»^(٤)؛ وبالتالي فهنا نحو اشتراك وظيفي بين المنبر الحسيني وزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام من جهة التذكير والتوعية وتبيين رسالة نهضة عاشوراء ومظلومية أهل البيت عليه السلام وأنصارهم في واقعة الطفِّ الأليمة.

هذا؛ وتنقسم زيارات الإمام الحسين عليه السلام إلى قسمين رئيسين، هما: الزيارات المطلقة الممتدة على طول العام، وهي سبع زيارات كما ذكرها الشيخ عباس القمي، أبرزها الزيارة المعروفة والمشهورة (زيارة وارث). والنحو الآخر هو الزيارات المخصوصة في أيام وليالٍ محدَّدة، كزيارة النصف من شعبان، وزيارة عرفة، وزيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، ونحو ذلك.

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٦٢.

(٢) الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه حاضره وآفاق المستقبل (مقارنة بين منبر الجمعة والمنبر الحسيني): ص ٣١-٣٤.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٠. وأنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ٢٦٠.

(٤) السند، محمد، الشعائر الدينية: ص ٦٦.

أثر الزيارة في نشأة المنبر الحسيني

إنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام بما تملكه من شحنات معنوية توجد ارتباطاً روحياً وعاطفياً بين الزائر ومزوره، وكذلك ما تضمّنته مضامينها من مفاهيم معرفية دينية قد أسست لمواسم تبليغية متواصلة وعطاءات منبرية متوالية متتالية.

ويمكن أن يؤرّخ لأوّل بكاء عامّ بعد عاشوراء، الذي كان عند مخاطبة السيّدة زينب عليها السلام أختها الحسين عليه السلام يوم الحادي عشر من المحرمّ عام ٦١ هـ، حيث أثبت المؤرّخون أنّها حين مرّت على جسد أخيها وهو صريع على رمضاء كربلاء، قالت: «يا محمّده، يا محمّده، صلّ عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء. يا محمّده، وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق»^(١). وهو نحو من الربط بين الحضور عند مصرع المولى أبي عبد الله عليه السلام الذي هو قريب من زيارة مرقده الطاهر، وبين قراءة التعزية والمصيبة التي هي من أبرز مفردات المنبر الحسيني كما هو المتعارف.

ثمّ إنّ هذا المشهد قد تکرّر بنحو أوضح، وبمساحة أوسع بعد أربعين يوماً، وذلك بحضور أهل بيت الحسين عليه السلام وبعض الصحابة، وبني أسد سكنة الحائر، وربّما غيرهم، فقد ذكر ابن نما الحليّ أنّه «لما مرّ عيال الحسين عليه السلام بكربلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري - رحمه الله عليه - وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد فتلاقوا بالحزن والاكتئاب والنوح على هذا المصاب المقرح لأكباد الأحاب»^(٢).

ثمّ تلا ذلك تاريخياً، أي: بعد يوم الحادي عشر ويوم الأربعين، تحرّك جيش ما عُرف بالتوّابين الأربعة آلاف، وقد كانوا قد بدؤوا بقبر الحسين عليه السلام، وأقاموا المأتم هناك في استذكار الفاجعة واستحضار مواقف الشهداء، ثمّ الانطلاق لمواجهة

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الملوك والأمم: ج ٤، ص ٣٤٨-٣٤٩. وأنظر: ابن الأثير، علي بن

محمّد، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨١.

(٢) ابن نما الحليّ، جعفر، مثير الأحرار: ص ٨٦.

أعدائهم في واقعة عين الوردة^(١)، وقد تهادى بعض المستشرقين فاعتبروا التوابين هم مَنْ أسس العزاء الحسيني^(٢).

وكانت تلك مآثم ومجالس واستذكارات يمكن أن نقول عنها (عفوية)، أي: إنها لم تُقم بعد تخطيط مسبق، وكان يمكن لهذه الجذوة أن تحبو، ولهذه الصرخة أن تهدأ، لولا الاهتمام الكبير والمتواصل من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحثهم شيعتهم على الزيارة من جهة، وقول الشعر والبكاء من جهة أخرى، فقد ورد عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر سيكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته»^(٣).

وفي مجال الحثّ على البكاء وإنشاد الشعر ورد عن أبي عمار المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «يا أبا عمار، أنشدني في الحسين عليه السلام. قال: فأنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي، قال: فوالله، ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار. فقال لي: يا أبا عمار، مَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي خمسين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكي أربعين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكي ثلاثين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكي عشرين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكي عشرة فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي واحداً فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكي فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكي فله الجنة»^(٤).

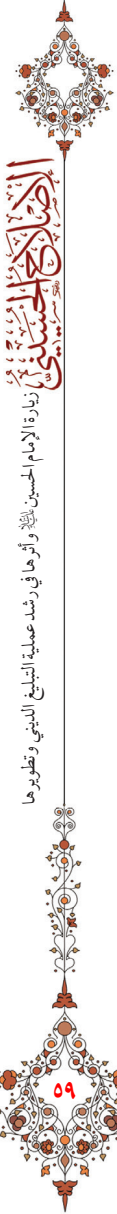
فالبكاء هو المادّة المشتركة - بحسب الروايتين أعلاه - في حالة الزيارة، كما هو

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) أنظر: رينولد نلكسن، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام: ص ٣٢٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٠٩.



شأن الملائكة الذين تكون وظيفتهم الاهتمام بزوّار المولى أبي عبد الله عليه السلام، وفي حالة إنشاد الشعر وإقامة المنبر الحسيني؛ ومن هنا تحوّلت كربلاء إلى ظرف استثنائي في إيجابيّته للعمل التبليغي في خطوطه الأولى، وثمّ تحوّلت زيارة الحسين عليه السلام تدريجياً إلى مواسم لافتة لاستذكار الفاجعة وإنشاد الشعر وذكر الفضائل والمناقب، في توفير لأهمّ موادّ العمل التبليغي المرتبط بإقامة المآتم والمنابر الحسينية.

ثمّ شهدنا في عهد الإمام الصادق عليه السلام المظاهر الأولى لتجمّع شعبي للزائرين وكيفية إحيائهم لمراسم الزيارة، حتى وصلت أنبأؤها إلى الإمام عليه السلام، فراح يسأل أحد العراقيين الوافدين عليه إلى المدينة المنوّرة، وهو عبد الله بن حمّاد البصري: «بلغني أنّ قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت له: نعم، جُعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف. فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهدرونهم ويقبّحون ما يصنعون»^(١).

وهذا النصّ المتقدّم من عهد الإمام الصادق عليه السلام لعلّه من أقدم النصوص الدالّة على تحوّل مواسم الزيارة إلى مواسم تبليغية إحيائية، مع ملاحظة أنّ ذلك سيحظى بمستوى أعظم واهتمام أوسع في زيارات مثل زيارتي عاشوراء والأربعين، مع تقادم الأيام واتّساع دائرة الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

ومن الجدير بالذكر أنّ زيارة النصف من شعبان آنذاك تختلف عمّا عليه الآن، حيث تعمّ أجواء السرور، ويرجح أنّ هذا التغير حصل شيئاً فشيئاً بعد سنة (٢٦٠هـ) بفترة زمنية غير موثّقة تاريخياً، حيث كانت ولادة الإمام المهدي عليه السلام في منتصف شعبان سنة (٢٥٥هـ).

(١) المصدر السابق: ص ٥٣٩.

أثر زيارة الحسين عليه السلام في رشد وتطوير المنبر الحسيني

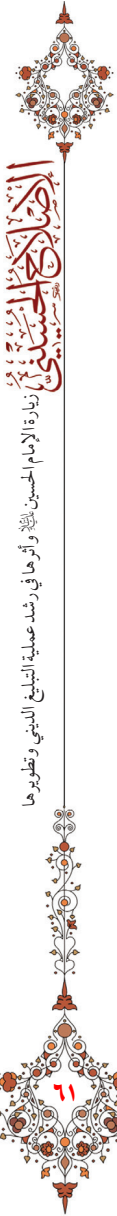
إننا إذا رجعنا إلى تاريخ تطوّر المنبر الحسيني لوجدنا أنّ القصّاصين - من طرف - قد وظّفوا في قصصهم أحداث كربلاء وتطوّر مواقفها، منذ رفض الإمام الحسين عليه السلام بيعة يزيد وحتى استشهادها، وما جرى بعد ذلك من أحداث ورؤى وحوارات، حيث كانوا يحدّثون الناس في المساجد والأماكن العامّة ومواسم الحجّ. ومن طرف آخر وجدنا أنّ المنشدين - في قصائدهم - كان لهم دور مشابه في توظيف الأحداث الأليمة التي لقيها أهل البيت عليهم السلام، سواء على مستوى واقعة الطفّ، أم ما جرى بعدها من أحداث السبي.

وكلا هذين الصنفين قد شكّلا قطبي التبليغ الحسيني الذي أنتج بعد قرون ما يعرف الآن بخطيب المنبر الحسيني^(١). وقد ورد هذان الصنفان في رواية ابن حمّاد أنفة الذكر: «فمن بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي». ويبدو أنّ بعض المنشدين كان قد استوطن كربلاء، ولقّب على إثر ذلك (بالخائري)، ومنهم علي بن أصدق الخائري الذي ذكر في شأنه أنّ أبا الحسن الكاتب كلّف أبا القاسم التنوخي أن يطلب هذا المنشد لينوح على الحسين عليه السلام بكربلاء ليلة النصف من شعبان بقصيدة لبعض الكوفيّين، بناءً على رؤيا رأتها إحدى النساء، من أنّ الزهراء عليها السلام طلبت منها أن يقوم ابن أصدق بالنوح على الحسين عليه السلام بقصيدة ذكرت عليها منها مقطعاً في الرؤيا^(٢).

ثمّ حدث بعد ذلك تطوّر مهمّ في تحويل ذكرى الحسين عليه السلام إلى عمل تبليغي مستدام، بعد تأليف مصنّفات تحثّ على الوعظ والإرشاد والزهد، وربط كلّ ذلك بمصائب ومآسي كربلاء، ولعلّ أبرزها:

(١) أنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي: ص ٢٦١.

(٢) أنظر: التنوخي، علي بن المحسن، نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة: ج ٢، ص ٢٣٠.



١ . مثير الأحزان لابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ).

٢ . روضة الشهداء لحسين بن علي الكاشفي (ت ٩١٠ هـ) باللغة الفارسية، تم تأليفه في زمن الصفويين، واكتسب شهرة قوية إلى الآن، حتى سُمي المجلس الحسيني (روضة)^(١)، والخطيب بقارئ الروضة.

٣ . المنتخب للشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، ولا يزال هذا الكتاب حاضراً وفاعلاً في مجالس أغلب مناطق الخليج، حيث تُتلى منه صفحات قبل ارتقاء الخطيب المنبر، بل هناك طورٌ خاصٌ وقراء خاصون بكتاب المنتخب، وغلب عليه هناك اسم (الفخري).

بعدها شهد المنبر الحسيني تطوراً هائلاً، وقفز قفزة نوعية في المرحلة المعاصرة التي بدأها الشيخ كاظم سبتي السهلاني النجفي (ت ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م)، حيث اتخذ من (نهج البلاغة) مادةً لمحاضراته، وانتهاءً بعميد المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي (ت ٢٠٠٣ م)، والمدرسة القرآنية التي تميّز بها منبره المعطاء، مروراً بقمم خطابية تبليغية رائدة تركت بصماتها في تقوية العمل التبليغي وتطويره في المجتمعات الموالية لأهل البيت عليه السلام وغيرها.

وقد كان لزيارة الإمام الحسين عليه السلام دور مهم في هذه المسيرة التطويرية للمنبر الحسيني، خصوصاً مع ما نلاحظه من الاهتمام الواسع من قبل الأئمة عليهم السلام بها، والتأكيد الذي لم يأت بشأن زيارة معصوم كما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث بلغ من وفرة الروايات التي حثت على زيارة شهداء كربلاء، ما أغرى الكثيرين على تصنيف مؤلفات خاصة في زيارتهم، وأبعادها وظروفها، ولعل كتاب (كامل الزيارات) للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ) أبرز ما يُذكر في هذا الموضوع سعةً وثاقَةً وتبويماً.

(١) روضة: باللغة الفارسية تلفظ (روزه)، والخطيب يُقال له: (روزه خون)، وتُكتب: (روضه خوان).

وهذا الدور يمكن للمتابع ملاحظته من خلال ما تمثله زيارة الحسين عليه السلام من كونها مشروعاً عملياً تثقيفياً تبليغياً على طول السنة، سواء كان ذلك في الزيارات المطلقة، أم الزيارات المخصوصة، حيث نرى ارتفاع مستويات الحضور ومديات التفاعل مع النوع الثاني بشكل أكثر وضوحاً.

ومن الأمور التي نلاحظها في المقام ما يلي:

١. إنّ الزيارات المخصوصة ارتبطت - في أغلبها - بأيام وليال ذات أبعاد دينية عبادية شُرعت قبل حادثة الطفّ، فعندما اختصّت الزيارة من بعد عاشوراء بتلك المناسبات أصبحت واحداً من الأعمال العبادية التي تؤدّي في تلك الأوقات التي من قبيل: (ليالي القدر، منتصف شعبان، عرفة، ...).

٢. إنّ الزيارات بكلّ نوعيها يرافقها تلاوة نصوص خاصّة، وهذه النصوص تشكّل مادّة مهمّة للدارسين والباحثين، ومجالاً رحباً لتوظيفها في العمل التبليغي: (عناوين، وأفكار، وشواهد).

٣. إنّ ليالي الجُمع التي امتازت بطابع عبادي، واكتسبت أهميّة بارزة عند عموم المسلمين، أصبحت مواسم يقوم فيها الشيعة والموالون بتأدية الزيارات الخاصّة أو العامّة، وتحوّلت إلى أفضل المواسم التبليغيّة المنبرية، حتّى انعكس ذلك على ما كتبه الرحّالة - من مسلمين وغيرهم - من وصف التجمّعات التي وثّقوها أثناء زياراتهم كربلاء، حيث كان المنبر والخطيب من جهة، والمشاركون من زائرين وغيرهم من جهة أخرى، ظاهرتين متلازمتين.

ولا يسعنا متابعة مصاديق تأثر محاضرات المنبر الحسيني وبقية أنماط العمل التبليغي بزيارات الإمام الحسين عليه السلام وأجوائها، تأسيساً لها وتأثراً بها وتطويراً لأبعادها. إلّا أنّ ما تعيشه أجواء زيارة الأربعين المليونية وما أفرزته من وفرة في العمل التبليغي على طول مسيرة الأربعين، هو مراكز ممتدّة على طول مئات الكيلومترات، يُعنى بعضها بالقرآن الكريم وتقويم القراءة وتصحيحها، وبعضها بالأحكام

الشرعية والردّ على أسئلة الزائرين الفقهية وغيرها، وبعضها بصلوات الجماعة وشدّ الناس إلى دينهم وأحكامه، والمجالس الحسينية التي تُقام في الكثير من الحالات بُعيد الصلوات اليومية أو قبلها، إلى جانب أوقات أخرى لإقامة هذه النشاطات التبليغية. إنّ ممّا أفرزته زيارة الأربعين خاصّة، هو اطلاع المبلّغين في مراكز الاستفتاءات الشرعية وأثناء المسيرة ومشاركتهم فيها، على طبيعة الأسئلة التي تردّهم من جميع الزائرين، ولعلّ بعضهم قام بعملية إحصائية لأغلب الأسئلة المطروحة تبويباً وتصنيفاً؛ وبالتالي وقوف الخطباء والمبلّغين على الحالة الواقعية التي تعيشها الأمة، وما يعاني منه المجتمع، ممّا يحثّهم على ضرورة تطوير العمل التبليغي، وتركيزه باتجاه حلّ المشكلات العقائدية والاجتماعية والأخلاقية التي تعكسها وفرة أسئلة الزائرين وضخامة الاستفسارات حولها.

إنّ العمل التبليغي النافع والهادف والناجح، هو ذلك الذي ينطلق من حاجة المجتمع ثمّ يعود إليه حلّاً لإشكالاته، وتنمية لمعارفه، وردّاً لشبهاته. ومن هنا؛ تُعتبر زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) عموماً، وزيارة الأربعين على وجه الخصوص وبجدارة، مناسبات في غاية الأهميّة في ضرورة الاستفادة الميدانية، بغية الحصول على الموادّ المعرفية، والأجواء الروحية التي تجعل أمام كلّ مبلّغ وخطيب ظروفاً غاية في الإيجابية، ممّا ينعكس عملياً على نجاح العمل التبليغي وتطويره، بل وتخصّصه في حالات ليست بالقليلة.

الخاتمة

توصّلنا في هذا البحث إلى النتائج التالية:

١. استمرارية مبادئ النهضة الحسينية وقيمها في مختلف الظروف والأحوال، وعدم إمكانية أيّ أحد من الوقوف بوجه امتدادها وإخماد توهّجها. وهذا الاستمرار اكتسبته هذه النهضة المعطاء؛ بسبب اقترانها من جهة المبادئ والأهداف والآثار بالدين الإسلامي الذي هو خاتم الأديان إلى يوم القيامة.

٢ . إنّ زيارة ضريح المولى أبي عبد الله عليه السلام شكّلت صورة رائعة عكست مدى الارتباط الروحي بين مفاهيم النهضة الحسينية وبين أولئك الطائفين حول قبلة الأحرار ومنارة الثائرين الإمام الحسين عليه السلام.

٣ . إنّ الارتباط بين هذه النهضة وبين المشروع الإلهي صيرّ للتبليغ الديني (الرسالي) حضوراً واضحاً يُضاف إلى ما يُبيّنه الخطيب الحسيني من أحداث واقعة الطفّ الأليمة، وصولاً إلى التطوّر التدريجي للمنبر الحسيني ليأخذ مجالاً تبليغياً واسعاً فاق خطبتي الجمعة حضوراً وأماكن وأزمنة.

٤ . يوجد نحو اشتراك وظيفي بين المنبر الحسيني وزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام في مجال التذكير والتوعية وتبيين رسالة نهضة عاشوراء ومظلومية أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم في واقعة الطفّ الأليمة.

٥ . إنّ المعالم الأولى للمنبر الحسيني كانت مع مخاطبة السيّد زينب عليها السلام أخاها الحسين عليه السلام وهي تمرّ عليه يوم الحادي عشر من محرّم، الذي هو نحو من أنحاء التعزية المقرونة بالزيارة.

٦ . إنّ أجواء زيارات المولى الحسين عليه السلام التي انقسمت إلى زيارات مطلقة يؤتّى بها في جميع أوقات السنة، ومخصوصة - مقيّدة بوقت معيّن - وفّرت أرضية مناسبة للعمل المنبري، وشكّلت نصوصها مادّة مهمّة للدارسين والباحثين ومجالاً رحباً لتوظيفها في العمل التبليغي: عناوين، وأفكار، وشواهد.

٧ . إنّ ما أفرزته زيارات الإمام الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعين على وجه الخصوص من اطلاع المبلّغين في مراكز الاستفتاءات الشرعية على طبيعة الأسئلة التي تردّهم من جميع الزائرين، ووقوفهم على الحالة الواقعية التي تعيشها الأمّة، وما يعاني منه المجتمع، مثل انعطافة مهمّة ساهمت في قضية رشد المنبر الحسيني وتطوّره، بل وتخصّصه في حالات ليست بالقليلة.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ . أصول المحاضرات، كامل الهاشمي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ٢ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣ . تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، رينولد نكلسن، مطبعة المعارف، العراق - بغداد، ١٩٦٩م.
- ٤ . تاريخ الملوك والأمم (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- ٥ . ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٦ . الشعائر الدينية، الشيخ محمد السند، تقرير: جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم، دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٧ . الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٨ . العوالم (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٩ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، منشورات الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- ١٠ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١ . الكامل في التاريخ، علي بن عبد الواحد بن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٢ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.

١٣ . المزار الكبير، محمّد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، نشر: القيوم، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤ . المصباح المنير، أحمد بن محمّد المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥ . مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمّد رضا النوري النجفي، نشر: مكتبة الوزيري، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش / ٢٠٠٦م.

١٦ . المنبر الحسيني نشوؤه حاضره وآفاق المستقبل (مقارنة بين منبر الجمعة والمنبر الحسيني)، الشيخ فيصل الكاظمي، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٧ . نشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة، علي بن المحسن التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.



زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة
دراسة في فضيلتها وآثارها وأحكامها الشرعية

أ. د. الشيخ وفقان خضير محسن الكعبي
كلية الفقه - جامعة الكوفة / العراق

The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)
on the Day of Arafat
– A Study on its Virtues, Effects, and Legal Rulings

Prof. Dr. Shaykh Wafqan Khudair Muhsen al-Kaabi
Faculty of Jurisprudence - University of Kufa, Iraq

ملخص البحث

يَبِّنُ البحثُ في ثناياه فضلَ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة وليلتها، وآثارها الدنيوية والأخروية، وأهمَّ الأحكام الشرعية لهذه المناسبة، من استحبابها وموارد وجوبها بالعنوان الثانوي. وكلَّ ذلك اعتماداً على عرض الروايات الواردة عن أهل بيت الرحمة عليهم السلام، وتحليل مضامينها.

ومن أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث هو تحليل السبب الكامن وراء المقارنة التي ذكرتها الروايات بين زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، وبين أداء مراسم الحجِّ والعمرة، وذلك من خلال بيان حالة الترابط الإيماني بين الموقفين. يُضاف إلى ذلك بيان فضل زيارة عرفة وما يناله الزائر لقبر الإمام الحسين عليه السلام من حالة اطمئنان القلب والسرور والفرح، وكونه المؤمن المصدِّق بالوعد الإلهي، وكذلك الإشارة إلى آثار الزيارة، من قبيل: وقاية الزائر من الأضرار لمُدَّة سنة، وكونه كالمجاهد في سبيل الله، وغفران ذنوبه، ونحو ذلك، وصولاً في نهاية البحث إلى أنَّ الزيارة قد تجب بالعنوان الثانوي الذي قد يكون - في المقام - عبارة عن النذر والعهد واليمين أو بالنيابة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، زيارة عرفة، يوم عرفة، الحجِّ، العمرة، أثر الزيارة، فضل الزيارة، الحكم الشرعي.

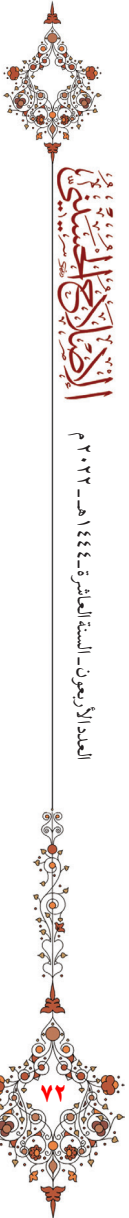


Abstract

This study explains the virtues of the Ziyara (visiting) Imam al-Husayn (PBUH) on the day and night of Arafat. It will focus on its worldly and afterlife effects and the important legal rulings, from recommendation to obligation due to specific secondary factors, based on the narrations of the Household of Mercy (PBUT), whose content will be analyzed.

Among the most significant results of this research, is the analysis of the underlying reason for the comparison in the narrations between visiting Imam al-Husayn (PBUH) on the day of Arafat, and performing Hajj and Umrah, by explaining the state of faith interrelation between the two rituals. Furthermore, this study clarifies the virtue of the Ziyara of Arafat and what the visitor of the grave of Imam al-Husayn (PBUH) experiences of peace of mind, joy, and happiness, and what he also will experience being a faithful believer in the divine promise. The effects of the Ziyara, such as protection from evil for a year, being regarded as a fighter in the path of Allah, forgiveness of sins, and others, will also be addressed. Finally, the issue of the obligation of this visitation due to secondary factors – such as a vow, commitment, oath, or being delegated by others – is discussed.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara of Arafat, Day of Arafat, Hajj, Umrah, the impact of the visitation, virtues of the Ziyara, legal ruling.



المقدمة

ينتظم البحث حول موضوع معاصر ومهم، وله مساحة واسعة من البحث سواء في مجال الفكر العقدي الإسلامي، أم في مجال عمل المؤمنين وتوجههم إلى الله وطاعته والانقياد إلى تعاليمه الحقّة، وهو موضوع يوم عرفة (التاسع من شهر ذي الحجة الحرام).

فالبحث متعلّق تارة بفعل المكلف في مقام أدائه لشعائر الحجّ الأكبر في مكّة المكرمة؛ حيث يُمثّل الوقوف في عرفة في هذا الموسم العبادي أحد أهمّ أعمال مناسك الحجّ، وقد أُشبع هذا الموضوع بحثاً وتفصيلاً.

وتارة أخرى يتعلّق البحث بوظيفة المسلم عند حضوره إلى كربلاء - في هذا اليوم - لأداء زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وامتناله الآداب والتعاليم الواردة فيها، وما يناله زائر سيّد الشهداء (عليه السلام) حينها من ثواب وفضل.

وفيما يتعلّق بالوظيفة الثانية التي يؤدّيها المسلم في هذا اليوم - وهي زيارة المولى أبي عبد الله (عليه السلام) - فإنّنا نعقد هذا المقال لتقديم دراسة وافية حول فضيلة هذه الزيارة في هذا اليوم المبارك، وكذلك نقف على آثارها الدنيوية والأخروية، ونختتم الحديث بذكر ما يتعلّق بها من أحكام شرعية.

وعليه؛ سيكون حديثنا في هذا المقال بعد التمهيد موزّعاً على ثلاثة مباحث رئيسة.

تمهيد

لفظ اليوم ورد مضافاً في الروايات إلى المكان وغيره وأريد منه الزمان المحدّد، مثل: يوم عاشوراء، ويوم العيد، ويوم عرفة، وغير ذلك.

وأقوال الفقهاء وآراؤهم اهتمّت بلفظ اليوم بدءاً وانتهاءً؛ وذلك لما يتعلّق به من





أفعال واجبة ومستحبة، ويمكن مراجعة ذلك في كتبهم^(١)، فيوم عرفة شامل لليل والنهار معاً ولا ينصرف لخصوص النهار؛ لشمول الأدلة لفضل ليلة عرفة وزيارتها أيضاً.

وفي ضوء هذا التحديد نجد أنّ ليلة التاسع من ذي الحجة (ليلة عرفة) أمست من الليالي المخصوصة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مثل زيارة ليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلة الجمعة، وليلة العيدين، وغير ذلك؛ فقد ورد الحث والترغيب، وطُلب من المؤمنين زيارة أرض كربلاء، ومن حلّ فيها من الشهداء ليلة عرفة من غروب الشمس وإلى طلوع الشمس، أي: طول الليل.

روى الشيخ الطوسي، عن ابن ميثم التمار، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مَنْ زار الحسين عليه السلام، أو قال: مَنْ زار ليلة عرفة أرض كربلاء، وأقام بها حتى يُعَيّد، ثم ينصرف، وقاه الله شرّ سنته»^(٢).

فبقاء الزائر في كربلاء طيلة الفترة المذكورة هو نحو من المكث في هذه المدة حباً وموالة لمن دُفن فيها من الشهداء، فالجزء هو الوقاية والحفظ من الأشرار والبلايا سنة هجرية كاملة، وهذا الأثر وارد في مضامين أخرى.

كما ورد المضمون نفسه ولكن بتعبير آخر منقول عن ابن قولويه، وبإسناده عن ابن ميثم التمار، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مَنْ بات ليلة عرفة في كربلاء، وأقام بها حتى يُعَيّد وينصرف، وقاه الله شرّ سنته»^(٣).

(١) أنظر: الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج ١٨، ص ٣٤ عند حديثه عن خيار الحيوان. الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقرير: الشيخ الغروي): ج ٨، ص ٣٤٥، طلوع الفجر تحديد المواقيت في الصلاة.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٤٩٨. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٥٦. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٩، ح ١٠. وأنظر: النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٨٧. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٠٩.

والمفهوم من سياق الرواية هو أنّ المبيت المقصود هو المصاحب للزيارة وليس المجرد عنها، كمن يذهب إلى أداء صلاة رحمه، وقضاء حاجة معينة من دون امتثال أعمال الزيارة.

ومن الروايات الواردة في الصدّد نفسه أيضاً ما رواه ابن قولويه، عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَن زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة متقبّلة، وقُضيت له ألف حاجة من حوائج الدُّنيا والآخرة»^(١).

إنّ الإتيان بزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام في الليالي المعيّنة جمعاً في سنة واحدة هو من أجل أن ينال العبد الوعد بالثواب من الله تعالى، ويحصل على الآثار الثلاثة، وعنده عليه السلام العطاء غير محدود، بل هو أكثر من ذلك عطاءً ورحمة.

المبحث الأول: فضل زيارة عرفة

إنّ يوم عرفة يوم شريف، ويوم مناجاة ودعاء وتوسّل، وفيه أعمال كثيرة عبادية سواء من كانت وظيفته أداء شعائر الحجّ، أم من كان في ضيافة سيّد الشهداء عليه السلام، أم كان في أماكن أخرى غيرهما.

أمّا فيما يتعلّق بفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم فالروايات في ذلك مستفيضة، وهي تأكّد الاهتمام بزيارته عليه السلام يوم عرفة، ويمكننا تصنيفها على وفق ما يلي:

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ١٨١. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥١. الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٥٣٨. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩٠.

أولاً: زيارة قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة سبب للحصول على ثواب الحج والعمرة

قد يوفق زائر قبر الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم المبارك - بحسب ما جاء في الروايات - لينال ثواب الحج والعمرة والغزوة مع المعصوم والإمام العادل.

ومن هذه الروايات ما رواه ابن قولويه، بسنده عن بشير الدّهان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ربما فاتني الحج فأعترف عند قبر الحسين عليه السلام». قال: أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كُتبت له عشرون حجة وعشرون عمرة مبرورات متقبّلات وعشرون غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عيد كُتبت له مئة حجة ومئة عمرة ومئة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقه كُتبت له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبّلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل. قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر [عليه السلام] إليّ شبه المغضب، ثم قال: يا بشير، إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل بالفرات ثم توجه إليه، كتب الله عز وجل له بكل خطوة حجة بمناسكها. ولا أعلمه إلا قال: وغزوة (عمرة)»^(١).

فالإمام عليه السلام يعرف قدر هذا اليوم ومكانته وفضله، ويُرِيد الحث والترغيب على زيارة جدّه الحسين عليه السلام في هذا اليوم. ولا سيّما لو جاء بها المكلف ماشياً، مع الإتيان بجميع الآداب والوظائف الشرعية لها من الاغتسال والنية، فينال حينها ما وعد الله به من الثواب على كلّ خطوة يخطوها نحو قبر سيّد الشهداء وأبي الأحرار عليه السلام، بل يزيد الأجر ويتضاعف بمقدار نية المؤمن وتوجهه وإخلاصه وحليّة ماله.

وهناك مضمون آخر قريب ممّا تقدّم، فقد روى ابن قولويه بسنده عن بشير

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦٩. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٠٦. وأنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٣٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٠. الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١١٥. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٤٦. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٦.

الدَّهَّان أيضاً، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام يَوْمَ عَرَفَةَ عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ حَجَّةٍ وَأَلْفِ عُمْرَةٍ وَأَلْفِ غَزْوَةٍ مَعَ نَبِيِّ مَرْسَلٍ، وَمَنْ زَارَهُ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الْبُتَّةُ»^(١).

هذا؛ وأنَّ اختلاف أعداد الحجِّ والعمرة في لسان الروايات - المتقدمة - راجع إلى اختلاف ظروف وشرائط أداء الزيارة وإن كان لا خصوصية لمفهوم العدد، بل هو الترغيب والحثُّ على كثرة الثواب.

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ عَرَفَةَ عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَجَّةٍ مَقْبُولَةٍ، وَأَلْفَ عُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ»^(٢).

كما روى ابن قولويه، عن زيد الشحام، عن جعفر بن محمد عليه السلام: «... وَمَنْ زَارَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ حَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَأَلْفِ عُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ...»^(٣).

وله مضمون آخر قريب منه في لفظه مع تعيين قبر الحسين عليه السلام:^(٤).

وننبه هنا إلى أنَّ لفظ (كُتِبَ) في ظاهر الآيات والروايات بمعنى اللزوم، أي ثبت وتحقق ذلك للمكلف من فضل الله تعالى له، وما وعد عليه من الأجر عنده عز وجل.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٠. وأنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٨. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١٤، ص ١٤٧٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٨٩. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٠٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٤٩٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩١. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٠٤.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ١٠٥. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٩. النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٢١١. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ١٢/٤٢٣.

(٤) أنظر: الأصطهباناتي، محمد حسين، نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام: ص ٥٣٧.

ونبّه أيضاً بأن المعرفة لحق الإمام الحسين عليه السلام تارة هي معرفة إجمالية، وأخرى تفصيلية يكون فيها الزائر على دراية كاملة بضرورة نصرته عليه السلام، والدفاع عن حق الإمامة والطاعة والموالاتة والمتابعة العملية لسيرته ومنهجه وتعاليمه.

والروايات تؤكد هذا الالتزام بهدي أهل البيت عليه السلام، وألا يكون التعامل معهم عليه السلام على مستوى الشعائر فقط، وإنما من المفترض أن تكون أعمال وتطبيقات فعلية واقعية لفكر أهل البيت عليه السلام ونهجهم؛ ومن هنا نجد عتب الأئمة عليه السلام على بعض شيعتهم؛ لفقدانهم هذا النحو من المعرفة، حيث روى جابر، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «يا جابر، أيكثفي من يتحلل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون - يا جابر - إلا بالتواضع والتخشع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء»^(١).

أمّا فلسفة الفضل العظيم والثواب الجزيل لقاصد قبر المظلوم قربة إلى الله تعالى وتوسلاً به، فقد بينّها الفيض الكاشاني بقوله: «لعلّ الوجه في فضل زيارة أبي عبد الله عليه السلام على الحجة والعمره والغزوة وغير ذلك أضعافاً، أنّ في زيارته عليه السلام صلة وبرّاً له ولأخيه وأمه وأبيه وجدّه وبنيه وشيعته ومحبيه، بل سائر النبيين والوصيين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وإدخال سرور عليهم، وإجابة لهم، وتجديد عهد لولايتهم، وإحياء لأمرهم، وتبكيثاً لأعدائهم. وفي ذلك كلّ رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاء وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن أرضاه، وهي مع ذلك كلّ عباداة لله عز وجل من جهة إدخال السرور على رسوله ﷺ، وعلى ذريته وأوصيائه...

وأمّا الحجة والعمره والغزوة وغير ذلك فإنّها وإن كان فيها أيضاً إنفاق أموال،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٤.

ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر وحضور مشاعر، إلا أنها ليست بتلك المثابة في المثوبة؛ لأن هذه إنما هي عبادة الله سبحانه وإجابة لأمره عز ذكره، ومسرة له ولأوليائه بالإتيان بالعبادة فحسب، وليست فيها جميع تلك الأمور التي نبهنا عليها هناك، مع أنها تتأتى من كل مدع للإسلام وإن كان ناصبياً، بخلاف تلك فإنها لا تتأتى إلا ممن كان يعرف قدراً من قدرهم، وطرفاً من منزلتهم ولو ناقصاً.

وأما اختلاف الأخبار الواردة في مقدار فضل زيارته عليه السلام على الحجة والعمرة وغيرهما، فتارة ورد أنها تعدل حجة، وأخرى أنها أفضل من عشرين حجة وعشرين عمرة، أو مئة أو ألفاً وغير ذلك، فلعل الوجه فيه اختلاف الناس في عرفان حقه وحرمة، وتفاوت درجاتهم في إخلاص النية في زيارته عليه السلام، وتباينهم في سهولة إتيانهم بالحج وصعوبته. وليعلم أن كل عبادة بخصوصها وسيلة إلى الله سبحانه وإلى مغفرته من جهة ليست تلك الجهة في عبادة أخرى، وكل عبد وإن ناسب عبادة هي في حقه أخرى ولكن ليس بالحرى أن يترك عبادة من رأسها لكون غيرها به أولى، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَغْفِرُوا **الْحَيْرَتِ...**﴾^(١). وقد ورد في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)^(٢).

فهو عطاء رباني غير محدود يناله العبد بعمله ونيته وإخلاصه وطاعته لله تعالى، فيرجع المؤمن بعد الزيارة ويداه مملوءتان بالخير والرحمة والمغفرة وقبول الأعمال عند الله تعالى. وفي هذا الصدد روي عن أبي حمزة الثمالي قوله: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من عرّف عند قبر الحسين عليه السلام لم يرجع صفراً، ولكن يرجع مملوءاً»^(٣). فالرواية مطلقة وتناسب ما يرغب فيه المؤمن لما يوضع في يده من الخير.

(١) البقرة: الآية ١٤٨.

(٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١٤، ص ١٤٨٣.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٤٩٨. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل

الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٤.

ثانياً: رجوع الزائر مطمئن القلب

وردت الأخبار الدالة على أنّ الزائر بعد رجوعه من أداء مراسم الزيارة يكون مطمئن القلب وفرحاً ومسروراً، فقد روى ابن قولويه، بسنده عن داود الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وأبا الحسن الرضا عليه السلام وهما يقولان: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام بعرفة قلبه الله ثلج الفؤاد»^(١).

ونبيّن هنا بعض النقاط المهمّة لتوضيح الرواية وتحليل معناها:

١- ثلج الفؤاد: أي: مطمئن القلب، ذويقين بالعقائد الإيمانية، أو مسرور بالمغفرة والرحمة، وقد ذهبت عنه الكروب والأحزان، فعن ابن الأثير: ثلجت نفسي بالأمر إذا اطمأنت إليه وسكنت، وثبت فيها ووثقت به^(٢).

وورد هذا المصطلح - ثلج الفؤاد - أيضاً في وصف مَنْ شرب الماء وذكر عطش الحسين عليه السلام، ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مئة ألف حسنة، وحطّ عنه مئة ألف سيئة، ورفع له مئة ألف درجة... وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد»^(٣).

وهذا الخبر يُرجّح نسخة الرواية التي فيها أنّ اطمئنان القلب يوم القيامة هو أثر في الحياة الآخرة.

٢- اختلاف الألفاظ بين (أقلبه، قلبه، بعثه)، واختلاف النسبة والتقييد بيوم القيامة في بعض نسخ الرواية، ليكون اطمئنان القلب أثراً أخروياً، أو (أقلبه الله) مطلق شامل ليوم القيامة والدنيا، والإطلاق والتقييد في المندوبات غير تام؛ لتعدد المطلوب فيها، فينال بعض المؤمنين الأثر في الدنيا، وبعضهم في الدنيا والآخرة، وثالث اطمئنان القلب يكون له في الآخرة فقط.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٠. وأنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب

الأعمال: ص ١١٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٨٦. الحرّ العاملي، محمد بن

الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٣. النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٨٣.

(٢) أنظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ١، ص ١٥٧.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٣.

٣- صدور الرواية كما في نسخة الصدوق في (ثواب الأعمال) عن ثلاثة من المعصومين عليهم السلام، وهم: الإمام جعفر بن محمد الصادق، الإمام موسى بن جعفر الكاظم، الإمام علي بن موسى الرضا عليهم السلام.

ثالثاً: زائر الحسين عليه السلام يوم عرفة هو الصديق المؤمن بوعد الله تعالى

أكدت الأخبار عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ زائر قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة صديق وممن تمت تركيته والشهادة بحقه من قبل الملائكة عند الله تعالى، فقد روى المفيد بسنده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعق ألف ألف نسمة، وحمّلان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدني، وقالت الملائكة: فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه، وسُمّي في الأرض كربوياً»^(١). والكروبيون: هم سادة الملائكة^(٢).

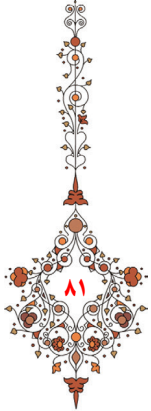
رابعاً: طهارة مولد زائر الحسين عليه السلام

إنّ من علامات طهارة الزائر وصحة نسبته لأبيه ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام وزيارته لقبورهم، فقد روى ابن قولويه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوّار قبر الحسين [بن علي] عليه السلام عشية عرفة. قال: قلت: قبل نظره لأهل الموقف؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا»^(٣).

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٤٦. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٢. وورد في الأخير: (كروباً) بدل (كربوياً).

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ١، ص ١٢٣.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٧. وأنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٠.



توضيح مفاد الرواية

إنَّ المراد من (النظر) في الرواية هو شمول زوَّار الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة برحمته تعالى ومغفرته وقبول أعمالهم واستجابة دعائهم، فقد نقلت الروايات استجابة الدعاء تحت قبَّته، وهو من آثار زيارته عليه السلام. فهنا مجرد سبق في قبول العمل للزائر، وإلا فالزمان معدوم عند الله عز وجل.

ومصطلح (عشيَّة عرفة) يُطلق على الفترة الزمنية من الزوال إلى غروب الشمس أو القرية منه، ويُفهم ذلك من (أهل الموقف)، فموقف عرفة يبدأ من زوال الشمس يوم التاسع من ذي الحجة إلى غروبها في ذلك اليوم. بينما المؤمن في أثناء زيارته لقبر المولى الإمام الحسين عليه السلام يكون الوقت له موسَّعاً من غروب الشمس ليلة عرفة وإلى غروبها من يوم عرفة. فوق الرحمة لهم أوسع عند مَنْ وصف نفسه بأنَّ رحمته سبقت غضبه. وتتميماً للحديث في هذا المبحث فإنَّنا نودُّ إيقاف القارئ - بناءً على البندين أولاً ورابعاً - على مقارنة موجزة نوضح له من خلالها مدى الترابط الإيماني بين الموقفين، موقف الحجيج يوم عرفة، وموقف زوَّار الإمام الحسين عليه السلام في اليوم ذاته.

الترابط الإيماني بين الموقفين

هناك طائفة من الروايات صوّرت لنا مقارنة بين الحجاج في دعائهم يوم عرفة في وادي عرفة بمكة، والمؤمنين في توجَّههم ودعائهم وهم يزورون قبر الإمام الحسين عليه السلام، فقد روى ابن قولويه ذلك بعدة أسناد:

منها: ما رواه بسنده عن عبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الله تبارك وتعالى يتجلى لزوَّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم، ثم [يأتي] يشي بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك»^(١).

ومنها: ما رواه بسنده عن يونس بن يعقوب بن عمَّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦٥. وأنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجَّد: ص ٤٩٧.

«مَنْ فاتته عرفة بعرفات فأدركها بقبر الحسين عليه السلام لم يفته، وأنَّ الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ثمَّ يخاطبهم بنفسه»^(١).

ومنها: ما رواه بسنده عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا كان يوم عرفة اطلع الله تعالى على زوَّار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال لهم: استأنفوا، فقد غفرت لكم، ثمَّ يجعل إقامته عليه السلام على أهل عرفات»^(٢).

ومنها: ما رواه بسنده عن عمر بن الحسن العزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم عرفة نظر الله إلى زوَّار قبر الحسين عليه السلام فيقول: ارجعوا مغفوراً لكم ما مضى، ولا يكتب على أحد منهم ذنب سبعين يوماً من يوم ينصرف»^(٣).

ومنها: ما رواه بسنده عن بشير الدهان، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو نازل بالحيرة وعنده جماعة من الشيعة، فأقبل إليَّ بوجهه فقال: يا بشير، أحججت العام؟ قلت: جعلت فداك، لا، ولكن عرفت بالقبر، قبر الحسين عليه السلام. فقال: يا بشير، والله ما فاتك شيءٌ ممَّا كان لأصحاب مكة بمكة. قلت: جعلت فداك، فيه عرفات؟ فسره لي. فقال: يا بشير، إنَّ الرجل منكم ليغتسل على شاطئ الفرات، ثمَّ يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، فيعطيه الله بكلِّ قدم يرفعها أو يضعها مئة حجة مقبولة، ومئة عمرة مبرورة، ومئة غزوة مع نبيٍّ مرسل إلى أعداء الله وأعداء رسوله»^(٤). يا بشير، اسمع وأبلغ من احتمل قلبه: مَنْ زار الحسين عليه السلام يوم عرفة كان كَمَنْ زار الله [تبارك وتعالى] في عرشه»^(٥).

ومنها: ما رواه بسنده عن بشار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ كان معسراً فلم

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٠. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧١. وأنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٣.

(٤) وفي بعض نسخ الرواية: (إلى أعدى عدوه).

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٢. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٨٧. النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٠٩.

يتهيأ له حجة الإسلام، فليأت قبر الحسين عليه السلام وليعرّف عنده، فذلك يجزيه عن حجة الإسلام، أما إنّي لا أقول يجزي ذلك عن حجة الإسلام إلّا للمعسر، فأما الموسر إذا كان قد حجّ حجة الإسلام فأراد أن يتنفل بالحجّ أو العمرة ومنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأنتى [قبر] الحسين عليه السلام في يوم عرفة، أجزأه ذلك عن أداء الحجّ أو العمرة، وضاعف الله له ذلك أضعافاً مضاعفة.

قلت: كم تعدل حجة؟ وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يُحصى ذلك. قال: قلت: مئة؟ قال: ومن يُحصي ذلك؟ قلت: ألف؟ قال: وأكثر من ذلك، ثم قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ ^(١) «(٢)».

كما روى الطوسي في ذات الصدّد بسنده عن رفاعه النّحاس، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا رفاعه، أما حججت العام؟ قال: قلت: جعلت فداك، ما كان عندي ما أحجّ به، ولكنّي عرّفت عند قبر حسين بن علي عليه السلام. فقال لي: يا رفاعه، ما قصرت عمّا كان أهل منى فيه، لولا أنّي أكره أن يدع الناس الحجّ لحدّثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام أبداً.

ثمّ نكت الأرض وسكت طويلاً، ثمّ قال: أخبرني أبي قال: من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غير مستكبر، صحبه ألف ملك عن يمينه، وألف ملك عن يساره، وكتب له ألف حجة، وألف عمرة مع نبيّ أو وصيّ نبيّ» ^(٣).

وبعد عرض هذه الروايات التي تُقارن بين أهل موقف عرفة مع زائري الحسين عليه السلام يوم عرفة، نبين مجموعة نقاط مهمّة:

(١) إبراهيم: الآية ٣٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٣. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، كما أنّ المجلسي في سلسلة السند قال: «عن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال...».

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٤.

الأولى: اختلاف رواية الأحاديث عن المعصوم عليه السلام، ولا سيما من أمثال: عبد الله بن مسكان، ويونس بن يعقوب بن عمار، ورفاعة النحاس، وغيرهم من الرواة، دليل على صدور هذه الفكرة في عدة مواطن؛ مما يعني الحث المتزايد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم.

الثانية: اختلاف ألفاظ متن بعض الروايات (يشني، يأتي، ينظر، يطّلع، يتجلى) مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ كلّ هذه الروايات تُشير إلى فكرة واحدة، هي نوع من العناية والاهتمام بزائري قبر الحسين عليه السلام أكثر من غيرهم.

الثالثة: أنّ المراد من (التجلي)، وكذا (الإتيان) وشبههما من الألفاظ الواردة في الروايات المتقدمة هو معنى واحد، وذلك هو تجليّه بمظاهر الجلال والعظمة تشریفاً لتلك البقعة الطاهرة، وتقديساً لمن حلّ فيها، وتحليلاً لمن يممها وقصد إليها، كما تجلّى سبحانه وتعالى للجبل فجعله دكّاً، فكان تجليّه للجبل تجليّ قهر وجبروت؛ لذلك خرّ موسى عليه السلام صعباً.

وفي المقام؛ فالتجليّ هو عطف ولطف يتحمّله المحلّ ومن فيه، خصوصاً مع ملاحظة أنّ مرتبة السبط الشهيد عليه السلام لا شك أنّها أرقى من مرتبة الكليم عليه السلام. ولذلك التجليّ آثار يُدركها كلّ زائر حسب مرتبته في الإيمان، ويتفاوتون في ذلك، فبعضهم بقضاء الحوائج وغفران الذنوب، ومن كُشف له الغطاء - كالإمام المعصوم عليه السلام - يكون التجليّ بالنسبة إليه أرقى من ذلك بكثير^(١).

الرابعة: التوجّه إلى النسبة الإيمانية، وصدق القول، والعمل والنية، والاتّجاه الفكري والعقدي، والطاعة لله تعالى، فأكثر الزائرين من المؤمنين بالمعنى الخاصّ، وأمّا أهل عرفة فالأكثر منهم من العامّة ومن ينطبق عليهم عنوان المسلم وحسب.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧١ (الهامش). وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٧ (الهامش).



والدليل على ذلك الوجدان والواقع في وجود مثل هؤلاء الأفراد بين المحلّين. والله عزّ وجلّ يسمع دعاء المؤمن وتوجّهه ويقضي حاجته ويفضّله على المسلم. لذلك فقد أشارت الروايات لما هو الأغلب في وقتهم، والفرد البارز من أهل عرفة وزائري قبر الحسين عليه السلام في يوم عرفة، وهذا لا يعني تخصيص العناية بهم دون غيرهم، ولا يصرف العناية الإلهية عن غيرهم وهو أرحم الراحمين، وسعت رحمته كلّ شيء.

المبحث الثاني: آثار زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة

تمهيد

هناك خصائص أعطيت من الله تعالى والرسول ﷺ للإمام الحسين عليه السلام، ومنها: الزيارات المخصوصة في أيام السنة له ولأبيه أمير المؤمنين عليه السلام. ولهذه المناسبات آثار عامّة ينالها الزائر، وهي مختلفة قد ورد الحثّ عليها في الروايات المروية في زيارة الحسين عليه السلام المطلقة والمخصوصة.

ومن هذه الآثار العامّة: دعاء الملائكة وسلامهم واستغفارهم لزائر الحسين عليه السلام، بل في زيارته سرور يصل للزهراء وأبيها وبعلمها وبنيتها عليه السلام. كما أنّ أيام زيارته لا تُحسب من عمر الزائر في الدنيا، ويشمل الزائر دعاء الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام له كما في بعض الروايات.

إنّ هذه الآثار والأسرار والخصائص لا ينالها الزائر ولا تكون ثمرة لعمله في الدنيا والآخرة إلّا مع توفّر الأرضية الصالحة في عمله ونيّته ومعرفته لمن يزور، وما طبّقه من سيرته في حياته وعمله. فقبول هذا العمل العبادي منه عند الله تعالى يتطلّب رفع كلّ موانع استجابة الدعاء، وهي كثيرة، ومنها حبّ الدنيا وشهواتها ومشتهاياتها، لذا يتحمّ محو كلّ حواجب تمنع من تأثير تلك الأهداف الروحية والأسرار المعنوية.



فعند قول الزائر: «أشهد أنك قد أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر...»^(١)، من الضروري أنه قد طبق هذا الواجب في حياته وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر. وكذلك عند قوله: «وأتيت الزكاة»، فمن اللازم أن الزائر قد دفع الزكاة، سواء الواجبة المالية والبدنية، أم المندوبة كالصدقات وغيرها. فلا تثمر هذه الزيارة إلا مع زوال هذه الموانع كلها من قائمة عمله. ونظراً لكون البحث يدور حول الآثار والأسرار الروحية والمعنوية والدينية لخصوص مناسبة زيارة يوم عرفة، لذلك سوف نخصّص بحثاً بهذه الزيارة على وجه الخصوص؛ لذا سيتنظم حديثنا في المقام في مطلبين مهمين، هما:

المطلب الأول: الآثار الدنيوية

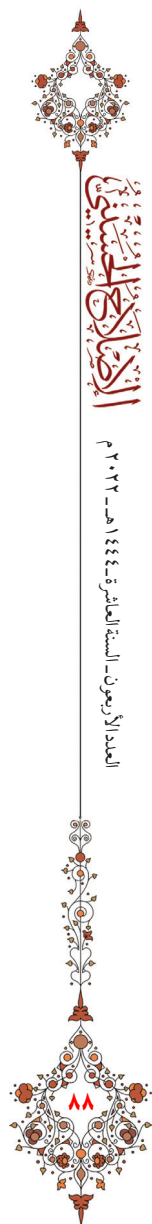
هناك آثار معيّنة يتوخّاها الزائر عند زيارته للإمام الحسين عليه السلام في الدنيا، ويكسبها في حياته، ويحسّ بها بالتجربة والوجدان، من البركات والنعم وكثرة الرزق ومضاعفته عليه. وهذه الآثار عبارة عن:

أولاً: الوقاية من الأضرار لمدة سنة

قد يقع على الفرد نوع من البلاء والشرّ والفتن ومصائب الدنيا الكثيرة، وهناك وسائل للوقاية من ذلك، ومنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، وقد حدّدت هذه الحصانة والحفظ للزائر لمدة سنة، وهي اثنا عشر شهراً من يوم عرفة وإلى يوم عرفة في السنة القادمة، فقد روى الطوسي، عن ابن ميثم التمار، عن الباقر عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ قَالَ: مَنْ زَارَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى يَعِيدَ، ثُمَّ يَنْصَرِفَ، وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ سَنَتِهِ»^(٢).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٤٩٨. وأنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٦١٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩٠.



إنَّ بقاء الزائر في كربلاء ليلتين مع يومين هو نحو من المكث في هذه المدَّة حبًّا وموالاة لمن دُفِن فيها من الشهداء، فالجزء هو الوقاية والحفظ من الأشرار والبلايا سنة هجرية كاملة، وهذا الأثر وارد في مضامين أخرى، فقد ورد المضمون نفسه ولكن بتعبير آخر منقول عن ابن قولويه، وبإسناده عن ابن ميثم التمار، عن الباقر عليه السلام قال: «مَن بات ليلة عرفة في كربلاء، وأقام بها حتَّى يُعَيِّد وينصرف، وقاه الله شرَّ سنته»^(١). ويتَّحد هذا المقتضي لزيارة عرفة مع المغزى العام في كلِّ زيارة، من أنَّها تقتضي حفظ الزائر حتَّى يرجع، أو لمدَّة سنة، أو أقلَّ وأكثر.

فإنَّ الإتيان بزيارة الإمام الحسين عليه السلام مطلقاً أو معيّناً بيوم عرفة يوجب حفظ النفس والمال ودفع السوء والهَمِّ والغَمِّ، روى ابن قولويه بسنده عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت: جُعِلَتْ فداك، ما أدنى ما يكون لزوار الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله، إنَّ أدنى ما يكون له أن يُحفظ في نفسه وماله حتَّى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله أحفظ له»^(٢).

الملاحظ وجود اختلاف في ألفاظ متن الرواية، من قبيل: (ما لزوار قبر الحسين عليه السلام؟)، (ما لزائر قبر الحسين عليه السلام؟)، (أن يحفظه الله في نفسه). كما جاء في مجموعة من الروايات: «ولم يزل محفوظاً حتَّى يرجع...»^(٣).

ومن مصاديق الوقاية من آفات الدنيا ما رواه الصدوق بسنده عن محمد بن

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٩. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٩٠. النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٨٧. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٠٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٣. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٤٧. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٠. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق.

مسلم، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام؛ فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع...»^(١).

إنّ هذه الأمور الأربعة من أبرز أنواع البلاء وأوضحها، ويمكن دفع غيرها من المصائب، وتحقيق الحفظ في زيارته عليه السلام.

وفي مضمون ثانٍ عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: أنّ الزائر «يُصرف عنه سوء»^(٢).

وفي مضمون ثالث عنه عليه السلام، قال: «وَحُفِظَ فِي كُلِّ مَا خَلْفَ»^(٣).

وفي هذا الصدد وجدت إشكالية مفادها: قد يصدف أنّ الزائر يموت في أثناء سفر الزيارة، أو يصيبه البلاء في طريق الزيارة، بعد الدخول أو الخروج والانتفاء من الزيارة، أو يُصاب بنفسه وماله ولا يُحفظ.

الإجابة: ممّا لا شكّ فيه أنّه في المقام لا بدّ من وجود مقتضي وعدم المانع - الناشئ بسبب عمل المكلف - من تأثيره، ففي حال عدم تأثيره بسبب المانع، أو تعارض مقتضيين في المقام، لا يترتب الأثر.

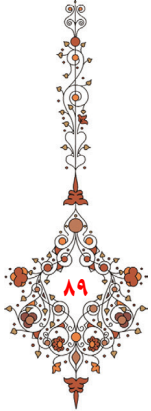
والتحقيق أكثر في الجواب على وفق الحقّ والصواب أن يقال: إنّ الله سبحانه وتعالى بمقتضى حكمته البالغة وقدرته الباهرة، جعل الأعمال التي يأتي بها المكلف من الواجبات والمستحبات بمنزلة الأدوية النافعة، والمحرمات والمكروهات بمنزلة الضارّة، بل السموم القاتلة.

وبالجملة: كلّ ما يأتي به الإنسان من واجب ومستحبّ ومحرم ومكروه له

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٢٦. الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٢.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٢٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٨١.



خاصية تترتب عليه، وهنا فكما أنَّ الأدوية المفردة لها خواصّ فكذا الأعمال، وكما أنَّ مَنْ شرب الكافور والمبرّدات - مثلاً - يحصل له تبريد، ولكنّه مشروط بعدم تناول شيء حارّ مقابله، وبالعكس، فكذا الأعمال؛ فإنّ كون زيارة الحسين عليه السلام - ونحوها - ممّا ينسئ في الأجل، ويزيد في الرزق، ويدفع البلاء، ويحفظ المال والنفس، مشروط بعدم الإقدام على عمل آخر يوجب نقصان العمر وحرمان الرزق. وكما أنَّ مَنْ تناول شيئاً حارّاً وآخر بارداً يتعارضان، وأيّهما غلب في المرتبة بالنسبة إلى المزاج غلب في التأثير، فكذا مَنْ عمل عملين يوجب أحدهما نقصان العمر والآخر زيادته يتعارضان، فأيّهما غلب أثر، وإن تساويا تساقطا.

وحينئذٍ فالأعمال التي ذكرت لها خواصّ وآثار حقّ وصدق، ولكنّا لا نرى أثرها، أو نرى الأثر العكسي الذي يقابلها؛ وذلك لأجل الإقدام على مقابلها وضدّها، ولهذا نرى لها الأثر في بعض الأوقات ولا نراه في بعض آخر، فلا إشكال في ذلك.

وربّما أُجيب بأجوبة أخرى أيضاً:

أحدها: أنَّ أنواع ثواب العبادات كثيرة كما تدلّ عليه أحاديث ثواب الأعمال من: طول العمر، وسعة الرزق، ودفع البلاء والأمراض، وحصول الجاه، وغفران الذنوب، ومضاعفة الثواب، ونحوها.

وبالجملة: كلّ عمل يكون بإزائه مثوبات كثيرة، فقد يستحقّ بعض العاملين بعضها دون بعض، وقد يستحقّها كلّها، فلعلّ مَنْ لم يحصل له أثر طول العمر أو نحوه قد حصل له عوض آخر اقتضته المصلحة.

وثانيها: أنَّ شروط القبول كثيرة، والموانع كثيرة أيضاً، وناهيك بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، فلعلّ مَنْ مات من الزائرين يَمُنّ لم يقبل عمله، وفي ذلك لطف للمكلّف لئلاّ يعتمد على أعماله، وليكون دائماً بين الخوف والرجاء.

وثالثها: أن يكون طول العمر وزيادته بقدر الذهاب والعود كلياً حاصلًا لكلّ أحد، وهذا على قسمين: منه ما يحصل قبل الموت، ومنه ما يحصل بعده في الرجعة^(١).

ثانياً: قضاء الحاجات

من الآثار المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة أيضاً هو قضاء الحاجات الدنيوية وتسهيلها. وهذا الأثر ورد تحديده في مجموعة من الروايات في خصوص هذه المناسبة، وفي مطلق زيارة الحسين عليه السلام في مناسبات أخرى غيرها. ونقلنا الرواية عند بحثنا عن مشروعية زيارة الحسين عليه السلام ليلة عرفة وفضيلتها، وهي تحت وترغب في كون زيارة ليلة عرفة تقضي الحاجات، وهي من حوائج الدنيا والآخرة، فقد روى ابن قولويه بسنده عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ، وَأَلْفَ عَمْرَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَقُضِيَ لَهُ أَلْفُ حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

أمّا في مطلق زيارة الحسين عليه السلام وأتمّها تُنَفِّسَ كَرْبَ الزَّائِرِ وَهَمَّهُ وَتَقْضَى حَوَائِجُهُ وَتُسَهَّلَ لَهَا، فالروايات الواردة في المقام أكثر من أربعة عشر خبراً^(٣).

نعم، قد تكون هناك مصلحة في تأخير قضاء الحاجة؛ وذلك من أجل مصلحة لا يعلمها إلا الله تعالى، كحبه لإلحاح العبد ودعائه وتوجهه إليه، أو أن تأخيرها لوجود ملاك أعظم من قضاء الحاجة، مضافاً إلى ما في التأخير من اختبار الإيمان

(١) أنظر: شبر، عبد الله، مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار: ج ٢، ص ٥١٦. الأصبهاني، محمد حسين، نور العين في المشي إلى زيارة الحسين عليه السلام: ص ١٨٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨١. وأنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٦. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١٤، ص ١٤٧٥.

(٣) الأصبهاني، محمد حسين، نور العين في المشي لزيارة الحسين عليه السلام: ص ٢١٦.



والصبر والتحمل من المؤمن للبلاء، وكذلك لعل التأخير هو بسبب وجود المانع، وغير ذلك من الوجوه، والله تعالى هو أعلم بحقائق الأمور وعواقبها.

ثالثاً: الزائر مجاهد في سبيل الله

قد ينال الزائر في زيارته ثواب المشاركة في الجهاد والغزو والحرب بين يدي المعصوم عليه السلام، فالسفر والنقل وقصد المسافة وإنفاق الأموال وعملية القتال، كلها تعدّ جهوداً محلّها الحياة الدنيا، فهو بزيارته قد حصل على هذه الأمور الدنيوية. نعم، يكون أجره عند الله في الدنيا والآخرة معاً، ويشمله جميع ما أُعدّ من الثواب للمجاهدين بين يدي المعصوم عليه السلام، فهم أحياء عند ربهم يرزقون.

والشاهد على هذا الأثر هو ما تقدّم في صحيحة بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ عَرَفَةَ عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ حِجَّةٍ وَأَلْفِ عُمْرَةٍ وَأَلْفِ غَزْوَةٍ مَعَ نَبِيِّ مَرْسَلٍ...»^(١).

فالغزو والحرب مع المعصوم عليه السلام كان محلّه في الدنيا، والزائر بذل جهداً دنيوياً في سبيل القصد لشعائر الزيارة، ونقلنا - فيما تقدّم - رواية مفصلة وأخرى مختصرة في هذا المضمون؛ كما جاءت طائفة من الروايات تؤكد أنّ زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام تعدل عند الله الجهاد في سبيل الله^(٢).

رابعاً: حصول الزائر على اطمئنان القلب وصحة العقيدة والفرح والسرور

من خصائص زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة أنّها تورث قلب الزائر الاطمئنان والسرور والفرح، وتذهب عنه الهمّ والغمّ. وسبق أن أشرنا إلى أنّ الروايات قد أشارت إلى هذه النعمة، وهي رجوع الزائر وقلبه مطمئنّ ومسرور وفرح وخال من كلّ هموم الدنيا. بل هناك ترقّ في فضل التشرف بأعتاب قبر الحسين عليه السلام، وهو

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٠. أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٨. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ٨، ص ٢٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٨٩.

(٢) أنظر: الأصبهاني، محمد حسين، نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام: ص ٢٣٦.

اطمئنان قلب الزائر يوم البعث الأكبر ويوم الحساب. فعن داود الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وأبا الحسن الرضا عليه السلام وهما يقولان: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام بعرفة قلبه الله ثلج الفؤاد»^(١).

وقد تقدّم منّا - في هذا المقال - تبين بعض النقاط المتعلقة بهذه الرواية، كان منها ما يتعلّق بمعنى عبارة (ثلج الفؤاد) التي تدلّ على اطمئنان القلب، وأنّ الزائر سيكون ذا يقين بالعقائد الإيمانية، أو مسروراً بالمغفرة والرحمة وقد ذهب عنه الكرب والأحزان. كما تقدّمت منّا أيضاً تفاصيل أخرى تتعلّق بصدور هذه الروايات عن المعصومين عليه السلام.

خامساً: ملء يد الزائر من الخير

من الخصائص والآثار التي يحصل عليها زائر قبر سيّد الشهداء وأبي الأحرار عليه السلام في يوم عرفة، امتلاء يده من الخير والرحمة والمغفرة والجزاء من الله. كما أنّه يوصف بكونه صديقاً، أي: كثير الصدق بوعد الله تعالى، والولاء والمودة لأهل البيت عليه السلام، فقد روي عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ عرّف عند قبر الحسين عليه السلام لم يرجع صفراً، ولكن يرجع ويداه مملوءتان»^(٢).

كما روي عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حبة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنت ألف ألف نسمة، وحمّلان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه، وسمّي في الأرض كروبياً»^(٣).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٠. الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١١٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد: ص ٤٩٨. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٦٢.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٤٦. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٢. وورد في الثاني: (كروباً) بدل (كروبياً).

فهو عطاء ربّاني غير محدود، يستحقّه العبد بعمله ونيّته وإخلاصه وحليّة ماله وطاعته لله تعالى.

هذه بعض الآثار والثمرات المترتبة على زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وهناك ثمرات أخرى غير ما ذكر من الناحية الاقتصادية والروحية والاجتماعية والدينية.

المطلب الثاني: الآثار في الحياة الآخرة

ينال الزائر لقبر الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء يوم عرفة من الثواب والجزاء يوم القيامة، المضاعف والوافر الذي يتناسب مع صاحب الرحمة الواسعة والعطاء الكبير، ومن مظاهر هذا الثواب:

١. ثواب الحجّ والعمرة

وهذا الثواب مضاعف، ويرتفع عدده من ثواب حجّ واحد وعمرة مقبولة ومبرورة واحدة إلى المئة، بل ويصل حتّى ألف حجّة وعمرة مقبولة. بل وُصف الحجّ والعمرة وقِيّداً في بعض الروايات بكونهما مع النبي (صلى الله عليه وآله) أو مع القائم المهدي (عليه السلام)، هذا نحو من التشريف والرفعة. وفي بعض الأخبار كون هذا الثواب يثبت للزائر على عدد خطوات قدمه ومسيره من بعيد أو قريب.

والزائر بصدق نيّته وحسن طاعته، وحليّة نفقته وتقواه وإيمانه، ومعرفته بالحسين (عليه السلام)، وجريان دمعته له، وعدم تكبره، بل مع الاستكانة والجوع والعطش وغيرها من الآداب، ينال مرافقة الملائكة ومصاحبتهم له، بل ينال دعاءهم له وردّ السلام عليه، وزيارته وعيادته لو مرض.

وكُلّ هذا يضاعف له من الله أضعافاً مضاعفة، لكن بشرط ألا يرسل ناراً تحرق هذا الفضل وتمحوه وتجعله هباءً منثوراً، مثل الغيبة والكذب والنميمة والقتل وهتك الأعراس وغيرها من الكبائر التي وعد الله عليها النار.

إنّ الخطوة التي يخطوها الزائر نحو قبر الحسين (عليه السلام) قد ورد بيان فضلها في رواية بشير الدهان عن الإمام الصادق (عليه السلام)، التي جاء فيها: «يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر

الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل بالفرات، ثم توجه إليه، كتب الله عز وجل له بكل خطوة حجة بمناسكها. ولا أعلمه إلا قال: وغزوة (عمرة)»^(١).

أمّا العدّ التصاعدي لما يحصل عليه الزائر من ثواب الحج والعمرة، فقد ورد في التفصيل الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة، ونظراً لكوننا أوردناها فيما تقدّم في صفحات هذا المقال فلا نعيدها طلباً للاختصار^(٢).

هذا؛ وينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أنّ مضاعفة أجر زائر الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة إلى ألف حجة وعمرة، هو مع صعوبة الحج والعمرة، لاستلزامها النفقة وطول السفر والجهد، ولا سيما في الأسفار القديمة الشاقة.

ولا بأس بأن نشير - ولو بتطبيق واحد - لما يترتب على الحج أو العمرة من الثواب؛ ليتبين وجه الشبه بينهما وبين زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة لمن لا يتيسّر له أداء الحج والعمرة لعذر شرعي أو عرفي أو قانوني. فقد روى الصدوق بسنده، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الحجة ثوابها الجنة، والعمرة كفارة لكل ذنب...»^(٣).

٢. غفران الذنوب

من الآثار الناتجة عن زيارة قبر الغريب العطشان المظلوم الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة ستر الله تعالى عن الزائر الذنوب، والشفاعة له، ومخاطبته باستئناف العمل، ويكون عند الله تعالى من المرضيين. لكن نؤكد أنّ كلّ هذا مع الالتزام والطاعة

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦٩. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٠٦. وأنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٣٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٠. الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١١٥. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٤٦. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) للمراجعة أكثر بشأن ثواب الزيارة بالقياس إلى الحج والعمرة يُنظر: الأصبهاني، محمد حسين، نور العين في المشي لزيارة قبر الحسين عليه السلام: ص ١٧٩-٢٢٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٨. وأنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٠٢.

وقبول العمل، روي عن عبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفعهم في مسائلهم، ثم [يأتي] يشني بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك»^(١).

ويقال لهذا الجمع الإيماني: استأنفوا العمل من جديد، فقد مُسحت ذنوبكم السابقة، وسوف تتشرفون بخطاب الله تعالى، وترتفعون من الحياة المادية إلى الحياة الروحية والمعنوية عند الله والملائكة والأولياء.

ثم يرتقي الفضل بالمؤمن إلى نحو أكثر، وهذا يتحقق في الحج والعمرة، وتشارك الزيارة معه، وهو ألا يكتب على أحد من الزائرين ذنب سبعين يوماً، فقد روي عن عمر بن الحسن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم عرفة نظر الله إلى زوار قبر الحسين عليه السلام فيقول: ارجعوا مغفوراً لكم ما مضى، ولا يكتب على أحد منهم ذنب سبعين يوماً من يوم ينصرف»^(٢).

وكُل هذا وغيره قليل بحق من ينصر المظلوم ويتذكر مصيبته.

المبحث الثالث: الأحكام الشرعية لزيارة عرفة

توطئة: إنَّ كلَّ فعل أو قول يصدر عن المكلف يتعلّق به أحد الأحكام الشرعية؛ لذا قسّم علماء أصول الفقه الحكم الشرعي إلى: حكم تكليفي، وآخر وضعي. وقُسّم الأوّل منها إلى: الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة^(٣). ويمكن مراجعة بيان هذه الأقسام في علم أصول الفقه.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٦٥، و ١٧٠. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعبد: ص ٤٩٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧١. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٣.

(٣) أنظر: كاشف الغطاء، علي، الأحكام: ج ١، ص ٤٥. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه: ج ١، ص ١٦. البهادلي، أحمد كاظم، مفتاح الوصول إلى علم الأصول: ج ١، ص ٢٣.

وفي المقام نطبّق - باختصار - ما يصلح من هذه الأحكام على فعل المكلف في زيارة قبر الإمام الشهيد عليه السلام يوم عرفة.

الحكم الأول: استحباب زيارة عرفة

دلّت الروايات على استحباب زيارة عرفة، وحثّت ورغبت المؤمنين عليها، وقد سبق ممّا عرض هذه الروايات في فضل الزيارة^(١)، ولا حاجة إلى إعادتها هنا. أمّا كلمات الفقهاء في هذا الصدد فنذكر ما قاله العلامة الحلي: «يستحبّ زيارة الحسين عليه السلام... ويستحبّ زيارته في يوم عرفة»^(٢).

الحكم الثاني: وجوب زيارة عرفة

إنّ الحكم الشرعي الأوّل لزيارة عرفة هو الاستحباب والندب، ولكن قد يترتب من أجل موضوعات معيّنة، بل موقف عرفة، والفعل الواجب هو ما يُطلب الإتيان به مع المنع من تركه، ويستقلّ العقل بالامتنال الإلزامي في مورده. المورد الأوّل: قد تجب زيارة عرفة بالنذر والعهد واليمين، أو شرط ضمن عقد لازم كالبيع والنكاح وغيرهما.

يمكن أن يقال في خصوص نذر زيارة عرفة بأنّه أهمّ من الحجّ؛ لما ورد من أنّ الله تعالى ينظر إلى زوّار الحسين عليه السلام في يوم عرفة قبل أن ينظر إلى الحجّاج. وفيه: أنّ هذا إنّما يدلّ على أكثرية ثواب زيارته في يوم عرفة من ثواب الحجّ، والعبرة في ترجيح أحد المتزاحمين ليست بأكثرية الثواب، بل بأهمّية الملاك، والثواب غير الملاك كما لا يخفى؛ فإنّ الثواب ما يترتب على امتثال الحكم، والملاك هو ما

(١) للمطالعة أكثر يُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص ٣٤٧. الكفعمي، إبراهيم، البلد الأمين: ص ٣٨٣. الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٤٩٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٣١.

(٢) الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ١، ص ٤٠٣.



يترتب عليه الحكم، فكيف تكون زيارة الحسين عليه السلام - مع قطع النظر عن النذر - أهم من حجة الإسلام مع أئمتها واجبة، والزيارة مستحبة؟

والواجب - بلا شك - أهم ملاكاً من المستحب، ولكن ذلك لا ينافي أن يكون ثواب المستحب أكثر من ثواب الواجب، كما في السلام الذي يكون ثوابه أكثر من ثواب رده، مع أن الثاني واجب والأول مستحب، وما يترتب على ترك رد السلام من المفسدة لا يترتب على ترك السلام كما لا يخفى.

ويمكن أن يقال بأهمية الحج على النذر؛ لأن الوعيد الذي تضمنته الروايات الواردة في ترك الحج شديدة اللهجة؛ فقد روي عن ذريح المحاربي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ومن مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطبق فيه الحج، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً»^(١).

وما ورد من إطلاق عنوان الكافر على تارك الحج لم يرد منه شيء في ترك المنذور، فيستكشف من تلك الأخبار أن الحج أهم من النذر، فيقدم عليه، ولا أقل من احتمال أهميته من النذر، وهو كافٍ في تقديمه عليه؛ فتقديم الحج عليه ليس من باب ما أفاده المحقق النائيني - كما سيتضح - بل من جهة أهميته. وإن لم نقل بأهمية الحج، فالمرجع التخيير.

وفي معرض البحث الفقهي حول الموضوع قال السيّد اليزدي ما نصّه: «النذر المعلق على أمر قسمان، تارة يكون التعليق على وجه الشرطية، كما إذا قال: إن جاء مسافري فلله عليّ أن أزور الحسين عليه السلام في عرفة. وتارة يكون على نحو الواجب المعلق، كأن يقول: لله عليّ أن أزور الحسين عليه السلام في عرفة عند مجيء مسافري. فعلى الأول يجب الحج إذا حصلت الاستطاعة قبل مجيء مسافره، وعلى الثاني لا يجب»^(٢).

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٣٠.

(٢) اليزدي، كاظم، العروة الوثقى: ج ٤، ص ٣٩٧، المسألة ٣٣.

ما ذكره عليه السلام صحيح على مبناه؛ فإن مبناه - بحسب عبارته المتقدمة - هو أنه لو توجه إليه الخطاب بالوفاء بالنذر قبل الاستطاعة منع ذلك عن تحقق الاستطاعة، بخلاف ما إذا كانت الاستطاعة متقدمة عليه. وعلى هذا؛ يتجه التفصيل بينما إذا كان نذره على نحو التعليق، وما إذا كان على نحو الشرطية، فعلى الأول تحقق المعلق عليه في الخارج كاشف عن أن الخطاب بالوفاء كان ثابتاً قبل تحققه بمجرد النذر، فهو مانع عن حصول الاستطاعة، وهذا بخلاف الثاني؛ لأنه قبل تحقق الشرط لم يجب عليه شيء حتى يصير مانعاً عن حصول الاستطاعة.

«وأورد المحقق النائيني على المصنف [السيد اليزدي] بأن النذر على نحو التعليق ليس قسماً للنذر على نحو الشرطية، بل النذر على نحو التعليق أيضاً قسم من النذر على نحو الشرطية.

وفيه: أن مقصود المصنف عليه السلام ليس جعله قسماً له وإن كان ربّما يوهمه العبارة، بل هو قسم منه، لكن في هذا القسم يكون الوجوب متحققاً قبل تحقق الشرط، فيمنع عن حصول الاستطاعة على مبناه، بخلاف ما إذا لم يكن كذلك، فإن الوجوب حينئذٍ يتحقق حين تحقق الشرط، فقبله لا وجوب حتى يمنع عن حصول الاستطاعة، فيختلف الحكم فيهما وإن كان النذر في كليهما مشروطاً»^(١).

نعم، النذر لزيارة الإمام الحسين عليه السلام سواء كان معلقاً على شرط، أم منجزاً، هو مشروع، ولكن يشترط في صحته القدرة على الاستطاعة له، ومن مصاديق ذلك ألا يكون مشغول الذمة بواجب آخر غيره، فلو استطاع قبل النذر على الحجّ فهنا لا يصحّ منه النذر ولا العهد ولا اليمين. أمّا لو نذر زيارة عرفة قبل الاستطاعة فإنّها تجب^(٢).

(١) الجنّاتي الشاهرودي، محمد إبراهيم، كتاب الحجّ، تقرير بحث السيد محمود الشاهرودي: ج ١، ص ١٥١.

(٢) أنظر: الحكيم، محسن، دليل الناسك: ص ٣٨.

المورد الثاني: قد تجب زيارة عرفة بالنيابة الواجبة بأجرة، أو بالوصية، أو الشرط ضمن عقد لازم. وقد تكون هذه النيابة الواجبة لزيارة عرفة مع شرط مباشرة النائب، أو يطلب النائب من غيره أن ينوب عنه في الزيارة. وتكون النيابة في الزيارة عن حيٍّ قادر ولم يوفَّق للزيارة، سواء كان واحداً، أم متعدداً، وتكون عن ميت، وتكون نيابة ذكر عن ذكر، أو أنثى عن أنثى، أو العكس فيهما، فكل ذلك صحيح.

الخاتمة

بُيِّنَ في ثنايا البحث أهميّة زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة وليلتها وفضلها ومشروعيتها وأحكامها الفقهية. وأهمّ الأحكام الشرعية لهذه المناسبة استحبابها، ووجوبها بالعنوان الثانوي من النذر والنيابة والإجارة وغيرها. والآثار الدنيوية والأخروية المترتبة على فعل الزيارة. وكلّ ذلك مستفاد من الروايات الواردة عن أهل بيت الرحمة (عليهم السلام).

كما تضمّن البحث فضل زيارة عرفة من ثواب الحجّ والعمرة، وينال الزائر لقبر الإمام الحسين (عليه السلام) اطمئنان القلب والسرور والفرح، وكون الزيارة علامة لطهارة المولد، والترابط المعرفي والإيماني بين زيارة الحسين (عليه السلام) يوم عرفة وثواب الموقف في عرفة بالحجّ؛ إذ الزائر مؤمن ومصدّق بالوعد الإلهي بالثواب وإجابة الدعاء.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . الأحكام، الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٤١١هـ)، مؤسّسة كاشف الغطاء،

النجف الأشرف.

٢ . أصول الفقه، محمّد رضا المظفّر (ت ١٣٨٣هـ)، دار الغدير، قم.

٣ . إقبال الأعمال، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة

الأولى، ١٤١٤هـ.

- ٤ . الأمالي، محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٥ . الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٦ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران.
- ٧ . البلد الأمين، تقي الدين إبراهيم بن علي بن العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٨ . تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ٩ . التنقيح في شرح العروة الوثقى، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، موسوعة السيد الخوئي، لندن.
- ١٠ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار الأضواء، ودار التعارف، بيروت.
- ١١ . ثواب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ١٢ . جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي الطباطبائي (ت ١٣٨٣هـ)، قم المقدسة، ١٣٩٦هـ.
- ١٣ . دليل الناسك، السيد محسن الحكيم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ١٤ . القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٢٣٩هـ)، دار التعارف، بيروت.
- ١٥ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٢٢٩هـ)، دار التعارف، بيروت.
- ١٦ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، الطبعة الحجرية، إيران.

١٧ . كتاب الحجّ: تقرير بحث السيّد محمود الشاهرودي، محمد إبراهيم الجنّاتي الشاهرودي، قم.

١٨ . المزار، محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ١٣٢٠هـ)، مصنّفات الشيخ المفيد، مؤسّسة التاريخ العربي.

١٩ . مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٠ . مصباح التهجد، محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

٢١ . المصباح، تقي الدين إبراهيم بن علي بن العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

٢٢ . مفتاح الوصول إلى علم الأصول، أحمد كاظم البهادلي، بيروت.

٢٣ . المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨٢هـ)، تحقيق: السيّد محمّد كلانتر، الجامعة الدينية، النجف الأشرف.

٢٤ . من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم.

٢٥ . النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمّد ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، مؤسّسة إسماعيليان، قم.

٢٦ . نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام، محمّد حسين الأصطهباناتي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

٢٧ . الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، إصفهان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٨ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

أثر زيارة الإمام الحسين عليه السلام في تنمية الذات وتكاملها

دراسة في القيم الأخلاقية

الشيخ رائد السري

أستاذ في الحوزة العلمية، ومدير مدرسة الغدير للعلوم الإسلامية/ البحرين

**The Impact of Visiting Imam al-Husayn (PBUH)
on Self-Development and Self-Improvement
– A Study in Ethical Values**

Shaykh Raed al-Setri

Lecturer at the Islamic Seminaries and director
of al-Ghadir School for Islamic Sciences, Bahrain

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تعزيز الطموح في مجال تنمية الذات وتطويرها من خلال زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك من خلال صناعة الحافز في نفس الزائر للتطوير والتنمية والتغيير، حيث إنّ الحافز هو المولّد للإرادة، والمحرّك الأهمّ نحو التطوير لاكتساب المهارات المختلفة، وتحسين السلوك، وتطوير الروحية، وتصحيح العلاقة مع الله عز وجل.

وقد بدأ البحث بمقدمة بيّنت محورية الإنسان، ومركزية الذات للإصلاح والتغيير، ليتنقل بعد ذلك في (التمهيد) إلى بيان أهمية البحث، ورسم تصوّرات لمفهومي (التنمية للذات، والتنمية إسلامياً)، ووصولاً بعد ذلك إلى تحديد المحاور، والانتقال إلى صلب البحث، الذي تمّ التركيز فيه على توضيح الارتباط بين زيارة الإمام الحسين عليه السلام وقصد الله سبحانه، وتلاقي الآثار المعنوية والروحية للزيارة مع الآثار الروحية المرتبطة بالله سبحانه؛ لرفع الغربة وإيجاد الأنس بالله سبحانه من خلال الزيارة، فينتفي ما قد يشكّل عائقاً روحياً يحول دون استئثار الزيارة لتنمية الذات روحياً ومعنوياً مع الله سبحانه.

ثمّ ينتقل البحث لبيان جنّات في زيارة الإمام عليه السلام من شأنها أن تضيف لعقل الزائر تطوراً ذاتياً يلامس البنية المعرفية، وتصحيحاً سلوكياً وقيماً وأخلاقياً على صعيد الفعل والعمل؛ ليشكّل كلّ ذلك المنطلق نحو تنمية الذات وتكاملها.

الكلمات المفتاحية: زيارة، تنمية الذات، القيم الأخلاقية، الإمام الحسين عليه السلام، إصلاح، تغيير، الإخلاص.

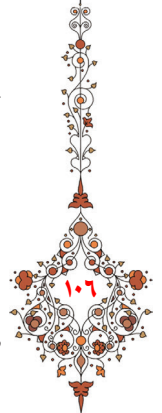
Abstract

This study aims to support the field of self-development and self-improvement through the Ziyara (visitation) of Imam al-Husayn (PBUH), by motivating the visitor towards development, growth, and change. Indeed, motivation generates will and is the most important force that leads to acquiring different skills, improving behavior, developing spirituality, and correcting the relationship with Allah, the Exalted.

The article starts with a preface explaining the centrality of the human being and the importance of the self in the process of reform and change. Then follows an introduction highlighting the significance of the study and outlining some concepts (self-development and Islamic development). After that, it defines the different subtopics and moves on to the focal point of the research focusing on explaining the connection between visiting Imam al-Husayn (PBUH) and the nearness to Allah (Exalted be He), the convergence of the moral and spiritual effects of this visit with the spiritual effects related to Allah (Exalted be He), and to remove alienation and find comfort in Allah (Exalted be He) through the visit. Consequently, no more spiritual obstacle may prevent the Ziyara from being a source of spiritual and moral development of the self with Allah (Exalted be He).

Then follows an explanation of some aspects of the visitation of the Imam (PBUH) that add self-development on the cognitive level to the visitor's intellect, while simultaneously correcting his behavior, values, and ethics on the practical level. All these points will form the basis for self-development and self-improvement.

Keywords: Ziyara, self-development, ethical values, Imam al-Husayn (PBUH), reformation, change, sincerity.



مقدمة في محورية الإنسان

كلّ إنسان عندما يلتفت إلى ما حوله في الدنيا، يدرك بنحو وجداني أنّه المخلوق الذي فضّل ليكون بيده إدارة هذا الوجود الأرضي الظاهر؛ بما حباه الله وفضّله على سائر الخلق في هذا الوجود ليكون هو المتصرّف في إدارة الأرض على المستوى الدنيوي الظاهر.

وهذا المستوى من الإدراك يتشارك فيه كلّ إنسان؛ المسلم وغيره، بل وحتى الملحد، حيث يجد الناس جميعاً الأمر ظاهراً في تسخير الأشياء والنعم لهم. يقول الباري عزّ وجلّ عن ذلك: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (١)﴾.

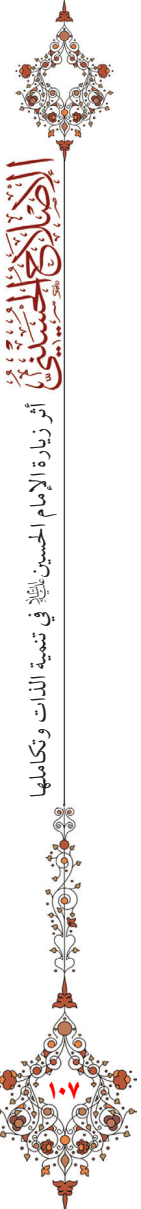
ويقول تعالى أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢)﴾.

ومن هنا؛ نجد أنّ الإنسان على مرّ العصور سعى لاستثمار هذا التسخير الهائل في صناعة ما يُعرف بالحضارات، التي تفاوتت علوّاً أو انخفاضاً في مستوى التقدّم الحضاري، وفي مستوى الاستفادة من عناصر الحياة وحيويّتها، وسبل المعيشة المتنوّعة؛ لتعمر الدنيا تبعاً لهذه الحقيقة المدركة من البشرية قاطبة.

نعم، يتميّز الإنسان المؤمن عن غيره بأيديولوجية تركز على الإيثار الغيبي الذي

(١) إبراهيم: الآيات ٣٢-٣٤.

(٢) الجاثية: الآيات ١٢-١٣.



يربط هذا الوجود الدنيوي بالوجودات الأخرى، والحياة الدنيا بالحياة الأخرى، والمخلوقات بخالقها. وبالتالي تكون ظاهرة التسخير الكوني - على وفق المنظور الإيماني العقائدي - تسير وفق إرادة مقصودة، ولعلة وغائية منشودة، وليست أمراً عفوياً بعيداً عن الحكمة والهدفية، فما كان ليكون هذا التسخير لولا إرادة من الخالق لكل الأشياء، والموجد لكل هذه النعم. يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ (١).

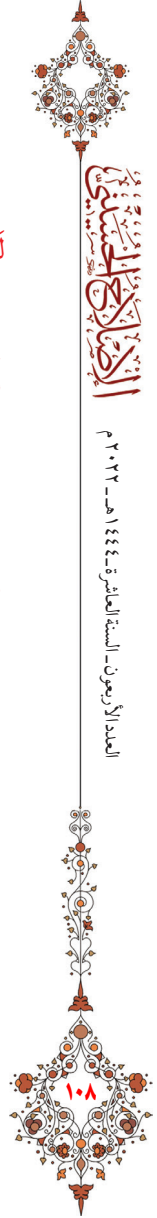
ويقول تعالى أيضاً: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (٢).

ولوجود هذه العقيدة الإيمانية، والأيدولوجية العقائدية لدى المؤمنين، تجد أنّ الإنسان بالرغم من كونه محوراً للاستفادة من كلّ النعم المسخّرة، غير أنّ مرده لله تعالى، وكلّ هذا الوجود مرتبط به سبحانه؛ ولهذا تجد المؤمن عندما يستثمر هذا الوجود - ولو استثماراً بالنظر الأوّل دنيوياً محضاً - غير أنّه يربطه بالله سبحانه بداية ومآلاً، وفق منظومة إيمانية تعتمد الشكر والحمد مرّة، والصدقة وإخراج حقّ الله مرّة أخرى.

وهكذا تسير العقيدة بالإنسان المؤمن وعياً بأنّ ثمة هدف سامٍ عالٍ يكمن وراء كلّ هذا التسخير، وهو التكامل البشري، وصولاً لأعلى مراتب الكمال الروحي والمعنوي، ليجسّد الوجود البشري تجلياً لكمال الله تعالى وإتقانه، ويصل إلى رتبة عالية

(١) لقمان: الآية ٢٠.

(٢) الزخرف: الآيات ١٠-١٣.



من رتب الاستخلاف الإلهي. يقول المولى سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(١).

ويرى المؤمن أنَّ الحياة الدنيا حياة زائلة غير باقية، وأنَّ حقيقة الحياة تكمن فيما وراء الدنيا من حياة أُخروية باقية، ويرى العمل الصالح في الدنيا عمار للحياة الباقية في الآخرة. يقول المولى جلَّ شأنه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٢).

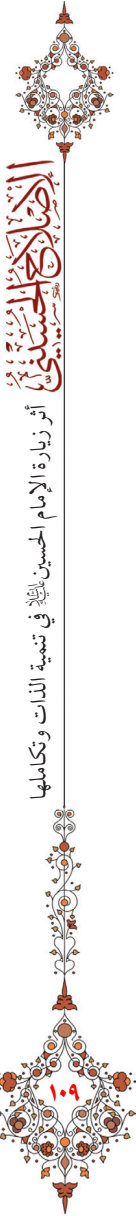
والإنسان على كلِّ حالٍ - المؤمن وغيره - نجده يسير نحو التكامل بكلِّ أنواعه، سواء المادِّي والحضاري، أم الروحي والمعنوي، أم الأخلاقي والنفسي، وغير ذلك، مستفيداً من كلِّ المسخَّرات. يتحدَّث المولى عن هذه الرغبات في محكم كتابه قائلاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٣).

وبعد هذه المقدِّمة دعونا نعرض في هذا البحث ما يرتبط بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، ودورها في بناء الذات وتكاملها، من خلال ما تحتويه من قيم أخلاقية عالية، تقود الذات نحو التكامل والعلو، سواء على الصعيد الإنساني والحضاري، أم على الصعيد الإيماني والروحي، مبتدئين الحديث بنقطتين تمهيديتين يدور البحث في إحداهما حول محورية الذات للإصلاح والتغيير، وفي الأخرى حول الاهتمام بإصلاح النفس.

(١) البقرة: الآية ٣٠.

(٢) آل عمران: الآية ١٨٥.

(٣) الشورى: الآية ٢٠.



١. محورية الذات للإصلاح والتغيير

معرفة الهدف عند الإنسان تُشكّل الجزء الأهمّ في رسم خارطة العمل، فبعد معرفة الأهداف توضع الخطط والبرامج التي تمكّننا من تحقيقها، بعد انتقاء ما هو الأجدى والأففع والأسرع والأوفق فيما بينها.

والقارئ للقرآن يجد الجهد القرآني جلياً في استثارة العقول بشأن ضرورة معرفة الهدف أولاً، وتحديد الهدف الصحيح من الحياة ووضع الخطط المناسبة له ثانياً. يقول المولى عزّ شأنه: ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۚ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَتْهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ (٤٠)﴾.

بل نجده عزّ وجلّ يعبر بوضوح في آية أخرى عن الهدف، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)؛ لما يُشكّله وضوح الهدف من أهميّة، تنعكس على وضع الخطط والبرامج ورسم خارطة العمل، غير أنّ كلّ ذلك لا يرفع الحيرة عند الإنسان فيما يتعلّق بكيفية البدء ومحله، فرغم وضوح الهدف والخطط والبرامج وخارطة العمل، غير أنّ البداية في كلّ ذلك تبقى محيرة غير واضحة، ومع عدم وضوحها أو الخطأ فيها، فإنّ هذا يعني التردّد في سلوك الطريق، أو الخطأ في إصابة الهدف والوصول إليه.

وعليه؛ ينبغي أن يتساءل كلّ إنسان: ما المركز الذي اعتمد عليه في الانطلاق في السير التكاملي بكلّ أنواعه؟ لنجد القرآن يُضيئ نوراً للإنسان في إرشاده لمركز الانطلاق في أنّ أيّ تغيير على الصعيد الخارجي في دنيا الإنسان وآخرته، لا يمكن أن

(١) غافر: الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٢) الذاريات: الآية ٥٦.

يكون إلا من الداخل، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١).

فالبداية لأيّ تغيير شامل وإصلاح عام يبدأ بالذات، فالتغيرات التي نراها على الصعيد الخارجي بأنواعها المتعددة والمختلفة، صعوداً أو هبوطاً، علواً أو تسافلاً، إنما هي انعكاس لصلاح النفس أو فسادها، وما يحدث فيها من تغيرات هو المؤثر الأعظم، والفاعل الأكبر في هذا الوجود، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٣) كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٢).

٢. الاهتمام بإصلاح النفس

وحيث إنّ النفس هي القطب لكلّ تغيير، وعلى جميع الأصعدة، نجد الاهتمام البالغ بها، وهذا الاهتمام من جميع المصلحين والمهتمين بإحداث التغيير في المجتمع، سواء في ذلك الإسلاميون أم غيرهم. قال المولى سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٣).

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ...﴾ (٤).

وقال كذلك: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥).

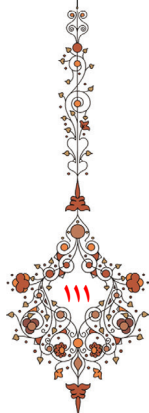
(١) الرعد: الآية ١١.

(٢) الأنفال: الآيات ٥٣-٤٥.

(٣) الشمس: الآيتان ٩-١٠.

(٤) العنكبوت: الآية ٦.

(٥) البقرة: الآية ٤٤.



وعن أمير المؤمنين عليه السلام أقوال في ذلك: «عجبت لمن يتصدى لإصلاح الناس ونفسه أشدّ شيء فساداً، فلا يصلحها ويتعاطى إصلاح غيره!»^(١).

«من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل»^(٢).

«من لم يتدارك نفسه بإصلاحها أعضل داؤه، وأعيا شفاؤه، وعُدِمَ الطبيب»^(٣).

«من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة»^(٤).

«من لم يسس نفسه أضاعها»^(٥).

«أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه»^(٦).

«أعجز الناس من قدر على أن يزيل النقص عن نفسه ولم يفعل»^(٧).

«من أصلح نفسه ملكها، من أهمل نفسه أهلكها»^(٨).

«من لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير

له»^(٩).

«من لم يصلح نفسه لم يصلح غيره»^(١٠).

«من لم يتدارك نفسه بإصلاحها أعضل»^(١١).

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٨٢٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٣٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

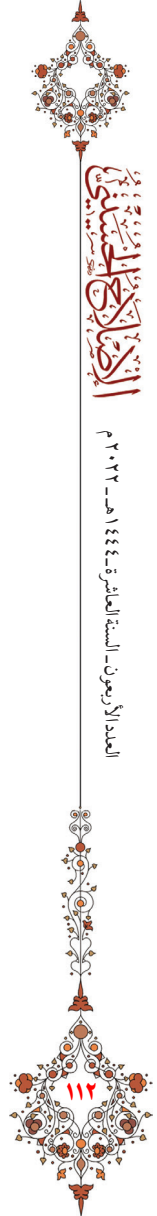
(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٢٧.

(١١) المصدر السابق: ص ٤٢٦.



وفيا نقلناه الغنى والكفاية، غير أننا ننقل بعض كلمات غير الإسلاميين؛ لنبين تطابق الاهتمام العقلاني على أهمية الاهتمام ببناء الذات وإصلاحها.

يقول ستيفن كوفي^(١): «إذا كنت تُريد حقاً أن تحسّن من وضعك، فيمكنك أن تعمل على الشيء الوحيد الذي يخضع لسيطرتك... ألا وهو (نفسك)»^(٢).

ويقول أيضاً: «يجب أن ندرك جيداً أن جميع إنجازات البشرية ما كانت لتصبح واقعاً ملموساً إلا بجرأة وشجاعة في التغيير، ونهوض بالهمة... ولك أن تختار وتقرّر بين أن تكون شخصاً عادياً ينجح للمنطقة الهادئة الساكنة، أو شخصاً فعّالاً يبادر بتغيير ما لا يراه مناسباً له»^(٣).

مركز البداية في صلاح المجتمع هي النفس؛ ومن هنا نطلق في عمق البحث وفق النقاط التالية:

- مفهوم تنمية الذات لغةً واصطلاحاً.
- تنمية الذات في المنظور الإسلامي.
- محاور التنمية الذاتية.
- أدوات التنمية الذاتية.
- زيارة الإمام الحسين عليه السلام منطلق لتنمية الذات.
- زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفاعلية التأثير.

(١) ستيفن كوفي هو مؤلف وكاتب وأستاذ جامعي، ولد في ٢٤ أكتوبر من عام ١٩٣٢م في الولايات المتحدة الأمريكية، من أهم مؤلفاته: العادات السبع للناس الأكثر فعالية، والأولى الأول، والقيادة المرتكزة على المبادئ، والعادة الثامنة. ويعدّ من أوائل المهتمّين بالتنمية البشرية في العصر الحديث لدى الغرب.

(٢) مقولة مشهورة عنه لم يتسنّ لنا إرجاعها لمصدرها، وقد نقلت عن www.iqtabasat.com.

(٣) الفقي، إبراهيم، سحر القيادة: ص ٥٥.



مفهوم تنمية الذات لغةً واصطلاحاً

١- مفهوم التنمية لغةً

التنمية في اللغة مصدر من (نَمَى) قال ابن فارس: «النون والميم والحرف المعتلّ أصل واحد يدلّ على ارتفاع وزيادة. ونَمى المال ينمي: زاد. ونَمى الخضاب ينمي وينمو، إذا زاد حمرة وسواداً. وتنمى الشيء: ارتفع من مكان إلى مكان»^(١).

٢- مفهوم التنمية اصطلاحاً

ورد في هذا المجال أنّ «مفهوم التنمية الذاتية عبارة عن المجهود الذي تقوم به أنت بشكل فردي من أجل محاولة تطوير مهاراتك وقدراتك العقلية والنفسية والجسدية؛ للتقدّم في العمل والحياة العامّة، والحصول على الاستقرار والراحة النفسية والتطوير في مهنتك، وتستطيع ذلك عبر معرفة نقاط الضعف لديك والعمل عليها لتصبح قوية من خلال التدريب والتعلّم والممارسة اليومية»^(٢).

وورد أيضاً: «إنّ الأساس الذي يقوم عليه علم التنمية البشرية المعاصر هو أنّ الإنسان فيه طاقات وإمكانات ومهارات هائلة، إمّا أن تكون غير مستغلّة، أو أن تكون مستغلّة ولكن بشكل جزئي، فيقوم علم التنمية البشرية على أساس ثابت - وهو المحافظة على الإنسان وإمكانيّاته - بتحفيز هذه الإمكانيات والمواهب، أو خلق الأساليب التي تثيرها، أو تطوّرهما من أجل المزيد من المعرفة، لشحذ عزيمة الإنسان، لتجديد النشاط وتفعيل الإبداع للوصول إلى النجاح والتقدّم»^(٣).

كما ذكر آخرون ما نصّه: «تنطلق التنمية الذاتية - على مستوى الفرد - من النظر

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٧٩.

(٢) موقع قدرات: www.qodraat.com.

(٣) المرسومي، عبد الستار، تنمية الإسلامية: ص ٩.

لكلّ إنسان باعتباره معجزةً في ذاته، وأنّ لديه إمكانيات كامنة للفعل والإبداع تميّزه عن غيره من بني البشر، وأنّ أهمّ وظيفة للتنمية هي صناعة المناخ الذي يُساعد ويُيسّر على كلّ إنسان اكتشاف ذاته أو إعادة اكتشافها... وتتيح التنمية الذاتية - على مستوى الفرد أيضاً - الفرصة للتفاعل (النفسى/ الاجتماعى) في حدود طاقته على التواصل والتفاعل والعمل والمشاركة الإيجابية في مجتمعه المحلي، وكذلك في حدود قدرته على أن يرى ويلمس ويدرك ناتج تفاعله وعمله^(١).

فمن شأن التنمية الذاتية أن تُحقّق التطوّر الشخصي، وتُحقّق النجاح المهني، وتُعزّز العلاقات الشخصية، وتمكّن الشخص من مواجهة التحديات، وتُتميّ فيه الشخصية القيادية.

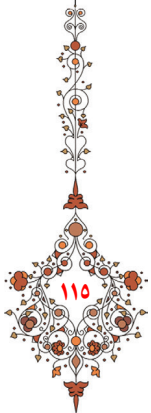
ونجد المعنى الطافح والطاغي على كلمات التنمويين - لا سيّما الغربيين منهم - بأنّ التنمية الذاتية تهتمّ بتطوير وتحسين مهارات الفرد بما ينعكس على تطوّر حياته المادّية، وسبل حياته المعيشية، وصولاً إلى صناعة الرخاء والرفاه المادّي المحض، فقياس مدى النجاح في التنمية لديهم هو بملاحظة ما يترتّب عليها من آثار حياتية مادّية.

تنمية الذات في المنظور الإسلامي

في ظلّ تصاعد الغرب في دعواته التنموية، والتطوّر الذي أعقب تلك الدعوات في المجتمعات الغربية، وخصوصاً في المسار الاقتصادي والمادّي، تصاعدت جهود تطويع هذا الفنّ (التنمية) إسلامياً.

وترتكز أدوات التطويع على توسعة النظرة التنموية للذات، بحيث تكون نظرة شمولية تكاملية، لا تركز على البعد المادّي الحياتي المرتبط بالملذّات والشهوات وحسب كالنظرة الغربية، بل ترتبط بالبعد المعنوي والروحي المتعلّق بالله سبحانه

(١) الموصلي، حامد، تأملات في التنمية: ص ١٠٧.



ودينه. قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وذلك لأن الإنسان المسلم ينطلق في نظريته لنفسه وللوجود من منظومة عقائدية إيمانية، مبدؤها التوحيد لله تعالى في كل مراتبه؛ التوحيد في مقام الذات والخالقية والربوبية وغيرها.

وهذه المنظومة العقائدية تؤثر على المسلم في كيفية تنمية ذاته وتطويرها، بحيث تؤثر على مرتكزات صناعة القيم والمبادئ، والصفات والعادات التي يجب أن يتحلى بها، ويتحرك على وفقها في المجتمع وعلاقاته بالأفراد.

ولتوضيح ذلك نقول:

مثلاً: يُعدّ تعزيز الثقة بالنفس، والاعتزاز بها، وتقديرها واحترامها، مبدأً أساسياً من مبادئ التنمية للذات وتطويرها، وصناعة التغيير لدى الغرب، ويحذرون من توبيخ النفس، أو النظرة السلبية لها.

ونرى في الإسلام أنّ كل ما ذكر أمر مطلوب مباح، شريطة عدم الوقوع في سلوكيات أخلاقية مذمومة، كالغرور والتكبر، والاعتداد بالنفس، وتضخيمها؛ ولذلك لا بدّ من كسر أخلاقية التكبر المذموم بالتواضع، والغرور بالنظر المتساوي مع بني البشر، والاعتداد بالمراجعة والمحاسبة للنفس وملاحظة ما تملك.

وهنا تكمن خطورة التسويق للتنمية البشرية الغربية أحادية النظرة في المجتمعات الإسلامية؛ وذلك لافتقارها للجانب الإيماني والارتباطي بالله تعالى وبأهل البيت عليه السلام. فمنظور الإسلام للتنمية الذاتية، يركز على بناء الذات في أبعادها الإيمانية والروحية والمعنوية والأخلاقية، وفي الأبعاد الحياتية والمعيشية المادية، وفق نظرة متكاملة متوازنة.

يقول المولى سبحانه في التأكيد على إباحة الأمور الدنيوية المادية بالنحو المعتدل:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

ويقول ممتدحاً أولئك الذين يسيرون بتوازن في رغباتهم الدنيوية والأخروية:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

ويقول على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ (٤).

كما ويحذّر من أيّ اختلال في النظرة المعتدلة المتوازنة في بناء الذات، سواء في ذلك الاختلال بتغليب البعد المادي على الروحي، أم العكس، فيقول دائماً وموعداً من يغلب البعد الدنيوي المادي على الأخروي: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٥).

ويقول أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٦) ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٧) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٨).

وفي مقابل ذلك يقول دائماً لحالة تغليب البعد الأخروي والروحي على البعد الدنيوي وإهماله الأخير: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَبْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩).

وفي حديث عن رسول الله ﷺ: «توفي ابن لعثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتدَّ

(١) القصص: الآية ٧٧.

(٢) البقرة: الآيتان: ٢٠١-٢٠٢.

(٣) الأعراف: الآية ١٥٦.

(٤) إبراهيم: الآية ٣.

(٥) النازعات: الآيات ٣٧-٣٩.

(٦) الأعراف: الآية ٣٢.

حزنه عليه، حتّى اتَّخذ من داره مسجداً يتعبّد فيه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال له: يا عثمان، إنّ الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنّما رهبانية أُمّتي الجهاد في سبيل الله. يا عثمان بن مظعون، للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، أفما يسرك ألا تأتي باباً منها إلّا وجدت ابنك إلى جنبك آخذاً بحجزتك، يشفع لك إلى ربك؟ قال: بلى. فقال المسلمون: ولنا يا رسول الله، في فرطنا ما لعثمان؟ قال ﷺ: نعم، لمن صبر منكم واحتسب...»^(١).

فيُتلخّص من كلّ ذلك أنّ التنمية الذاتية إسلامياً تعني تطوير الذات، والأخذ بها ارتقاءً في صفاتها ومهاراتها في كلّ الأبعاد الماديّة والروحية، والدينيّة والأخروية.

محاوَر التنمية الذاتية

كي تتحرّك النفس نحو التنمية والتطوّر الذاتي المتكامل والشامل، يجب أن ينصبّ التغيير في مسارات أساسية تُشكّل محاور التنمية الذاتية، ولسنا بصدد تفصيلها، غير أنّنا نوجز أهمّها فيما يلي:

- ١ . التنمية الروحية بتعزيز الارتباط بالله تعالى، وطاعته سبحانه.
- ٢ . التنمية الفكرية وما يرتبط بطريقة التفكير القويم، وتقنيات التفكير الإبداعي؛ للابتعاد عن الاعوجاج في الفكر وطريقة التفكير، الذي يؤثّر سلباً على ترتيب المعلومات وبناء النتائج.
- ٣ . التنمية العقديّة والمعرفية فيما يرتبط بالعقيدة وبالعلم والمعلومات، ومحاولة الاستزادة المعرفية بشكل دائم وحيوي، والتزوّد بالعلم النافع من المعدن الصافي.
- ٤ . التنمية الأخلاقية من خلال التخلّق بالخلق الراقي، وبناء السلوك على القيم العالية، والعادات الحسنة.

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص ١٢٣.

٥ . التنمية الاجتماعية بتعزيز الأواصر الاجتماعية، واكتساب المهارات الاجتماعية في التعامل مع الناس، والقيام بالمسؤوليات الاجتماعية والمجتمعية.

٦ . التنمية الشخصية من خلال تعزيز الثقة بالنفس، واكتساب المهارات الحياتية المتنوعة، والتحلي بالإيجابية، وحبّ التغيير للأفضل.

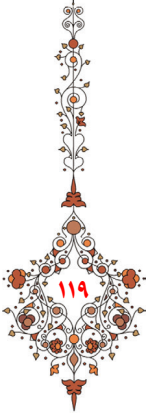
أدوات التنمية الذاتية

ترتكز أدوات التنمية الذاتية على اكتساب جملة من المهارات، والعمل على تنميتها بالتمرين والتدريب، تحقيقاً لمحاور التنمية الذاتية السالفة الذكر؛ ومن هنا تُذكر جملة من الأدوات عادة، دعونا نقوم بسردها:

(الطموح المستمر/ معرفة ما تمتلكه الذات من مهارات/ اتباع دورات تدريبية/ القراءة/ بناء العلاقات/ تعلّم مهارات التواصل/ بناء الثقة بالنفس/ مرافقة الأشخاص الناجحين/ تعلّم كيف تكون إيجابياً/ التمرين المستمر/ تحديد الأهداف/ التخلص من المخاوف..).

هذا بعض ما يمكن قبوله، وعده منسجماً مع التعاليم الإسلامية في الجملة، وإلاّ فإنّ بعضاً - ممّن يعدّ نفسه متمكّناً من التنمية الذاتية - تراه يذهب بعيداً في الدعوة لجلسات تأمل مع الذات، و(يوغا)، ويتمادى بدعوى مخاطبة الملائكة، والتنويم المغناطيسي، واستجلاب الطاقة الإيجابية، وطرّد الطاقة السلبية، وغيرها.

وهذا من ضمن ما يُعاب على دعاة التنمية من الجهلة الذين يسترزقون بدعوى وأباطيل؛ يدّعون أنّها تحفّز الذات، وتخلق الطموح، وتعزّز الإرادة نحو التغيير، وما هو إلّا بيع للوهم، وتعامل بالدجل. ولذلك لا بدّ من الرجوع للدين في ذلك، وننظر فيما رسمه من طريق، وحدّده من أدوات لتطوير الذات، وهي عديدة وكثيرة، نذكر منها:



(تعزيز الارتباط بالله ورسوله ﷺ وأهل بيته ) / الارتباط بالعبادات المتنوعة /
الدخول في عبادات عالية التأثير بين فترة وأخرى كالحج والزيارة / الإقلاع عن
الذنوب / الثقة بقبول الله لك / التطوع وعمل الخير / التسامح مع النفس / تحمل
المسؤوليات وأداء الواجبات)، وغير ذلك.

ويمكن لنا أن نختصر الكلام بأن أدوات التنمية للذات إسلامياً، يكمن في
تطوير الذات لتؤدي ما يُعرف في الدين بالواجبات والمستحبات، والابتعاد عن
المحرّمات، بالإضافة إلى تنمية المهارات التي تُذكر كاليّات ووسائل مساندة لتعزيز
التطور والارتقاء.

وهنا تبرز أداة عظيمة، ونعمة كبيرة، يمكن من خلالها الارتقاء الدفعي لا
التدريجي، فهي تطوي مراحل ودرجات كثيرة متى ما استثمرها الإنسان بشكلها
الصحيح، ونعني بذلك زيارة المولى أبي عبد الله الحسين . فزيارته  تنمية للذات
وارتقاء بها، بما تزخر به من مبادئ قيمة وأخلاقية عالية.

زيارة الإمام الحسين  منطلق لتنمية الذات

ورد الحثّ المؤكّد على زيارة الإمام الحسين ^(١)، واعتنى الأئمة الأطهار 
ليس فقط بتثبيت زيارة الإمام  في ضمن المنظومة العقدية، بل وبمتابعة السير
والسلوك على طبقها، لنرى اليوم الملايين تزدلف إلى قبر المولى أبي عبد الله ، سيراً
على ما دعا له أهل البيت .

ولزيارة المولى آثار وفوائد متعدّدة وكثيرة، وما يهّمنا تناول ما يتناسب وبحسنا
حول دور زيارة الإمام  في تنمية الذات وتطويرها، وذلك من خلال ذكر جهات
ونقاط التماس بين الزيارة الحسينية وتعزيز الذات وتحفيزها نحو التطور والنمو،

(١) يراجع في ذلك: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، أبواب المزار وما يناسبه، ج ١١.
وهي روايات كثيرة.

وبوجه خاص من الناحية الروحية والمعنوية، في سير نحو تنمية للذات تنمية شمولية وتكاملية تلامس الروح والمعنى، فنقول:

١. المعرفة بالإمام الحسين عليه السلام معرفة بالله

المعرفة تُشكّل إزاحة لغشاوة الجهل وحجاب الصدّ عن الحقّ؛ ولذا تُشكّل المعرفة تنمية للذات، وتوضيحاً للرؤية التي يركز عليها الإنسان في سلوكه وتطوّره، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١). والجهل - على الطرف النقيض - يُشكّل ضياعاً للهدف، وتيهاً في طريق الحياة، وهدماً للذات، ونزولاً عن سُلّم الكمال، وتسافلاً عن درجات الارتقاء. عن الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على سراب بقية لا تزيده سرعة سيره إلّا بعداً»^(٢).

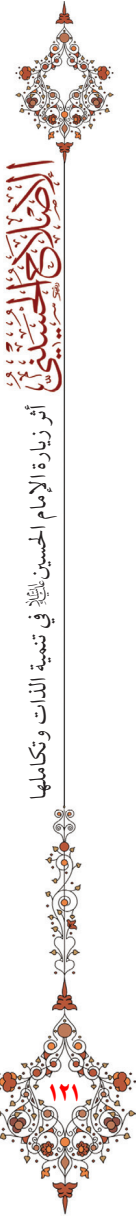
ولذا ضحّ أهل البيت عليهم السلام كماً كبيراً من الروايات المعرفية، التي من شأنها إزاحة غشائات العمى، وظلمات الجهل، خصوصاً فيما اعترى الأمة عند إزاحة وتنحية الإمام المفروض طاعته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أخلفه ذلك من تداعيات جهل وابتعاد وضياع عن خطّ الله سبحانه، فهم على الطريق إليه.

وتتعرّز الحاجة للمعرفة عندما تتبعثر الأمور، وتختلط الأفكار، وترتفع أبواق الكذب والافتراء، وتلتبس الأباطيل مع الحقائق، وذلك عندما ينشط الشيطان وأتباعه - من شياطين الجنّ والإنس - متبعين منهجه وأسلوبه في تضيع الطريق عن مريدي الحقيقة. قال تعالى: ﴿بِأَهْلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) المجادلة: الآية ١١.

(٢) المفيد، محمّد بن محمّد، الأمالي: ص ٤٢.

(٣) آل عمران: الآية ٧١.



وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ويُشكّل الجهد الذي بذله أهل البيت عليهم السلام في إرجاع الأمة لهم من خلال التأكيد على معرفة الإمام والارتباط به، الجهد الأكثر أهمية، ومن ذلك ما ورد عن سيّد الشهداء عليه السلام، حيث يُروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»^(٢). فمعرفة الإمام تقود إلى معرفة الله سبحانه.

وما يميّز المعرفة المتحصّل عليها من خلال زيارة الإمام الحسين عليه السلام، علوّها ورقّيّها، فهي معرفة أعلائية ذات مراتب ومدارج؛ فإنّ المعرفة على ما يراها العلماء مفهوم مشكّك، يختلف قوّة وضعفاً، كاختلاف النور قوّة وضعفاً. فيمكن للزائر أن يتحصّل على مراتب عالية من المعرفة، تزيد من درجة التأثير والاستفادة، فكلّما علت رتبة المعرفة علا أثرها في النفس.

وقد دلّت الروايات الكثيرة على الارتباط بين معرفة أهل البيت عليهم السلام والمعرفة بالله، وأنّها الباب إلى الترقّي في المراتب الكمالية، ففي الرواية عن المفضّل، قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: «يا مفضّل، هل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيّدي، وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل، مَنْ عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى [أي: أعلى مدارج الإيمان] قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي. قال: يا مفضّل، تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذراً وبرأ، وأنّهم كلمة التقوى، وخزان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعلموا

(١) البقرة: الآية ٤٢.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٨٣.



كم في السماء من نجم وملك، ووزن الجبال، وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلا علموها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك. فقلت: يا سيدي، قد علمت وأقررت به وآمنت. قال: نعم يا مفضل، نعم يا مكرم، نعم يا محبور، نعم يا طيب، طبت وطابت لك الجنة ولكل مؤمن بها»^(١).

ونجد الزيارات المتعددة للمولى أبي عبد الله عليه السلام تُعزز الجانب المعرفي؛ وذلك من خلال ذكر مقامات الإمام عليه السلام وأهل البيت عليه السلام، ففي زيارة وارث وغيرها تأكيد معرفي على الوراثة الحسينية لأولي العزم من الأنبياء عليه السلام وراثة معنوية مفصلية؛ تأكيداً على عظم الدور الحسيني ومحوريته، وعظم الابتلاء، وحجم الإيذاء الكبير الذي تحمّله الحسين عليه السلام كأولي العزم من الرسل عليه السلام: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله...»^(٢).

فنلاحظ أن الزيارات في مفرداتها تتضمن أوصافاً تجري على لسان الزائر كأدب للمزور، وهي تتضمن في محتواها كماً معرفياً كبيراً، ومستوى علمياً راقياً، ليكون ذلك داعياً للزائر للبحث عن معنى هذه المفردات ولما ترمز إليه؛ ليسير نحو معرفة أرقى، ووعي أعمق، مطوراً بذلك لذاته.

٢. قصد الحسين عليه السلام قصد لله سبحانه

كلما تعزز الارتباط بالله وتأكد في النفس تعززت في النفس روح الالتزام بطاعته سبحانه، والابتعاد عن معاصيه؛ مما يدفع النفس إلى نموها وتطورها؛ فإن تنمية

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ١١٦-١١٧.

(٢) مقطع من زيارة وارث المعروفة والمذكورة في كتب الأدعية، منها مفاتيح الجنان.

الذات تبدأ بمعرفتها، ومن ثم تنمية الدافع وصناعة الحافز للتكامل والسمو، قال تعالى: ﴿... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(١).

وتعبير رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي...»^(٢)، يعكس مدى الترابط العقدي والسلوكي، بين القرآن بما يمثله من كونه وحياً عن الله عز وجل، وأهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما يجب أن يُعزّز عند الزائر للإمام عليّ (عليه السلام) (عقيدة ونظراً) في رتبة، و(عملاً وسلوكاً) في رتبة أخرى؛ ليدرك عدم اختلاف الطريق، ولا الهدف والغاية، فيبتعد بذلك عن أيّ تشويش يُضعف من الدافعية والحافزية للنفس في مجال التنمية والتطور، مما يؤثر على سير الزائر في استثمار الزيارة في تنمية ذاته.

فتعرض النفس ولو من موقف بسيط لتشويش قد يُذهب بأثر الزيارة وفيضها، ويرجع بالمردود السلبي على نفس الزائر وروحه؛ ولذا نقول: مَنْ كان قاصداً للحسين (عليه السلام) فهو قاصد لله سبحانه، وأجره على الله عز وجل، فالمؤثر للبوصلة يشير إلى جهة واحدة، فالزائر حينما يقصد الحسين (عليه السلام) يقصد من وراءه الله سبحانه، وهذه العقيدة الصلبة هي التي ينبغي أن يُبنى عليها تعزيز القصد والنية في النفس، وربط العقل والقلب لدى الزائر.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «يا علي، زر الحسين ولا تدعه. قال: قلت: ما لمن أتاها من الثواب؟ قال: مَنْ أتاها ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحاً عنه سيئة، ورفع له درجة، فإذا أتاها وكلّ الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرٍّ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعوه وقالوا: يا ولي الله مغفوراً لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك ولا تطعمك أبداً»^(٣).

(١) المطففين: الآية ٢٦.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٤.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٢٥٦.

وعن الإمام الهادي عليه السلام: «إنَّ لله مواضع يُحبُّ أن يُعبد فيها، وحير الحسين عليه السلام من تلك المواضع»^(١).

فهنا السائر نحو تنمية ذاته عند زيارته للمولى أبي عبد الله عليه السلام يدرك من خلال ما يراه في نفسه من وهج معنوي، وأثر روحي، وتصاعد عروجي، أنه في وجهه وأثره وتصاعده سائر لله سبحانه وإن كان ما يراه جلياً هو مع الحسين عليه السلام؛ وذلك للوحدة في الطريق والمسار. وبذلك كل الحافزية التي في وجدان المسلم نحو الله تنعكس وتتصاعد مع قصد الحسين عليه السلام أيضاً تنمية وتطويراً للذات.

٣- لقاء الحسين عليه السلام لقاء الله

ورد عن زيد الشحام أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه»^(٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من زار قبر الحسين عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»^(٣).

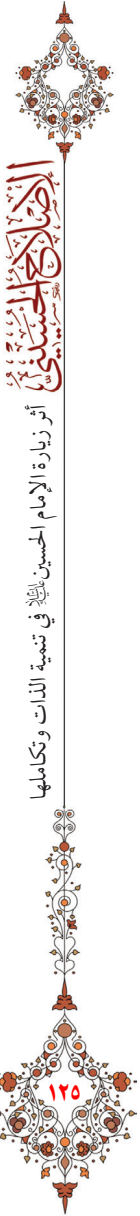
والتعبير هنا كناية عن غاية ما يصل له الزائر للحسين عليه السلام من سمو الكمال، وعلوّ المنزل، ودنو الرتبة، وشدة القرب من الله عز وجل، «فإن زيارة الله في العرش يعني تجلّي الله في أسمائه وصفاته، وهذا يعني لمن زار الحسين عليه السلام ... فإنه يرى تجلّي الله بأسمائه الحسنی وصفاته العليا في وجود الإمام الحسين عليه السلام، وحياته الكريمة، وسيرته المباركة، وحينئذ من يرى الحسين فيرى الله سبحانه؛ فإنه بوجوده المقدس عليه السلام أعظم آية تدلنا على الله سبحانه، واجب الوجود لذاته، المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال والجلال»^(٤).

(١) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٨٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٥٠.

(٤) العلوي، عادل، الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله: ص ٢٧٩.



«وقيل: إنّه قد تحقّق عند أهل المعرفة أنّ للإنسان في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه منازل، تنتهي من طاعة الله إلى حالة رفيعة، ومرتبة راقية، وقربٍ خاص، يعبرون عنه بالفناء في الله تعالى، وهو نهاية مقام كمال العبد في عبوديته، وغاية مقام قربهِ، فيصل إلى جوهر العبودية التي كنهها الربوبية، وهو عبارة عن كون علم العبد مستهلكاً في علمه تعالى، وقدرته مضمحلة في قدرته عزّ سلطانه، وإرادته ذائبة في إرادته علا شأنه وجلّ جلاله، بحيث لا يكون له رأي أو حكم إلّا ما رآه وحكم به المولى عزّ وجلّ، ولا يرى لنفسه قدرة على شيء إلّا بحوله وقوّته، ولا يُريد شيئاً غير ما أراد الله تعالى، فإذا دام العبد على هذه الحالة العرفانية، واستمرّ عليه بحيث صارت ملكة راسخة في كلّ وجوده، وصار العبد متجوهرّاً بها، ومتجسّداً فيها، وقد فنى في ربّه عن نفسه، ولا حكم له إلّا حكمه سبحانه، فيكون مظهراً للربّه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويكون إكرامه إكرام الله، وزيارته زيارة الله، ومن أهانه أهان الله»^(١).

إنّ أكبر شوق لدى المؤمن في هذا الوجود هو شوق لِقيا الله عزّ وجلّ، والنظر إليه، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ ذَٰلِكَ نَظِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾، وهنا النظر ليس بنظر العين الحاسّة بل الباصرة؛ وذلك لما للقلب من عين تبصر التجليات لله سبحانه في خلقه وفي النفس، قال تعالى: ﴿سَرِّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣﴾﴾، وأيّ تجلٍّ أعظم من ذاك الذي تجلّى في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام والمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ ولذا فإنّ لقاء الحسين عليه السلام لقاء الله سبحانه.

والشوق والحبّ من العواطف المحفّزة والمنشّطة والدافعة نحو التغيّر والتطوير والتنمية للذات، وكلّما نما وكبر الشوق للمحبوب كلّما تعاظمت الإرادة للانسياق

(١) المصدر السابق.

(٢) القيامة: الآيتان ٢٢-٢٣.

(٣) فضّلت: الآية ٥٣.



وراء المحبوب واتباعه، فصناعة الشوق والحبّ للحسين عليه السلام تعزيز حبّ الله سبحانه وتعزير للانسياق سلوكاً وعملاً بما يرضي الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

٤. حياة الدين في النفس حياة للحسين عليه السلام

منذ بداية حركة الإمام عليه السلام أعلن أهدافه التي يرمي إليها، إعلاناً واضحاً لا يشوبه أيّ غموض، ووضوح الهدف من معدن صافٍ نقي من أهمّ الخطوات نحو تنمية الذات، فقال عليه السلام: «وَأَنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرَأَ وَلَا بَطْراً وَلَا مَفْسِداً وَلَا ظالماً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي عليه السلام، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»^(٢)، حيث حدّد مسير هدفه بالإصلاح، ثمّ بين أنّ قبوله قبول بالحقّ الذي جاء به الله، «فَمَنْ قَبَلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرَ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^(٣).

من هذا نفهم بنحو لا لبس فيه، أنّنا إذا أردنا أن نكون مع الحسين عليه السلام يجب أن نكون مع ما جاء به الله سبحانه؛ ومَنْ أراد الحياة للحسين عليه السلام في نفسه يجب أن يحيي دين الله في نفسه، ومَنْ كان دين الله ميت في نفسه فالحسين عليه السلام كذلك ميت في نفسه. «قال رجل للحسين بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله، أنا من شيعتكم. قال عليه السلام: اتّق الله ولا تدعني شيئاً يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك؛ إِنْ شِيعَتْنَا مَنْ سَلَمَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كُلِّ غَشٍّ وَغُلٍّ وَدَغْلٍ، وَلَكِنْ قُلْ: أَنَا مِنْ مَوَالِكُمْ وَمُحِبِّكُمْ»^(٤).

ولذا؛ مَنْ يُريد أن يجعل من الزيارة للحسين عليه السلام طريقاً لصلاح نفسه، يجب أن يدرك شمولية حركة المزور الإصلاحية للولاء لأهل البيت عليهم السلام ودين الله سبحانه

(١) آل عمران: الآية ٣١.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٥٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٥٦.

في كلّ الجنّات والتفاصيل ما أمكن، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيئ بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد (وعفة وسداد)»^(١).

هـ. زيارته عليه السلام يقيظ للقيم الأخلاقية وحياة للمبادئ التكاملية

جزء كبير ومهمّ في نفس الإنسان وذاته يلعب دوراً كبيراً في تنمية النفس وتطويرها، وسيرها نحو التكامل والارتقاء، وهذا الجانب يتعلّق بالقيم الأخلاقية ومنظومة المبادئ التي يعتقد بها الإنسان، والتي على وفقها يخضع سلوكه وتصرفاته عليها في نوع من ممارسة ذاتية تنموية، تعتمد المراقبة والمحاسبة للذات، والتي تحتاج لقاعدة من القيم والمبادئ التي تشكّل الأساس المعياري لحوكمة الأفعال والتصرّفات السلوكية.

ومن هنا؛ نجد الدين الإسلامي في بعده السلوكي والعملي، حرص على بيان تلك القاعدة المعيارية بذكر أدقّ - في تفاصيلها وحيثيّاتها - في علاقة الإنسان بخالقه (الشقّ العبادي)، وعلاقة الإنسان بالإنسان (الشقّ الأخلاقي).

وهذه ميزة للمسلم عن غيره؛ حيث يمتاز البناء الذاتي التنموي للمسلم عن غيره بخضوعه لرؤية إلهية وليست بشرية محضة، ليُقاس النجاح تبعاً بمدى تحقيق المسلم للأهداف الإلهية وليس فقط البشرية، قال تعالى: ﴿... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢). وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣). وقال كذلك: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

(١) المصدر السابق: ج ٤٠، ص ٣٤٠.

(٢) البقرة: الآية ١٩٥.

(٣) الكهف: الآية ٣٠.

(٤) آل عمران: الآية ١٧٢.

ويقظة هذا الشقّ الأخلاقي بكلّ أبعاده الواجبة والمستحبة، وكذلك حياة المبادئ التكاملية في النفس، سيكون مؤثراً بشكل كبير في تنمية الذات وتكاملها، وإذا عكسنا تنعكس النتيجة، فإذا ماتت الأخلاق والقيم والمبادئ، بل لو تعرّضت لخمول وضعف، فإنّ مآل الذات سيكون للتدهور والانحطاط، وفي ذلك يقول المولى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، ويقول أيضاً: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

فهذا تأكيد واضح بأنّ البعد الأخلاقي في نفس رسول الله ﷺ في حركته الرسالية، هو الذي أدّى إلى نجاحه في قيادة التغيير في النفوس والأئمة. وهناك روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام وردت بشأن إيقاظ هذا الشقّ في سلوك الفرد المؤمن، نذكر منها على نحو الاختصار:

١. عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا».
٢. عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخلق».
٣. عن عنبسة العابد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ما يقدّم المؤمن على الله عز وجل بعملٍ بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخُلُقِهِ».
٤. عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: إِنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».
٥. عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: أَكْثَرُ مَا تَلَجُّ بِهِ أُمَّتِي الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحَسَنُ الْخُلُقِ»^(٣).

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠.

ومن هنا؛ يحتاج المهتم بتنمية ذاته وتكاملها ليقظة وانتباه دائمين. وما يساهم في اليقظة الدائمة هو العبادات والطاعات لله سبحانه، غير أنّ التعمّد عليها أو ضعف التوجّه الروحي فيها يضعف من فاعلية تأثيرها، فالصلاة - مثلاً - التي قال عنها المولى جلّ شأنه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، قد لا تؤدي دورها بشكل جيّد في هذا الصدد كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

من هنا؛ يحتاج الإنسان لكسر ذلك الروتين والاعتياد بعبادة تهزّ وجدانه، وتوقظ روحه ونفسه، ليستعيد الوهج الروحي والمعنوي. وتعدّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من أبرز العبادات التي تُحدث الصدمة للذات فتوقظها، وللنفس فتَهزّ كيانها؛ بما تتمتع به الزيارة من ألطاف وفيوضات متعدّدة ومتنوّعة، فالزيارة توقظ وهج الارتباط بالله سبحانه والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وتوقظ القيم الأخلاقية، من خلال المشاهدات المتعدّدة لحركة الزوّار والعلاقات المتنوّعة.

فمثلاً: توقظ حبّ العمل التطوّعي من خلال ما يقوم به الزائر من خدمة للزوّار، وتوقظ البذل والعطاء من خلال التبرّع بالإطعام، وتوقظ أخلاقيّات التعامل مع الآخرين من صدق، ووفاء، وتسامح، وتواضع، وبشاشة، واحترام، وتقدير، وعطف، وإخلاص، وتفانٍ، وغير ذلك، حيث يتساوى الجميع عند ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الفقير والغني، والكبير والصغير، والرئيس والمرؤوس، والعالم والجاهل، قال تعالى: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣).

كما تُتمّي مهارات عديدة في النفس، من القدرة على تكوين العلاقات، والتواصل، وإدارة الأزمات والإشكاليات، وغيرها.

(١) العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) النساء: الآية ١٤٢.

(٣) الحجرات: الآية ١٣.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفاعلية التأثير

قد ذكرت كثير من النصوص الواردة في زياره الإمام الحسين عليه السلام آثاراً، وعطايا، وجوائز، وفيوضات ربّانية، عديدة ومتنوعة، يظفر بها الزائر للمولى عليه السلام، غير أنّ الروايات تُقسّم الزوّار على رُتب ودرجات، تختلف عطايا كلّ رتبة عن الأخرى، باختلاف ما توافر واشتمل عليه الزائر وزيارته من شروط كمال وقبول، وهذا الأمر من المبادئ التي أقرّها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ومن هنا؛ نستفيد أنّ فاعلية التأثير في زيارة الإمام الحسين عليه السلام - وفق ما ذكرناه سالفاً - تختلف شدّة وضعفاً باختلاف تلك الشروط والصفات للزائر؛ ولذا من يسعى لجعل زيارة الإمام الحسين عليه السلام فرصة لتنمية الذات وتطويرها من خلال (التحلية والتخلية)، تحليتها بالخلق العالي والقيم الرفيعة والمبادئ السامية، وتخليتها من كلّ الشوائب والعوالق والعوائق التي تضيق الهدف وتحرف الطريق، من المهمّ جداً له معرفة عناصر التأثير وفاعليته قوّة وضعفاً، وهنا نذكر بعضاً من الشروط بإيجاز:

١. الإخلاص في نية الزيارة والعمل

ورد عن حمran بن أعين أنّه قال: زرت قبر الحسين عليه السلام، فلما قدمت قال لي أبو جعفر عليه السلام: «أبشر يا حمran، فمن زار قبور شهداء آل محمد عليه السلام يريد بذلك صلة نبيّه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»^(٢). فأخلص أيّها الزائر واجعل نيّتك وصله عليه السلام، ووصل النبي صلّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

وعن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة

(١) المائدة: الآية ٢٧.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٢٣-٤٢٤.



الحسين عليه السلام من الفضل لمانوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات. قلت: وما فيه؟ قال عليه السلام: مَنْ أَنَاهُ تَشَوُّقاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَأَلْفَ عَمْرَةٍ مُبْرُورَةٍ، وَأَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ، وَأَجْرَ أَلْفِ صَائِمٍ، وَثَوَابَ أَلْفِ صَدَقَةٍ مُقْبُولَةٍ، وَثَوَابَ أَلْفِ نَسْمَةٍ أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، وَلَمْ يَزَلْ مُحْفُوظاً سُنَّتَهُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ أَهْوَنُهَا الشَّيْطَانُ، وَوَكَّلَ بِهِ مَلِكٌ كَرِيمٌ يَحْفَظُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَمِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ، فَإِنْ مَاتَ سُنَّتَهُ حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، يَحْضُرُونَ غَسْلَهُ وَأَكْفَانَهُ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَيَشَيِّعُونَهُ إِلَى قَبْرِهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيُؤْمِنُهُ اللَّهُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ مَنَكِرٍ وَنَكِيرٍ أَنْ يَرَوْعَانَهُ، وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيُعْطَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُوراً يَضِيءُ لَنُورِهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هَذَا مِنْ زَوَّارِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَوْقاً إِلَيْهِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا تَمَنَّى يَوْمئِذٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زَوَّارِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). تزوره شوقاً وحباً إلى لقيائه، وهذا ما يعني إخلاص العمل بوحدة النية وعدم الإشرak فيها.

٢. تزور الحسين عليه السلام عارفاً به

عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفاً بِحَقِّهِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٢).

وعن هارون بن خارجة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّهُ مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ لَهُ حَجَّةٌ وَعَمْرَةٌ»، قَالَ لِي: «مَنْ زَارَهُ وَاللَّهِ عَارِفاً بِحَقِّهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٣).

وعن الحسين بن محمد القمّي، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «أَدْنَى

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٣.

ما يثاب به زائر الحسين عليه السلام بشطّ الفرات إذا عرف حقّه وحرّمته وولايته، أن يُغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(١).

فعلى الزائر تعزيز الإقرار للإمام بالولاية والإمامة، والتأمّل في معنى الولاية والإمامة عقيدة وعملاً.

٣. تزوره مستشعراً حياته

ورد في زيارتهم عليهم السلام: «أشهد يا موالِي أنكم تسمعون كلامي، وترون مقامي، وتعرفون مكاني، وتردّون سلامي»^(٢).

وعن أحمد بن فهد في (عدّة الداعي): روي عن الصادق عليه السلام: «مَنْ كانت له حاجة إلى الله عزّ وجلّ، فليقف عند رأس الحسين عليه السلام وليقل: يا أبا عبد الله، أشهد أنّك تشهد مقامي وتسمع كلامي، وأنّك حي عند ربّك ترزق، فاسأل ربّك وربّي في قضاء حوائجي، فإنّها تقضى إن شاء الله تعالى»^(٣).

عليك أن تستشعر وأنت تقف أمام القبر الشريف، أنّك تقف أمام إمامك حيّاً يسمعك ويراك، لتجد أثراً عجبياً، ونبضاً قوياً لرابطة الولاء معه، والتوسّل به، فتتأكّد الصلة والوصل بإمامك وجداناً وروحاً.

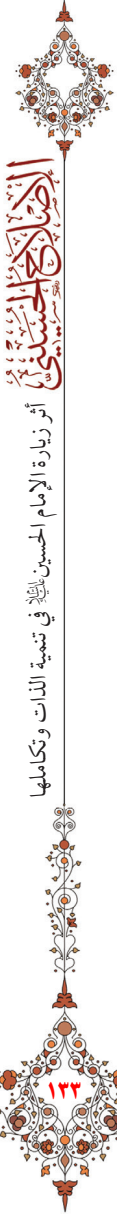
الخاتمة

من خلال البحث اتّضح لدى القارئ الكريم ما لزيارة الإمام الحسين عليه السلام من أثر في تنمية الذات وتطوّرها؛ وذلك لما في الزيارة من قيم معرفية وأخلاقية تكاملية عالية، وما للزيارة من فاعلية في تحفيز النفس، وإحداث النشاط والدافعية في النفس نحو التغيير للأفضل، واكتساب المهارات المتعدّدة والمتنوّعة.

(١) المصدر السابق.

(٢) المشهدي، محمّد بن جعفر: ص ٢٥١.

(٣) ابن فهد الحليّ، أحمد، عدّة الداعي ونجاح الساعي: ص ٥٦.



ونختم البحث بكلمات لمولانا الحسين عليه السلام قد ذكرت في كتب متعددة، حيث تعدّ الحكم والكلمات القصيرة من ضمن العناصر المهمة في التنمية؛ حيث يعتمد الإنسان لتكليم نفسه وعقله الباطن، ليحدث الحافز ويوقظ النشاط. ومن هذه الكلمات القصيرة قوله عليه السلام:

«يا أيُّها الناس، نافِسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَظْلِ ذَمًّا»^(١).

«دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل»^(٢).

«لا تتكلَّمَنَّ فيما لا يعنيك؛ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْوَزَرَ، وَلَا تَتَكَلَّمَنَّ فيما يعنيك حَتَّى تَرَى لِلْكَلامِ مَوْضِعًا»^(٣).

«أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا؛ فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا»^(٤).

«إِنَّ النَّاسَ عِبِيدُ الدُّنْيَا، وَالِدِينُ لَعَقٌّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ، فَإِذَا مَحَّصُوا بِالْبَلَاءِ قُلَّ الدِّيَانُونَ»^(٥).

«الصدق عَزٌّ، والكذب عِجْزٌ، والسِّرُّ أَمَانَةٌ، والجَوَارُ قَرَابَةٌ، والمَعُونَةُ صِدَاقَةٌ، وَالْعَمَلُ تَجَرِبَةٌ، وَالْخَلْقُ الْحَسَنُ عِبَادَةٌ، وَالصَّمْتُ زِينٌ، وَالشَّحُّ فَقْرٌ، وَالسَّخَاءُ غِنًى، وَالرَّفْقُ لَبٌّ»^(٦).

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٩٧.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٦٢.

(٣) المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٧٣٥.

(٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٣٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق: ص ٨٩٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.

٢ . الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٣ . الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد، الناشر: جماعة مدرسين، قم المقدسة، المطبعة الإسلامية، ١٤٠٣ هـ.

٤ . الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله، السيد عادل العلوي، المؤسسة الإسلامية للتبليغ، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.

٥ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

٦ . تأملات في التنمية، حامد الموصلي، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥ م.

٧ . تنميتنا الإسلامية، عبد الستار المرسومي، مؤسسة البصائر، الطبعة الأولى.

٨ . سحر القيادة، إبراهيم الفقي، مطبعة دار التوفيق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

٩ . عدّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الحلبي، تصحيح وتعليق: أحمد الموحد القمي، مكتبة وجداني، قم المقدسة.

١٠ . عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، قم المقدسة، دار الحديث، الطبعة الأولى.

١١ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٢ . المزار، محمد بن جعفر المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى.



- ١٣ . مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
- ١٤ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- ١٥ . موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، إعداد لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام (محمود الشريفي)، منظمة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- ١٦ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ١٧ . وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

المواقع الإلكترونية

- 18 . www.qodraat.com.
- 19 . www.iqtabasat.com.

**غُسل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وإجزأؤه عن الوضوء
آراء وأقوال**

السيد محمد محمود الخطيب

ماجستير في الفقه والمعارف الإسلامية/ جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية
باحث إسلامي من العراق

**The Ghusl of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)
and its Sufficiency Instead of Wudhu
– Opinions and Positions**

Sayyid Muhammad Mahmoud al-Khatib

Master's degree in Jurisprudence and Islamic Sciences,
al-Mustafa International University
Islamic researcher from Iraq

ملخص البحث

من المسائل الفقهية المرتبطة بزيارة المعصومين عليه السلام مسألة غسل الزيارة، فهناك روايات كثيرة تعتبر الغسل من آداب الزيارة، ولا سيما زيارة الإمام الحسين عليه السلام. ومن هنا يتناول المقال آراء الفقهاء من المتقدمين والمتأخرين وحتى المعاصرين في مسألة إجزاء الغسل عن الوضوء، وذلك على وفق التبويب الفقهي في تقسيم الأغسال إلى واجبة ومستحبة، مبيناً أنّ هناك ثلاثة آراء رئيسة في المسألة: عدم الإجزاء، إلّا في غسل الجنابة. الإجزاء في الأغسال الواجبة فقط. الإجزاء في جميع الأغسال الواجبة والمستحبة. وبعد استعراض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشتها، يتوصّل البحث إلى أنّه متى ما ثبت استحباب غسل زيارة أحد المعصومين - كما في غسل زيارة الإمام الحسين عليه السلام - الثابت بدليل قطعي - فإنّه يكون مجزياً عن الوضوء. أمّا غيره من الأغسال الثابتة بقاعدة التسامح في أدلة السنن، فلا تجزي عن الوضوء.

Abstract

One of the jurisprudential issues related to the Ziyara (visitation) of the Infallibles (PBUT) is the issue of the *Ghusl* (ritual bath) performed before these Ziyaras. Many narrations consider Ghusl one of the etiquettes of the Ziyara, especially the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH). Therefore, this article discusses the opinions of the early, late, and even contemporary Islamic jurists on this ritual bath's sufficiency instead of *Wudhu* (ablution). This is analyzed according to the jurisprudential classification of ritual baths into obligatory and recommended. As a result, the study shows that there are three main opinions on the matter. Some jurists believe that Ghusl never replaces the need for ablution, except for the Ghusl of Janaba (the Ghusl post-sexual activity). Others state that only obligatory ritual baths suffice, and a third group considers that all ritual baths, whether obligatory or recommended, replace the need for Wudhu.

After reviewing and discussing these opinions and their evidence, the researcher concludes that whenever it is proven, that any given Ghusl of the Ziyara of one of the Infallibles is recommended – as the case with the Ghusl of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) whose recommendation is confirmed by conclusive evidence – then said Ghusl is sufficient instead of ablution. However, other ritual baths established based on the principle of *Tasamuh fi Adelat al-Sunan* (the principle of tolerance in the recommended act's authenticity), do not replace the need for ablution.

Keywords: Ghusl (ritual bath), Ziyara (visitation), sufficiency, visit of Imam al-Husayn (PBUH), *Tasamuh fi Adelat al-Sunan* (tolerance in the recommended act's authenticity).

المقدمة

اهتمّت الشريعة الإسلامية بالطهارة، واعتبرتها شرطاً في الكثير من العبادات، وهذا ممّا يعكس أهميّتها ومدخليّتها في التقرب إلى الله؛ لتحقيق الطهارة الروحية، وتقوية جانب العبودية لدى الإنسان.

والغُسلُ من الأمور التي شرّعها الشارع المقدّس؛ لتحقيق تلك الحالة المعتبرة في الكثير من التكاليف الشرعية المستحبّة منها أو الواجبة، كالطواف والصلاة وغيرهما، إضافة إلى الوضوء، والمعبّر عنها بالطهارة المائية. كما أنّ هناك نوعاً آخر من الطهارة شرّع عند فقد الماء، والعجز عن استعماله، وهو التيمّم، والمعبّر عنه بالطهارة الترابية. وينقسم الغُسل إلى واجب ومستحبّ، أمّا الواجب منه فستة: «غُسل الجنابة، والحيض، والاستحاضة على وجه، والنفاس، ومسّ أموات الناس بعد البرد وقبل التطهير، وغسل الأموات»^(١). وأمّا المستحبّ فله موارد عديدة اختلف في عددها؛ للاختلاف فيما هو مستحبّ أو غير مستحبّ منها؛ حيث ذكر بعض أنّها نيف وستون غسلًا، وقيل: أقلّ. وقيل: أكثر^(٢).

وقد قسّم الفقهاء الأغسال المندوبة إلى ثلاثة أقسام: أغسال زمانية يؤتى بها في زمان معيّن، كغسل الجمعة ويوم عرفة. ومكانية للدخول إلى مكان ما، كغسل دخول الكعبة المشرفة والمسجد النبوي. وأغسال فعلية للقيام بفعل ما، كغسل زيارة النبي ﷺ أو الأئمّة الأطهار^(٣).

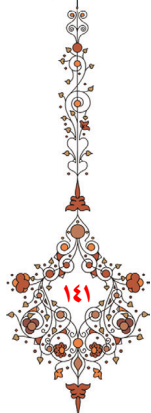
(١) الحلي، يحيى بن سعيد، الجامع للشرائع: ص ٣٢.

(٢) أنظر: الفاضل الهندي، محمد، كشف اللثام: ج ١، ص ١٣٣-١٦٩. المفيد، محمد بن محمد، المقنعة:

ص ٥٠. البروجردي، مهدي، مصابيح الأحكام: ج ٢، ص ٣٠١.

(٣) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج ٢، ص ٤٥٩. البروجردي، مهدي،

مصابيح الأحكام: ج ٢، ص ٣٠٠. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٢، ص ٣٠٨-٣١٤.



فغسل زيارة أحد المعصومين عليه السلام من الأغسال الفعلية المستحبة؛ مراعاةً لقدسية المكان، ولتحصيل الطهارة البدنية والنفسية^(١)، ولما يترتب عليه من ثواب عظيم، وقضاءٍ للحوائج، ودفعٍ للبلاء، وغفرانٍ للذنوب، كما ورد ذلك في الروايات، من قبيل: «مَنْ اغْتَسَلَ مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ، وَزَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، كَانَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ صَفْرًا مِنْ الذُّنُوبِ»^(٢). وفي رواية أخرى: «... كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَفْلُحِينَ»^(٣).

وهذا ما يفهم أيضاً من فقرات الدعاء الوارد استحباب ذكره بعد الفراغ من الغُسل، كما في قوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِي نُورًا وَطَهُورًا وَحِرْزًا وَكَافِيًا مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسَقَمٍ، وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَاهَةٍ. وَطَهِّرْهُ قَلْبِي وَجَوَارِحِي وَعِظَامِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي وَخَنِي وَعَصْبِي، وَمَا أَقَلَّتِ الْأَرْضُ مِنِّي، وَاجْعَلْ لِي شَاهِدًا يَوْمَ حَاجَتِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي»^(٤).

ونحن نريد في هذا البحث أن نبحث في غسل زيارة الإمام الحسين عليه السلام من حيث إجزائه عن الوضوء، وقد تناولنا ذلك في ثلاثة مباحث، وهي تشتمل على استحباب الغُسل، وإجزاء الغُسل عن الوضوء، وإجزاء غُسل الزيارة عن الوضوء. وقبل الدخول في البحث نستعرض مفرداته لغةً واصطلاحاً.

مفردات البحث

الغُسل بالضمّ، وجمعه أغسال^(٥): اسم يدلّ على تطهير الشيء وتنقيته^(٦). وهو

(١) أنظر: المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية: ص ١٠٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٩٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٨٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٩٠.

(٥) الفتيومي، أحمد، المصباح المنير: ج ٢، ص ٤٤٧.

(٦) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٤٢٤.

بافتح مصدر من غسلت، وبالضمّ اسم من الاغتسال^(١). وغسلت الشيء غسلًا: أسلت عليه الماء، فأزلت درنه^(٢). هذا في اللغة.

وأما في الاصطلاح، فالغسل أفعال خاصّة مع النية^(٣)، موجبة للطهارة، تحصل من إجراء الماء على البدن، أو برمسه فيه^(٤).

الزيارة لغةً بمعنى الميل والعدول عن الشيء. والمزار هو موضع الزيارة^(٥). والزيارة عرفاً: «قصد المزور إكراماً له، واستئناساً به»^(٦). وقد تُطلق الزيارة على «ما يقرأه الزائر أو يتكلّم به مادحاً المزور، وواصفاً له، ومسلياً عليه، إلى غير ذلك من الكلمات والجمل الواردة في زيارة الأولياء»^(٧).

الإجزاء في اللغة على وزن إفعال من جزأ بمعنى الكفاية، يقال: أجزأني الشيء إجزاءً: إذا كفاني^(٨). والجزء: الاستغناء بالشيء عن الشيء، وكأنّه الاستغناء بالأقلّ عن الأكثر، فهو راجع إلى معنى الجزء، قال ابن الأعرابي: يجزي قليل من كثير، ويجزي هذا من هذا، أي: كلّ واحد منهما يقوم مقام صاحبه، وجزأ بالشيء وتجزأ: قنع واكتفى به. وأجزأه الشيء: كفاه^(٩).

واستعمل في الفقه في نفس معناه اللغوي.

(١) الزبيدي، محمد، تاج العروس: ج ١٥، ص ٥٤٥.

(٢) الراغب الإصفهاني، حسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٧.

(٣) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٣، ص ٢.

(٤) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، كتاب الطهارة: ج ٢، ص ١٤٦.

(٥) أنظر: الجوهري، إسماعيل، الصحاح: ج ٢، ص ٦٧٤. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٦.

(٦) الفيتومي، أحمد، المصباح المنير: ج ٢، ص ٢٦٠.

(٧) أنظر: السبحاني، جعفر، رسائل فقهية: ج ٥، ص ٣٨٢.

(٨) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٥٥.

(٩) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٤٦.



وعليه؛ يكون المراد بـ: (غسل الزيارة) الغسل الذي يستحبّ الإتيان به عند قصد زيارة مرقد النبي ﷺ، أو أحد الأئمة المعصومين ﷺ. والمراد بـ: (إجراء الغسل) هو الاستغناء به عن الوضوء، ونيابته عنه.

المبحث الأول: استحباب الغسل لزيارة الإمام الحسين ﷺ

هناك العديد من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ تؤكد استحباب الغسل عند زيارة الإمام الحسين ﷺ، بعضها يدلّ على استحباب مطلق الغسل بأيّ ماء كان، من قبيل: ما روي عن «أبي عبد الله ﷺ، قال: إذا كنت منه قريباً، يعني الحسين ﷺ، فإن أصبت غُسلًا فاغتسل، وإلا فتوضّأ، ثم ائتته»^(١). وكذا ما روي عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «ومتى أردتَ الزيارة فاغتسل ورزُ...»^(٢).

وبعضها وارد في استحباب الغُسل بماء الفرات، من قبيل: رواية «يوسف الكناسي، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «إذا أتيت قبر الحسين ﷺ فأنت الفرات، واغتسل بحيال قبره، وتوجّه إليه...»^(٣). ورواية «يونس بن ظبيان عن الصادق ﷺ، قال: إذا أتيت الفرات فاغتسل والبس ثوبيك الطاهرين، ثم ائتِ القبر...»^(٤).

مضافاً إلى الروايات الدالة على استحقاق الثواب الكثير لكلّ مَنْ اغتسل بماء الفرات عند زيارة الإمام الحسين ﷺ، من قبيل: رواية «رفاعة النخاس عن أبي عبد الله ﷺ، قال: أخبرني أبي أنّ مَنْ خرج إلى قبر الحسين ﷺ عارفاً بحقه غير مستكبر، وبلغ الفرات، ووقع في الماء، وخرج من الماء، كان مثل الذي يخرج من الذنوب...»^(٥).

ورواية «الحسين بن سعيد، عن جعفر بن محمد بن محمد ﷺ أنّه سُئل عن الزائر لقبر

(١) الحرّ العاملي، محمد الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٨٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٤.

(٣) الحرّ العاملي، محمد، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٨٣، الباب ٥٩، ح ١.

(٤) المصدر السابق: ح ٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٨٤، الباب ٥٩، ح ٤.

الحسين عليه السلام؟ فقال: مَنْ اغتسل في الفرات، ثُمَّ مشى إلى قبر الحسين عليه السلام، كان له بكل قدم يرفعها ويضعها حبة متقبلة بمناسكها»^(١).

وكذا رواية «صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ اغتسل من ماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام، كان كيوم ولدته أمه صغراً من الذنوب...»^(٢).

وكذا الروايات الواردة في استحباب الدعاء المخصوص حين الغسل لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، أو عند الفراغ منه، من قبيل: رواية «إبراهيم بن محمد الثقفي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، أنه كان يقول عند [بعد] غسل الزيارة إذا فرغ: اللهم اجعله لي نوراً وطهوراً وحرزاً وكافياً من كل داء وسقم، ومن كل آفة وعاهة...»^(٣).

وكذا ما روي «عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك، وادعُ بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك، وقل حين تغتسل: اللهم طهرني، وطهر قلبي، وشرح لي صدري، وأجر على لساني ذكرك ومدحتك والثناء عليك، فإنه لا قوة إلا بك...»^(٤).

من مجموع هذا النصوص المستفيضة والروايات المختلفة نستكشف رجحان الغسل عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام واستحبابه. إلا أن هناك مَنْ جعله مختصاً بالزيارة عن قرب لا عن بعد^(٥)؛ لورود عبارة (إذا كنت حيال القبر، أو قريباً منه) في الروايات. وهناك مَنْ أطلق الحكم باستحباب الغسل لزيارته عليه السلام سواء عن قرب أم عن بعد^(٦).

(١) المصدر السابق: ص ٤٨٥، الباب ٥٩، ح ٦.

(٢) المصدر السابق: ح ٧.

(٣) ابن قولوية، جعفر محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٥) أنظر: الصدر، محمد، فقه الأخلاق: ج ١، ص ١١٢-١١٣.

(٦) أنظر: الوحيد الخراساني، حسين، منهاج الصالحين: ج ٢، ص ١٠٤. الشبيري، موسى، المسائل

الشرعية: ص ١٥١-١٥٢، المسألة ٦٥١.



المبحث الثاني: إجزاء الغسل عن الوضوء

الظاهر اتفاق الفقهاء على إجزاء غسل الجنابة عن الوضوء؛ وذلك باعتبار أنّ الوضوء وظيفة من ليس عليه غسل الجنابة^(١)؛ عملاً بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٢)؛ حيث أمر سبحانه وتعالى مرید القيام لأداء الصلاة بالوضوء، وهو عام يشمل كل مكلف مغتسلاً كان أو غير مغتسل، خرج مغتسل الجنابة منه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾؛ فإنه يفهم منه أنّ الأمر بالوضوء لغيره^(٣).

وكذا الروايات الدالة على إجزاء غسل الجنابة عن الوضوء، من قبيل: رواية ابن أبي عمير «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلّ غسل قبله وضوء، إلّا غسل الجنابة»^(٤). ورواية حماد بن عثمان «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: في كلّ غسل وضوء، إلّا الجنابة»^(٥)؛ لأنّ غسل الجنابة فرض كالوضوء، فيكون مجزياً عنه، وهذا بخلاف سائر الأغسال؛ فإنّها سنة وهي لا تجزي عن الفريضة^(٦)، مضافاً إلى جريان الأصل، وهو الاستصحاب عند الشك؛ فإنّ المكلف قبل الغسل ممنوع من الدخول في الصلاة بلا وضوء، فكذا الحال بعده^(٧)، باستثناء غسل الجنابة الذي خرج بالنص.

(١) المحقّق الحليّ، جعفر بن الحسن، المعتمد: ج ١، ص ١٩٥. الصيمري، مفلح بن الحسن، كشف الالتباس: ص ١٨٣. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، روض الجنان: ج ١، ص ١٣٨. الخوئي، أبو القاسم، موسوعة السيّد الخوئي: ج ٤، ص ٤٠٦.

(٢) المائدة: الآية ٦.

(٣) أنظر: العلامة الحليّ، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج ١، ص ٣٤٠.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٨، الباب ٣٥، ح ١.

(٥) المصدر السابق: ح ٢.

(٦) أنظر: الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١، ص ٢٣٨.

(٧) أنظر: العلامة الحليّ، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج ١، ص ٣٤٠.

ولذا ذهب جملة من كبار الفقهاء إلى القول بعدم إجزاء جميع الأغسال عن الوضوء باستثناء غسل الجنابة^(١). والشهرة مرجحة لهذا القول^(٢).

والظاهر من السيّد المرتضى في (جمل العلم والعمل) القول بإجزاء خصوص الأغسال الواجبة عن الوضوء فقط؛ حيث قال: «وإنما الوضوء في غير الأغسال الواجبة»^(٣).

ونسب بعض إليه وإلى ابن الجنيد القول بالإجزاء في جميع الأغسال^(٤)، وتبعهما على ذلك جماعة^(٥)، مستندين في ذلك إلى الروايات، والأصل، مع مناقشتهم في أدلة القائلين بعدم الإجزاء وردّها^(٦).

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٥٣. الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية: ص ٢٣. ابن إدريس، محمد، السرائر: ج ١، ص ١١٢-١١٣. المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، المختصر النافع: ص ٩. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ١، ص ٢٤٦. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١، ص ٢٣٧. الزيدي، محمد كاظم، العروة الوثقى: ج ١، ص ٤٦٦.

(٢) الشهيد الأول، محمد بن مكي، ذكرى الشيعة: ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الشريف المرتضى، علي بن الحسين، جمل العلم والعمل: ص ٥١.

(٤) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج ١، ص ٣٤٠. ولم نثر عليه في كتب السيّد المرتضى المطبوعة، ولعلّ العلامة عثر عليه في كتاب آخر لم يصل إلينا. والموجود في كتب السيّد المرتضى أنّه يرى ثبوت الوضوء في غير الأغسال الواجبة، لا أنّه يقول بإجزاء جميع الأغسال عن الوضوء؛ حيث قال: «وإنما الوضوء في غير الأغسال الواجبة». الشريف المرتضى، علي بن الحسين، جمل العلم والعمل: ص ٥١.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ١، ص ٢٣٢. الخوانساري، حسين، مشارق الشمس: ج ١، ص ٢٣٠. الحر العاملي، محمد الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٤. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١٣، ص ١٣٧. البحراني، يوسف، الخدائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٠. الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج ٣، ص ٣٤٦. الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ص ٢٠٧.

(٦) أنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج ١، ص ١٢٨. العاملي، محمد، مدارك الأحكام: ج ١، ص ٣٥٩.



أمّا الأصل؛ فإنّهم يرون جريان أصالة البراءة عند الشكّ في وجوب الوضوء بعد كلّ غسل^(١). وأمّا الروايات؛ فلرواية محمد بن مسلم «عن أبي جعفر عليه السلام، قال: الغُسل يجزي عن الوضوء، وأيُّ وضوء أطهر من الغسل؟!»^(٢). ورواية «يحيى بن طلحة عن أبيه، عن عبد الله بن سليمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الوضوء بعد الغسل بدعة»^(٣). فإنّهما ظاهران في العموم، وأنّ الغُسل أفضل من الوضوء في إيجاد الطهارة. وكذا رواية حكم بن حكيم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن غسل الجنابة - إلى أن قال - قلت: إنّ الناس يقولون: يتوضّأ وضوء الصلاة قبل الغسل، فضحك وقال: وأيُّ وضوء أنقى من الغسل وأبلغ؟!»^(٤)، فإنّها تفيد إجزاء الغسل بشكل عامّ عن الوضوء.

ومما يمكن إضافته أيضاً كدليل على القول بإجزاء جميع الأغسال عن الوضوء هو أنّ تشريع الغُسل كتشريع الوضوء، فكما أنّ الوضوء يُعتبر رافعاً للحدث كذلك الغُسل يرفع الحدث أيضاً من دون فرق بين غُسل الجنابة أو غيره من الأغسال^(٥)، وإلّا لما قال الفقهاء بانتقاض الأغسال المستحبّة - كغسل الإحرام، أو دخول مكّة، أو زيارة المعصومين - بمطلق الحدث^(٦).

وأشكّل عليهم: بأنّ المراد بالغُسل في هذه الروايات هو غسل الجنابة؛ لأنّه

(١) أنظر: الفاضل الهندي، محمد، كشف اللثام: ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٤، الباب ٣٣، ح ١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٥، الباب ٣٣، ح ٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٤٧، الباب ٣٤، ح ٤.

(٥) أنظر: الصانعي، يوسف، إجزاء الغسل عن الوضوء، مجلّة الاجتهاد والتجديد، صيف سنة

(١٤٣٩هـ): العدد ٤٧، ص ١٧٢-١٧٣.

(٦) أنظر: الصيمري، مفلق بن الحسن، كشف الالتباس: ص ٣٤٢. الحكيم، محسن، مستمسك

العروة الوثقى: ج ٣، ص ٣٤٦.

الظاهر عند الإطلاق^(١)؛ فإنَّ الألف واللام فيها للعهد، لا للعموم والاستغراق حتَّى يمكن الاحتجاج بها لسائر الأغسال، ومن ثمَّ يبطل الاستدلال بها.

أو بأنَّ يقال: إنَّ هذه الأحاديث تدلُّ على كمالية الأغسال والاكْتفاء بها فيما شُرِّعت له، والوضوء لا يجب في غسل الحيض، أو الجمعة مثلاً، ليكمل الغسل عنهما، وإنَّما يجب الوضوء للصلاة، فعند غسل الحيض - مثلاً - يرتفع حدث الحيض، وتبقى المرأة كغيرها من المكلفين إذا أرادت الصلاة يجب عليها الوضوء، وكذا الحال في باقي الأغسال^(٢).

مضافاً إلى أنَّ هذه الروايات غير مُفصَّلة، بينما أخبارُ عدم الإجزاء تتضمَّن التفصيل بين غسل الجنابة وغيره، والعملُ بالمفصَّل لدى التعارض أولى^(٣).

لكنَّهم أجابوا عن ذلك: بأنَّ الألف واللام هنا تُفيد العموم؛ إذ الحمل على العهد يقتضي سبق معهود، وليس هنا تقدُّم معهود. والحملُ على العهد الذهني ينافي غرض البيان والإفادة، كما يؤيِّده التعليل المستفاد من قوله عليه السلام: «وأيُّ وضوءٍ أظهر من الغُسل؟!»؛ فإنَّه ظاهر في العموم؛ إذ لا خصوصية لغُسل الجنابة في هذا الحكم^(٤). والسؤال عن غُسل الجنابة في رواية حكم بن حكيم لا يُخصَّص عموم جواب الإمام عليه السلام، وكونه بصدد بيان ماهية الحكم وشموله لجميع الأغسال لا خصوص غُسل الجنابة^(٥).

(١) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج ١، ص ٣٤١. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج ٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) أنظر: الفاضل الآبي، الحسن بن أبي طالب، كشف الرموز: ج ١، ص ٧٤. المحقِّق الحلي، جعفر بن الحسن، المعبر: ج ١، ص ١٩٦.

(٤) أنظر: السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد: ج ١، ص ٤٨. البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٤.

(٥) أنظر: الروحاني، صادق، فقه الصادق: ج ٢، ص ٢٠٨.



وأما بالنسبة إلى مسألة كمالية الأغسال والاكتفاء بها فيما شُرعت له، ففيها: أن هناك رواياتٍ أخرى تُبيّن أنه لا وضوء مشروع مع غسل الجمعة وغيره من الأغسال^(١)، كما في مكاتبة عبد الرحمن الهمداني؛ حيث كتب إلى «أبي الحسن الثالث عليه السلام يسأله عن الوضوء للصلاة في غسل الجمعة. فكتب: لا وضوء للصلاة في غسل يوم الجمعة ولا غيره»^(٢).

كما أن الأخبار التي يستند إليها القائلون بالإجزاء غير منحصرة بالروايات السابقة؛ حتى يقال: إن روايات القول بالإجزاء غير مفصلة، وروايات القول بعدم الإجزاء مفصلة، فيكون العمل بها أولى لدى التعارض^(٣)؛ فإن هناك روايات أخرى مفصلة يمكن العمل بها، كمكاتبة عبد الرحمن الهمداني المتقدمة، وموثقة عمار الساباطي، قال: «سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل إذا اغتسل من جنبته، أو يوم الجمعة، أو يوم عيد، هل عليه الوضوء قبل ذلك أو بعده؟ فقال: لا، ليس عليه قبل ولا بعد، قد أجزأه الغسل...»^(٤).

هذا مضافاً إلى الروايات العديدة الواردة في بحث الحيض والنفاس والاستحاضة^(٥)، التي تدلّ على كفاية غسل الحيض والنفاس للدخول في الصلاة من دون حاجة إلى الوضوء، من قبيل رواية معاوية بن عمار عن «أبي عبد الله عليه السلام، قال: المستحاضة تنظر أيامها، فلا تُصليّ فيها، ولا يقربها بعلها. فإذا جازت أيامها، ورأت الدم يثقب الكرسف، اغتسلت للظهر والعصر، تؤخر هذه وتُعجل هذه، وللمغرب والعشاء غسلاً...»^(٦).

(١) أنظر: البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٤، الباب ٣٣، ح ٢.

(٣) أنظر: البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٤، الباب ٣٣، ح ٣.

(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٣٧١، روايات الباب ١.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٧١، الباب ١، ح ١.

ورواية «زرارة، قال: قلت له: النُّفْسَاءُ متى تُصَلِّي؟ فقال: تقعد بقدر حيضها، وتستظهر بيومين، فإن انقطع الدم، وإلا اغتسلت واحتشت واستثفرت وصَلَّت. فإن جاز الدم الكرسف، تعصبت واغتسلت، ثُمَّ صَلَّت الغداةَ بغسلٍ، والظهرَ والعصرَ بغسلٍ، والمغربَ والعشاءَ بغسلٍ. وإن لم يَجِزَ الدم الكرسف، صَلَّت بغسلٍ واحدٍ. قلت: والحائض؟ قال: مثل ذلك سواء...»^(١).

فلو كانت هناك حاجة إلى الوضوء مع هذه الأغسال، لكان اللازم على الإمام عليه السلام بيانه وذكره؛ لأنّه في مقام بيان، ولما لم يُبيّن أو يذكر ذلك، نفهم منه إجزاء جميع هذه الأغسال عن الوضوء^(٢).

وأما المناقشة في أدلة القائلين بعدم إجزاء جميع الأغسال عن الوضوء، فقالوا: أمّا بالنسبة إلى الآية^(٣) التي استدلل بها على عدم إجزاء الغسل عن الوضوء ما عدا غُسل الجنابة، فهي لا تفيد العموم؛ لعدم اشتغالها على شيء من أدواته، وكلمة (إذا) الواردة في الآية ليست منها حتى تفيد العموم؛ بل الإهمال^(٤). فلو سلّم بعمومها فإنّها مخصّصة بالروايات الدالّة على إجزاء الغسل عن الوضوء^(٥).

كما أنّ المفسّرين أجمعوا على أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا قمتم من حدث النوم^(٦) - أي: الحدث الأصغر - فعليكم الوضوء للصلاة،

(١) المصدر السابق: ح ٥.

(٢) الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج ١، ص ١٢٩. العاملي، محمد، مدارك الأحكام: ج ١، ص ٣٦١. السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد: ج ١، ص ٤٧-٤٨.

(٣) أي: الآية السادسة من سورة المائدة.

(٤) أنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج ١، ص ١٢٦-١٢٧. الخوانساري، حسين، مشارق الشموس: ج ١، ص ٢٣٤.

(٥) أنظر: العاملي، محمد، مدارك الأحكام: ج ١، ص ٣٥٩. السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد: ج ١، ص ٤٨.

(٦) أنظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الانتصار: ص ١١٩. الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ١٠٩.

ولا تدلّ على أنّه مَنْ كان محدثاً بالحدث الأكبر، فهو مأمور بالوضوء أيضاً^(١)؛ لأنها فصلت بين الحدث الأصغر والحدث الأكبر؛ فأوجبت الوضوء على المحدث بالأوّل، والغسل على المحدث بالثاني، والتفصيل قاطع للشركة^(٢). ومن المعلوم أنّ الإتيان بالغسل رافع للحدث الأكبر والأصغر معاً، فلا موضوع للوضوء معه.

والاحتجاج بالشهرة للقول بعدم الإجزاء^(٣)، مردود أيضاً؛ فإنّ الشهرة المعتبرة هي الشهرة في الرواية لا الفتوى^(٤).

وبهذا يتحصّل الإجزاء عن الوضوء بمطلق الأغسال الشرعية، سواءً الواجبة منها أم المستحبّة، ولكن على الرغم من ذلك قد احتاط بعض الفقهاء، فقال: إنّ الاحتياط يقتضي عدم ترك الوضوء بعد هذه الأغسال؛ مراعاةً لما اشتبه بين الأصحاب^(٥).

هذه هي المواقف الشرعية من إجزاء الغسل عن الوضوء، ويمكن إجمالها في:

- ١ . عدم الإجزاء إلّا في غُسل الجنابة.
- ٢ . إجزاء الأغسال الواجبة.
- ٣ . إجزاء مطلق الغسل الواجب والمستحبّ عن الوضوء.

المبحث الثالث: إجزاء غسل الزيارة عن الوضوء

لا شكّ في أنّ الكلام على إجزاء غسل الزيارة وعدمه مبني على القول بإجزاء مطلق الغسل؛ نظراً إلى كونه غسلًا مستحبًّا؛ لغاية مستحبّة؛ إذ لم يذهب أحد إلى وجوبه حتّى مع احتمال القول بوجوب الزيارة، وعليه نقول:

- (١) البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٥-١٢٦.
- (٢) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، موسوعة السيّد الخوئي: ج ٧، ص ٤٠٣.
- (٣) أنظر: الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، ذكرى الشيعة: ج ١، ص ٢٠٤.
- (٤) أنظر: البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٣، ص ١٢٢.
- (٥) أنظر: الخوانساري، حسين، مشارق الشمس: ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.

١. على القول بعدم إجزاء الغسل عن الوضوء باستثناء غسل الجنابة، فلا إشكال في عدم إجزاء غسل الزيارة عن الوضوء أيضاً كسائر الأغسال، بل على القول بإجزاء خصوص الأغسال الواجبة أيضاً.
٢. على القول بإجزاء جميع الأغسال عن الوضوء الواجبة منها والمستحبة، فهناك قولان في المسألة:

القول الأول: الإجزاء

وذلك لإجزاء جميع الأغسال المستحبة عن الوضوء، ومن جملتها غسل الزيارة^(١)؛ لأنّه من الأغسال المستحبة الثابتة التي دلّ عليه العديد من الروايات الواردة في استحباب الغسل عند زيارة المعصومين عليهم السلام، مضافاً إلى القطع به بين الفقهاء^(٢)، ولما في بعضها من الأمر بالصلاة بعد الإتيان بالغسل من دون تقييد بالوضوء؛ فيفهم من ذلك إجزاء غسل الزيارة عن الوضوء، كما في رواية سليمان بن عيسى عن أبيه، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أزورك إذا لم أقدر على ذلك؟ قال: قال لي: يا عيسى، إذا لم تقدر على المجيء، فإذا كان في يوم الجمعة، فاغتسل أو توضّأ، واصعد إلى سطحك، وصلّ ركعتين، وتوجّه نحوي؛ فإنّه من زارني في حياتي فقد زارني في مماتي، ومن زارني في مماتي فقد زارني في حياتي»^(٣).

وكذا صحيحة معاوية بن عمّار الواردة في استحباب الغسل عند زيارة النبي صلى الله عليه وآله

- (١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١٣، ص ١٣٧. الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة: ص ٢٠٥-٢٠٧.
- (٢) أنظر: الفاضل الهندي، محمد، كشف اللثام: ج ١، ص ١٥٠. البروجردي، مهدي، مصابيح الأحكام: ج ٢، ص ٤٦٤. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١، ص ٤٩٢.
- (٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٧-٢٨٨. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٧٨، الباب ٩٥، ح ٥.

ووداعه، حيث روى «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تدخلها، ثم تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله...»^(١).

ومثلها روايته الأخرى، قال: قال «أبو عبد الله عليه السلام: إذا أردت أن تخرج من المدينة فاغتسل، ثم أتت قبر النبي صلى الله عليه وآله...»^(٢).

وكذا ما روي في كيفية زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك من قبيل رواية يونس بن ظبيان «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أردت زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام فتوضأ، واغتسل، وامش على هيئتك»^(٣).

وما رواه المفيد في (المقنعة) حيث قال: «تأتي مشهده وأنت على غسل...»^(٤). وما ورد في استحباب الغسل عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من قبيل رواية يونس بن عمار عن «أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا كنت منه قريباً - يعني الحسين عليه السلام - فإن أصبت غسلاً فاغتسل، وإلا فتوضأ ثم أتته»^(٥). فقول الإمام الصادق عليه السلام: «فإن أصبت غسلاً فاغتسل، وإلا فتوضأ...» نص في أجزاء الغسل عن الوضوء.

ومثلها الروايات الواردة في استحباب الغسل بماء الفرات عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام^(٦)، من قبيل رواية «أبي الصامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً، كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة. فإذا أتيت الفرات فاغتسل، وعلّق نعليك، وامش حافياً، وامش

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٤١، الباب ٦، ح ١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٨، الباب ١٥، ح ١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٠، الباب ٢٩، ح ١.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٤٦٢.

(٥) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٨٩، الباب ٦٠، ح ٦.

(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٨٣، روايات الباب ٥٩.

مشي العبد الذليل. فإذا أتيت باب الحائر فكبر أربعاً، ثم امش قليلاً ثم كبر أربعاً، ثم ائت رأسه فقف عليه، فكبر أربعاً، وصلّ عنده، وسل الله حاجتك»^(١).

ومثلها رواية يوسف الكناسي عن «أبي عبد الله عليه السلام»، قال: إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فأنت الفرات، واغتسل بحيال قبره، وتوجه إليه، وعليك بالسكينة والوقار...»^(٢). وكذا ما روي في استحباب الغسل لزيارة الإمام الرضا عليه السلام «عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الصقر بن دلف، قال: سمعت سيدي علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: من كانت له إلى الله حاجة، فليزر قبر جدي الرضا عليه السلام بطوس وهو على غسل، وليصل عند رأسه ركعتين...»^(٣).

فكلّ هذه الروايات مطلقة من ناحية الأمر بالغسل عند زيارتهم عليهم السلام، والأمر بالصلاة بعده من دون أمر بالوضوء، وحيث لم تأمر بذلك يفهم منها أجزاء غسل الزيارة عن الوضوء.

والمستخلص: أنّ استفادة الأجزاء من هذه الروايات وأمثالها من جهتين: الأولى: أنّه يثبت بها الاستحباب، وهو كافٍ في إثبات الأجزاء من خلال ضمّ تلك الأدلة التي استدّل بها على أجزاء جميع الأغسال بما فيها المستحبة، وعدم اختصاص الأمر بغسل الجنابة، أو بالأغسال الواجبة.

الجهة الأخرى: وهي الأمر فيها بالصلاة من دون إشارة إلى الوضوء، مع أنّ أغلبها في مقام بيان كيفية الزيارة وشروطها، ولم يرد في شيء منها الإشارة إلى الوضوء لا قبل الغسل، ولا بعده، ولا حتّى عند إرادة الصلاة، واحتمال اعتماد الإمام على المرتكز من وجوب الوضوء للصلاة، يدفعه أنّ الشرط في الصلاة هو الطهارة، فالأقرب من هذا الاحتمال هو اعتماد الإمام على حصولها بالغسل.

(١) المصدر السابق: ص ٤٤٠، الباب ٤١، ح ٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٨٣، الباب ٥٩، ح ١.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٦٩، الباب ٨٨، ح ٢.



القول الآخر: عدم الإجزاء

عدم إجزاء غسل الزيارة عن الوضوء، إلا في خصوص ما ثبت استحبابه بدليل معتبر وصريح، دون الأغسال الثابت استحبابها بقاعدة التسامح في أدلة السُّنن ورجاء المطلوبة^(١)؛ لأنَّ الاستحباب من الأحكام التعبدية التوقيفية التي تحتاج في إثباتها إلى نصٍّ شرعي معتبر^(٢)، وحيث لا نصٌّ فلا نستطيع إحراز الاستحباب شرعاً للعمل به. ولا يمكن الاستناد إلى قاعدة التسامح في أدلة السُّنن لإثبات الاستحباب؛ لأنَّ أقصى ما يستفاد منها جواز الإتيان بالعمل برجاء المطلوبة أو الاحتياط^(٣)، وهذا لا يفيد استحباب الفعل؛ حيث إنَّهم يرون أنَّ أغلب روايات استحباب غسل الزيارة إمَّا مرسلة، وإمَّا ضعيفة سنداً، فلا يمكن الاعتماد عليها في إثبات استحباب غسل الزيارة^(٤)، وإجزائه عن الوضوء؛ لأنَّ أغلب هذه الروايات ثابتة بقاعدة التسامح في أدلة السُّنن، وهذا لا يفيد الاستحباب الشرعي المطلوب.

فرواية سليمان بن عيسى - مثلاً - الواردة في استحباب الغسل عند زيارة الإمام الصادق عليه السلام، ضعيفة سنداً؛ لكون سليمان بن عيسى مجهول الحال مهماً لم يذكره علماء الرجال^(٥).

(١) أنظر: الصدر، محمد، ما وراء الفقه: ج ١، ص ١٤٩-١٥٣. الصدر، محمد، فقه الأخلاق: ج ١، ص ١١٠. الروحاني، صادق، منهاج الصالحين: ج ١، ص ١٣٣. الشيرازي، موسى، المسائل الشرعية: ص ١٥٢.

(٢) أنظر: البحراني، يوسف، الخدائق الناضرة: ج ٤، ص ١٩٧-٢٠٣.

(٣) أنظر: الصدر، محمد، ما وراء الفقه: ج ١، ص ١٥١-١٥٤. الصدر، محمد، فقه الأخلاق: ج ١، ص ١١٠.

(٤) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج ٣، ص ٤٩-٥٠. الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ١، ص ٩٤-٩٥. التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج ١، ص ٥٤-٥٥. الهاشمي، محمود، منهاج الصالحين: ج ١، ص ١٠٨. السيستاني، علي، منهاج الصالحين: ج ١، ص ١٢١.

(٥) أنظر: المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال: ج ٣٣، ص ٢٣٨. النجاشي، الشاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٤، ص ١٤٣.

وكذا الحال في رواية الغسل لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام؛ فإنّها ضعيفة سنداً؛ لوجود
يونس بن ظبيان الذي لا يلتفت إليه؛ لكثرة خلطه في كتبه^(١)، ولجهالة ذبيان بن
حكيم^(٢).

وأما الروايات الواردة في استحباب الغسل بماء الفرات عند زيارة الإمام
الحسين عليه السلام، فإنّ فيها ما هو ضعيف السند؛ لكون رواها مجهولي الحال، لا ذكر لهم
في كتب الرجال، كرواية يوسف الكناسي؛ لوجود نعيم بن الوليد فيها، وهو مجهول
الحال^(٣).

نعم، مع ثبوت استحباب الغسل لزيارة أحد المعصومين عليه السلام بدليل شرعي
معتبر وصحيح، فيمكن القول بإجزائه عن الوضوء، لكن في خصوص ما ثبت
فيه الدليل وتمّ - كما في الغسل لوداع النبي صلى الله عليه وآله، والغسل بماء الفرات لزيارة الإمام
الحسين عليه السلام عن قرب أو بعد^(٤)، أو في خصوص زيارته عن قرب^(٥)؛ لعدم ثبوت دليل
استحباب الغسل لزيارته عليه السلام عن بعد^(٦) - دون سائر المعصومين عليهم السلام؛ لعدم ثبوت
استحباب الغسل لزيارتهم بدليل معتبر وصحيح؛ فإنّ إثبات حكم عند زيارة أحد
المعصومين عليهم السلام لا يقتضي تعميمه لسائرهم، لوجود أحكام خاصّة في مشاهد بعض
المعصومين عليهم السلام دون سائرهم، من قبيل تخيير المسافرين بين القصر والتمام في مسجد

(١) أنظر: النجاشي، أحمد، رجال النجاشي: ص ٤٤٨.

(٢) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٨، ص ١٥٤.

(٣) أنظر: النمازي الشاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨، ص ٨٧. الجواهري،

محمد، المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٦٤٢.

(٤) أنظر: الشيرازي، موسى، المسائل الشرعية: ص ١٥١ - ١٥٢، المسألة ٦٥١.

(٥) أنظر: الصدر، محمد، فقه الأخلاق: ج ١، ص ١١١.

(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ١١٢ - ١١٣. الوحيد الخراساني، حسين، منهاج الصالحين: ج ٢،

ص ١٠٤.

النبي ﷺ والحائر الحسيني عليه السلام^(١)؛ وعليه فلا يمكن القول بإجزاء غسل الزيارة عن الوضوء بالنسبة إلى سائر المعصومين عليهم السلام الذين لم يثبت في زيارتهم دليل معتبر على استحباب الغسل للزيارة.

الخاتمة

تبين مما تقدم أن هناك ثلاثة آراء فقهية في مسألة إجزاء الغسل عن الوضوء من عدمه، نوجزها فيما يلي:

الأول: يرى أن جميع الأغسال سواء الواجبة أو المستحبة - عدا غسل الجنابة - لا يجزي عن الوضوء؛ وعليه فغسل الزيارة لأحد المعصومين لا يجزي عن الوضوء. الثاني: جميع الأغسال الواجبة تجزي عن الوضوء دون المستحبة؛ وبناءً عليه لا يجزي غسل الزيارة عن الوضوء؛ لأنه من الأغسال المستحبة.

الثالث: جميع الأغسال سواء الواجبة أم المستحبة تجزي عن الوضوء؛ وعلى هذا القول يحكم بإجزاء غسل الزيارة لأحد المعصومين عن الوضوء، شريطة أن يثبت استحبابه بدليل شرعي معتبر، لا بقاعدة التسامح في أدلة السنن.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

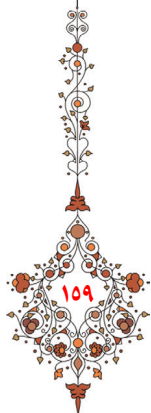
١. إجزاء الغسل عن الوضوء، الشيخ يوسف الصنعاني، مجلة الاجتهاد والتجديد، صيف سنة ١٤٣٩هـ، العدد ٤٧.

٢. الانتصار في انفرادات الإمامية، علي بن الحسين علم الهدى الشريف المرتضى، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١) أنظر: الزبيدي، محمد كاظم، العروة الوثقى: ج ٢، ص ١٦٣.

- ٤ . تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٥ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحرير مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٦ . تنقيح المقال في علم الرجال، الشيخ عبد الله المامقاني، تحقيق: محيي الدين المامقاني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ٧ . التنقيح في شرح العروة الوثقى (كتاب الطهارة)، السيّد أبو القاسم الخوئي، تقرير: الميرزا علي الغروي، مدرسة دار العلم، قم المقدسة، ١٤١١هـ.
- ٨ . الجامع للشرائع، يحيى بن سعيد الحلي، مؤسسة سيّد الشهداء، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٩ . جُمل العلم والعمل، علي بن الحسين علم الهدى الشريف المرتضى، مطبعة الأدب، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.
- ١٠ . جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٤هـ.
- ١١ . الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف بن أحمد البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١٢ . الخلاف، محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٣ . ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد، محمد باقر السبزواري، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٢٤٧هـ.
- ١٤ . ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأوّل)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.



١٥ . رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنّفي الشيعة)، أحمد بن علي النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

١٦ . رسائل فقهية، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدّسة.

١٧ . روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٨ . روضة المتّقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٩ . رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل، علي بن محمد الطباطبائي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠ . السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، محمد بن منصور المعروف بابن إدريس، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢١ . الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢ . صراط النجاة (المحشّى)، السيّد أبو القاسم الخوئي، مكتب نشر المنتخب، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣ . صراط النجاة، الميرزا جواد بن علي التبريزي، دار الصديقة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢٤ . العروة الوثقى فيما تعمّ به البلوى، السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٢٥ . عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، مؤسسة أنصاريان، قم المقدّسة.

٢٦ . الفتاوى الواضحة وفقاً لمذهب أهل البيت، السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ.

٢٧ . فقه الأخلاق، محمد بن محمد صادق الصدر، تحقيق: كاظم العبادي، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

٢٨ . فقه الصادق، السيّد صادق الروحاني، دار الكتاب، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٩ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، دار المرتضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٣٠ . كشف الالتباس في موجز أبي العباس، الشيخ مفلح بن الحسن الصيمري، مؤسّسة صاحب الأمر، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣١ . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، مكتب التبليغ الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢ . كشف اللثام والإبهام عن قواعد الأحكام، محمد بن الحسن الفاضل الهندي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣ . لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٤ . ما وراء الفقه، محمد بن محمد صادق الصدر، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٥ . مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، أحمد بن محمد الأردبيلي، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٦ . المختصر النافع في فقه الإمامية، جعفر بن الحسن المعروف بالمحقّق الحليّ، مؤسّسة المطبوعات الدينية، قم المقدّسة، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.

٣٧ . مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحليّ، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.



٣٨ . مدارك الأحكام في شرح عبادات شرائع الإسلام، محمد بن علي العاملي الموسوي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٩ . مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٠ . المسائل الشرعية، السيّد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٤١ . مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، حسينية عماد زاده، إصفهان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٢ . مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الطباطبائي الحكيم، مؤسسة دار التفسير، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٣ . مشارق الشموس في شرح الدروس، حسين بن محمد الخوانساري، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.

٤٤ . مصابيح الأحكام، مهدي البروجردي، ميثم التّمار، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤٥ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى.

٤٦ . المعتبر في شرح المختصر، جعفر بن الحسن المعروف بالمحقّق الحلي، مؤسسة سيّد الشهداء، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٧ . معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرجال، السيّد أبو القاسم الخوئي، ١٤١٣هـ.

٤٨ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٩ . مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٠ . المفيد من معجم رجال الحديث، الشيخ محمد الجواهري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥١ . المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٢ . مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٥٣ . منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي، مجمع البحوث الإسلامية، مدينة مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٤ . منهاج الصالحين، السيّد أبو القاسم الخوئي، نشر: مدينة العلم، قم المقدسة، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٠هـ.

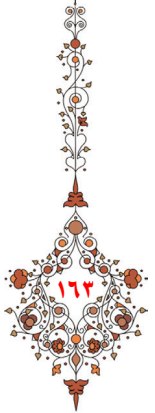
٥٥ . منهاج الصالحين، السيّد علي السيستاني الحسيني، مكتب السيّد السيستاني، قم المقدسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.

٥٦ . منهاج الصالحين، الشيخ حسين الوحيد الخراساني، مدرسة الإمام الباقر، قم المقدسة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ.

٥٧ . منهاج الصالحين، محمود بن محمد علي الهاشمي الشاهرودي، مؤسسة فقه ومعارف أهل البيت، قم المقدسة، الطبعة السابعة، ١٤٣٤هـ.

٥٨ . موسوعة السيّد الخوئي، السيّد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٩ . النهاية في مجرد الفقه والفتوى، محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.



**حضور التجربة الدينية لدى زائري العتبات المقدسة
على مستوى الاعتقادات والأفعال
زيارة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً**

د. سميرة عبد الرحمن قصباجي

باحثة إسلامية / الجزائر

الوحدة النسوية في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

**The Presence of Religious Experience Among the Visitors
of the Holy Shrines at the Level of Beliefs and Actions
– The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) as a Sample**

Dr. Samira Abd al-Rahman Kasbadji

Islamic researcher – Algeria

Women's Department at the Warith al-Anbiya Institute
for Specialized Studies on the Uprising
of Imam al-Husayn(PBUH)

ملخص البحث

يتمحور البحث حول إسهام (التجربة الدينية) الفردية في ارتقاء زائري العتبات المقدسة مدارج الكمال على مستوى البعدين العقدي والسلوكي. أمّا على مستوى العقيدة فإنّ الزائر يلمس بوجدانه من خلال تجربته الشخصية عقيدة التوحيد ركيزة الإيمان والدين، تستنبعها عقيدته بوجود الواسطة التي تأخذ بيده نحو الحقّ تعالى، وقد تمثّلت في النبي ﷺ والوصي ﷺ. وأمّا المعاد - الذي يُعدّ الإيمان به ركناً أساسياً من أركان العقيدة أيضاً - فإنّ العتبات المقدسة والضرائح الشريفة تُجسّد للزائر هذا الأصل في أقرب صورة وأوضحها.

ولهذه التجربة آثار إيجابية على مستوى البعدين السلوكي والأخلاقي؛ حيث يتجلّى تغيير جوهر الزائر، وتستحكم أصول عقيدته في أفعاله وممارساته في ذاته ومع أفراد مجتمعه. وتُعدّ التجربة الدينية في زيارة العتبة الحسينية، أو الزيارة الأربعينية، الأكثر تأثيراً في الزائر، لتاريخها المجيد، وما تحمله من مثل عليا، ومفاهيم عظيمة.

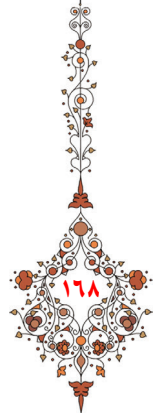
الكلمات المفتاحية: التجربة الدينية، الزيارة، زيارة الإمام الحسين ﷺ، العتبات المقدسة.

Abstract

This study focuses on the contribution of individual religious experience in the elevation of visitors of holy shrines to levels of perfection in doctrinal and behavioral aspects. As for the doctrinal dimension, the visitor, through his personal experience, senses in his being the belief of monotheism, the cornerstone of faith and religion, followed by the belief in the necessity of an intermediary leading him towards the Truth, Exalted be He, and which is represented by the Prophet (PBUH&HF) and the Vicegerent (PBUH). The same phenomenon is observed for the belief in the Resurrection, which is also a main pillar of faith, as the holy shrines and sacred tombs embody this principle for the visitor in the clearest form.

This experience has positive effects on the behavioral and ethical dimensions. Changes in the essence of the visitor occur, and the principles of his belief strongly influence his actions and practices, with himself, and with the members of his society. The experience of visiting the Shrine of Imam al-Husayn (PBUH), or the experience of the Arbaeen Ziyara, is considered the most impactful on the visitor due to its glorious history and encompassment of high values and noble concepts.

Keywords: religious experience, Ziyara (visitation), Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), holy shrines.



المقدمة

تُعَدُّ المعالم الدينية من الموروثات التي حملتها البشرية في ذاكرتها منذ خلقها، فلا يخلو زمان من الأزمنة أو مكان من المعمورة من هذه المعالم، كالكنائس والمساجد والمزارات وغيرها من الآثار الدينية التي تشهد على أن الدين مغروس في الطبيعة الإنسانية، وأنه يتناغم مع فطرة البشر، وكذلك على علاقتهم بالغيب. ومن المعالم المقدسة التي توجَّهت إليها الأنظار قبورُ الأنبياء والشهداء، وضرائح الأولياء والأتقياء؛ فإنَّها تحمل - بوصفها مقدَّسة - قصَّة تاريخ الأمم والشعوب، وتنطوي على دلالات رمزية عديدة؛ فإنَّ لإخفاء قبر سيِّدة نساء العالمين دلالة، وللبقيع المهْدَمَة قبوره دلالة، ولانتشار عتبات الأئمة عليهم السلام وأبنائهم في بقاع مختلفة دلالة، ولتمركز أغلبها في أرض العراق دلالة.

إلا أنَّ مدينة كربلاء بضرائحها المباركة تحكي حكايات التاريخ الإسلامي الميرير، والمدرسة التي جسَّدت - بل خلَّدت - مفاهيمَ وقيماً أضاءت الإسلام بعد أن أوشك على الأفول، وأيقظت الضمائر بعد سباتها، فأضحت - خاصَّة في أيَّام الأربعينية الحسينية - مآلاً للحشود المحتشدة من الزائرين من طوائف متعدِّدة وأديان مختلفة، من بين مريد مُوال عارف بحقِّهم، وخادم يخدم الزوَّار بنية القربة، وسائح في الأرض باحث عن الحقيقة، وإعلامي حاضر لتعميم أحداث الزيارة، وفنان أراد أن يخلِّد بلوحة فنيَّة أو مقطوعة نثرية أو شعرية أكبر تظاهرة دينية على مرِّ تاريخ البشرية. ولكلِّ واحدٍ من هؤلاء تجربته الشخصية؛ وذلك أنَّ الزائر مهما كان هدفه ابتداءً، فإنَّ الجنبه الروحية والمعنوية تعلو على الجنبه الماديَّة والحسيَّة بكثير، من دون أن يشعر بذلك. فالعتبات المقدَّسة تُعَدُّ روضةً من رياض الجنَّة، وقد ضُمَّت بين غرفها وأروقتها أجساداً مقدَّسة طاهرة، تفوح بعطر الجنَّة، وتجلب إلى زائريها الاطمئنان



والسكينة، وتُنش نفوسهم، وتشدّ قلوبهم إلى الله تعالى شوقاً وحناناً، فيتغيّر حالهم من بعد الزيارة، وتُثار دفائنُ عقولهم، ويُزاح رينُ قلوبهم، وينقلبون إلى أهلهم ومواطنهم مستبشرين فرحين بما كسبوا.

ولمّا كانت التجربة الدينية لها أبعاد مختلفة في سلوك الزائر، اقتضى بيانها أن تُبحث في عدّة محاور:

المحور الأول: بيان معاني مفردات الموضوع

- ١- التجربة في اللغة: بمعنى الاختبار^(١).
- وفي الاصطلاح: التجريّبات والمجربّات هي: «القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلى واسطة تكرر المشاهدة»^(٢). وفي (بحر الجواهر): «استعمال ما علّم من القوانين الكلية في المشاهدات الجزئية»^(٣).
- ٢- الدين في اللغة: «الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلّها. وهو جنس من الانقياد والدّل. فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع. وقوم دينٌ، أي: مطيعون منقادون»^(٤).
- وفي الاصطلاح: بمعنى الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالتعاليم والوظائف العملية الملائمة لهذا الإيمان، وذلك في مقابل أولئك الذين لا يؤمنون بالخالق إطلاقاً، بل يؤمنون بالصدفة والاتّفاق في خلق الظواهر الكونية، أو أنّها مسبّبة للأسباب المادّية والطبيعية^(٥).
- ٣- التجربة الدينية: وهي كلّ نوعٍ تجرّبةٍ يمكن أن تكون بين الإنسان وعلاقته

(١) أنظر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة: ص ١١٥.

(٢) نهانوي، محمد أعلى بن محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ص ٣٨١.

(٣) هروي، محمد بن يوسف، بحر الجواهر: ص ٩١.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٣١٩.

(٥) أنظر: مصباح اليزدي، محمد تقي، دروس في العقيدة الإسلامية: ج ١، ص ٢١.

بالله تعالى، وهي ليست نوعاً واحداً أو كَيْفِيَّةً واحدة، وتتمثّل عند بعضٍ - من أمثال برايتمن - في الوعي المباشر بالله تعالى بمعزل عن العقل وإرادة الفرد أو المجتمع. وهي من أشهر المفاهيم في حقل (فلسفة الدين المعاصر)^(١).

٤- الزيارة في اللّغة والاصطلاح: الزيارة من الزَّور، والزَّور أعلى الصدر. وزرت فلاناً تلقّيته بزوري، أي بصدري، أو قصدتُ زوره أي صدره. والزَّور الذي يزورك، يقال: رجل زور، وقوم زور، وامرأة زور، ونساء زور. والتزوير كرامة الزائر، وإكرام المزور للزائر، يقال: زوروا فلاناً، أي أكرموه، وقد زور القوم صاحبهم تزويراً، إذا أحسنوا إليه، واستزاره: سأله أن يزوره^(٢). والزيارة في العرف: قصد المزور؛ إكراماً له وتعظيماً له، واستيناساً به^(٣).

المحور الثاني: تاريخية التجربة الدينية

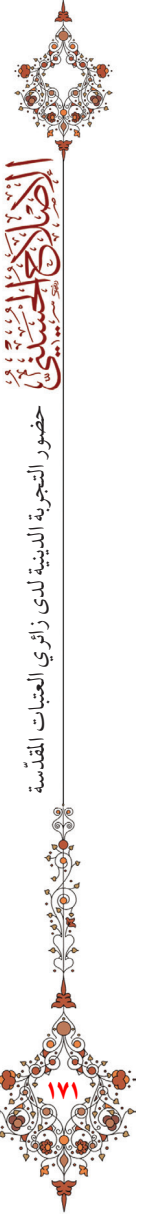
من أهمّ المباحث المتداولة في حقل (المعرفة الدينية) مبحث (التجربة الدينية)، وقد كان العلماء والفلاسفة في الغرب يعتمدون على البراهين العقلية في مباحث إثبات وجود الله وصفاته إلى بدايات القرن الثامن عشر، وفي أواخره أثارت فئة من المفكرين إشكالات في تمامية تلك البراهين، وبخاصّة الأدلّة المرتبطة بالثالوث.

ومنّ ساهم بشكل واسع في الردّ لتلك الحجج الفيلسوفُ الأسكتلندي ديويد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م)؛ حيث إنّه استند في دراسة الظاهرة الدينية إلى تاريخها الطبيعي، لا على النصوص الدينية، ولا البراهين الأنطولوجية؛ لاعتقاده أنّ العقل البشري بمفرده غير قادرٍ على أن يكشف عن جميع حقائق الدين؛ لوهنه وضيق

(١) أنظر: الحائري، كاظم، الفتاوى المنتخبة: ج ١، ص ٢٤.

(٢) أنظر: الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٦. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٣٣ وما بعدها.

(٣) الطريحي النجفي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٠٥.



حدوده من جهة. ومن جهة أخرى أن إثبات وجود الإله عن طريق دليل النظم، الذي يُثبت من خلال إتقان الخلق ونظمه وجود خالقٍ عظيم، مُبدع، غير كافٍ؛ لأنَّ الإنسان اعتاد على محاكاة الخلق، فلا يشعر بأنها آيات تدلُّ على صاحب الآية، ولا تُحدث في نفسه أيَّ رهبة أو انجذاب، وإنَّما الذي يُرهبه ويُشعره بوجود الإله هو الظواهر الطبيعية المرهبة والشرور، فتتشكّل من خلالها علاقة بين المتدين والإله عن طريق تجربته الشخصية لها.

استثمر الفيلسوف الألماني إيمانوئل كانط (١٧٢٤-١٨٠٢م) أفكار هيوم وعمّقها أكثر، وتوصّل إلى أن الدين لا يتوافق مع العقلانية المتطرّفة، ولا يمكن إثباته بالعقل. فمن وجهة نظره أن الأدلة على إثبات وجود الله لا تتداول في حقل الحكمة النظرية (العقل النظري)، بل إنّ فضاءها فضاء الحكمة العملية (العقل العملي)، فركيزة هذه الأدلة هو العقل العملي والأخلاق، وليست الأدلة التي أقامها العقل النظري؛ لانطوائها على جملة من التناقضات، ممّا قاد (كانط) إلى القول بأن حقيقة الدين وجوهره هو نفس الأخلاق، فالدين والأخلاق عنده أمر واحد.

عارض الفيلسوف الألماني فريديريك شلايرماخر (١٧٦٨-١٨٣٤م) العقلانية المتطرّفة في إثبات وجود الله، ومساواة الدين بالأخلاق، ورأى أن جوهر الدين ليس تعاليم منزلة كما هي في الأديان السماوية، ولا عقلاً نظرياً كما هو في الإلهيات الطبيعية^(١)، ولا عقلاً عملياً وأخلاقاً كما اعتقد (كانط) وأتباعه، فذهب إلى أن للدين علاقة وثيقة بالمشاعر والعواطف، واعتبر جوهر الدين ولبّه هو الشعور الباطني بالحاجة إلى قوّة خارقة مطلقة تقع ما وراء العالم، يكتسبه الإنسان من تجربة الشهودية، ومن دونه لا يتحقّق معنى الدين، وأسماه بـ: (الشعور الديني).

اتّسع هذا الاتجاه بعد شلايرماخر، وأوّل من استخدم مصطلح (التجربة الدينية) هو الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمس (١٨٤٢-١٩١٠م) في كتابه (التجارب

(١) أنظر: صليب، جميل، المعجم الفلسفي: ج ٢، ص ٢٧٧ (Naturel Theology).

الدينية المختلفة)؛ فإنه يرى أن أساس الدين هو الشعور بالفقر إلى الله والارتباط المباشر به، وتحقق هذه العلاقة من خلال التجربة الدينية. وقد تبنى نظريته جمع من رجال الدين والفلاسفة، مع إجراء بعض الإصلاحات، من أمثال: رودولف أوتو، جون هيك، ويليام آلتون، ريتشارد سوينبيرن، ستيس، براودفوت، وغيرهم.

المحور الثالث: التجربة الدينية في الإسلام

يتميز الإسلام من الديانات السماوية الأخرى بأنه منهج حياة، وليس مجرد طقوس وممارسات جافة خاوية، إنه دين ديناميكي، يدعو الإنسان باستمرار إلى الحركة نحو الكمال. ومن يتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أن لمسألة (التجربة الدينية) في التراث الإسلامي تاريخاً عريقاً وإن لم تُذكر باسمها؛ فقد ورد في القرآن الكريم آيات صريحة تحكي عن المعرفة الشهودية لله، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١).

والمراد بالملكوت باطن الأشياء التي لا تُدرك بالأبصار، وإنما تُدرك بالقلوب^(٢)، ولا يختص هذا الشهود بالأنبياء والأوصياء فحسب، بل تُثبت شواهد كثيرة من الآيات القرآنية هذا النوع من المعرفة، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾. وقوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾﴾. وغيرها من الآيات التي تتحدث عن مقام الشهود القلبي الذي يحصل من خلال التجارب الإيمانية الفردية.

(١) الأنعام: الآية ٤٥.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ٨، ص ٢٤٠.

(٣) التكاثر: الآيات ٥ - ٧.

(٤) المطففين: الآيات ١٨ - ٢١.

أو كما جاء على لسان مولى الموحّدين الإمام علي عليه السلام في ذكره لآثار الذكر قوله: «إنَّ الله تعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوُقْرة، وتُبصر به بعد العُشْوَة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله عزّتْ آلاؤه في البرّهة بعد البرّهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يَقطْة في الأسع والأبصار والأفئدة...»^(١).

وفي وصفه لمقام المتّقين قوله: «... قد حفّت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، فُتحت لهم أبوابُ السماء، وأُعِدّت لهم مقاعدُ الكرامات في مَقْعَدٍ اطّلع الله عليهم فيه، فرضي سعيهم، وحمد مقامهم، يتنسّمون بدعائه روح التجاوز. رهائن فاقة إلى فضله، وأسارى ذلّة لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، وطول البكاء عيونهم»^(٢).

وهذه وغيرها من الشواهد في كلامه وفي روايات أهل البيت عليه السلام تشرح الآثار المترتبة على التجارب الإيمانية الفردية. واعتبر بعض المفكرين أنّ المؤمن في أثناء أداء مناسكه وعباداته الواجبة والمندوبة يعيش تجربته الإيمانية الفردية، ممّا أعطى مفهوم التجربة الدينية معنىً أعمّ من المعنى الذي تداولته مدارس الغرب.

المحور الرابع: عوامل نشوء نظرية التجربة الدينية

إنّ عوامل نشوء التجربة الدينية في الغرب تختلف عن عوامل نشوئها في العالم الإسلامي، فمن العوامل التي أدّت إلى ظهورها في الغرب:

١- معارضة الإلهيات الطبيعية^(٣): وهي الإلهيات التي تُبنى على العقل الطبيعي المتأصل في تراث أفلاطون وأرسطو. عارض التجريبيّون الإنجليز هذا الاتجاه على

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧٧.

(٣) الإلهيات الطبيعية هي العلم بالمبدع للعالم وصفاته في أصول الدين المسيحية. أنظر: الحيدري، إحسان علي عبد الأمير، تقسيمات اللاهوت في فلسفة كانط النقدية: ص ٥.

نطاق واسع، وخصوصاً هيوم، ممّا هزّ الاعتقاد القائل بإمكان إثبات المعتقدات الدينية بالعقل الطبيعي، وفي هذا المناخ تبلورت التجربة الدينية^(١).

٢- الصراع القائم بين العلم والدين: واجهت الإلهيات - مع تقدّم العلوم التجريبية - صعوبةً في توجيه بعض المعتقدات القائمة على أساس العلوم الطبيعية القديمة، ممّا سهّل على المتكلّم شلايرماخر - الذي كان يبحث عن حلّ لهذه المعضلة - أن يفصل الدين عن محض العقلنة، وربطه بالأحاسيس والمشاعر.

٣- المدرسة الرومانسية: في نهايات القرن السابع عشر وقت ظهور حركة التنوير وتأسيس المدرسة الرومانسية^(٢)، انهارت أسس الإلهيات التقليدية، واهتزّ الاعتقاد القائل بإمكان إثبات المعتقدات الدينية بالعقل الطبيعي. ساهم ظهور هذه الحركة في تركيز التجربة الدينية بشكل أوسع^(٣).

٤- نقد الكتاب المقدّس: تعرّض الكتاب المقدّس المسيحي في القرنين الأخيرين لانتقادات كثيرة ولاذعة، خصوصاً في مسألة الثالوث، والتجسيد، وأمثالها؛ حيث إنّ الرسالة الرئيسية للكتاب المقدّس - بحسب رؤيتهم - هي إحياء التجربة الدينية بين المتديّنين، وليس إثبات مسائله؛ لأنّ جوهر الدّين ينبع من باطن الإنسان ووجدانه^(٤). أمّا في الإسلام فلم تنحصر أدوات المعرفة في العقل، ولم تختصّ بالشعور والإحساس فحسب، بل لا منافاة بين الاستدلال العقلي في إثبات وجود الله

(١) أنظر: الحائري، كاظم، الفتاوى المنتخبة: ج ١، ص ٢٥.

(٢) ظهرت في أوروبا أوائل القرن الثامن عشر حركة فلسفية تدعو إلى العقلنة الطبيعية، وترى بالنسبة إليها أنّ مصدر المعرفة هو العقل والفلسفة التجريبية. وأسست تلك الحركة لما عُرف بعصر التنوير، واستمرّت إلى نهايات القرن؛ حيث ظهرت حركة مضادّة لها، وهي الحركة الرومانسية أو الرومانتيكية، التي ركّزت الأحاسيس والمشاعر الفردية كمصدر للمعرفة. أنظر: الرومانتيكية ما لها وما عليها، مختارات من جمع روبرت بلكنر وجيرالد انسكو، ترجمة د. أحمد حمدي محمود.

(٣) أنظر: الحائري، كاظم، الفتاوى المنتخبة: ج ١، ص ٢٥.

(٤) أنظر: قائمي نيا، علي رضا، تجربه ديني وگوهر دين: ص ١١٣.

ومعرفة صفاته وأسمائه، وبين التجارب الإيمانية التي يعيشها المؤمنون، فهي من خلال الممارسات العبادية والشعائر الدينية تُمثّل لبّ الإسلام وجوهره. وما ادّعاه بعض المفكرين والمثقفين المعاصرين من أنّ الوحي عملية بشرية راقية، وأنّ النبي الأكرم ﷺ لم يتلقّ الوحي من الله تعالى، بل أوجده من خلال تجاربه الفردانية، إنّما يدلّ على عدم الفهم الصحيح للمسألة، ويمسّ صميم الوحي والدين.

المحور الخامس: خصائص التجربة الدينية

للتجربة الدينية خصائص تميّزها عن غيرها من التجارب، أهمّها:

- ١- نحو الإدراك: صاحب التجربة يعيشها بذاته، وليس مجرد مجرّ لها كما هو الحال في التجارب المخبرية.
- ٢- الخلوّ من المفاهيم والاستدلالات: لا يصل صاحب التجربة الدينية إلى الحقيقة بواسطة المفاهيم والاستدلالات التي يحملها ذهنه، وإنّما يصل إليها عن طريق القلب والمشاهدة.
- ٣- غير قابلة للتعليم والتعلّم: لا يمكن لصاحب التجربة أن ينقل تجربته وأحاسيسه إلى غيره؛ خلّوها من الوسائط، لكنّ هذا لا يعني أنّه لا يستطيع أن يترجم نتائج تجربته عن طريق المفاهيم، وينقلها إلى الآخرين.
- ٤- الفردانية (بعد شخصي): يعيش صاحب التجربة أحاسيس لا يشعر بها غيره، يُرتّب عليها آثاراً تبرز في سلوكاته ومعاملاته، فلا يمكن لغيره أن ينكر تلك الأحاسيس والآثار أو ينفيها.

المحور السادس: مقام الأنمة ﷺ

إنّ مقام النبي الأعظم ﷺ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١)، الذي تعجز الأبواب

(١) النجم: الآية ٩.

عن إدراكه، وتقصر الكلمات عن التعبير عنه، ورثه الأئمة من أهل بيته عليه السلام، تلك الذوات المقدسة التي خلقت من نور رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «سمعتة يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل خلقنا منه نصيباً»^(١).

فكملت صفاتهم، وسمت منزلتهم، وعلمهم الله سبحانه علم اليقين، وفضلهم على العالمين بأن عصمهم من الخطأ والزلل، وأنزل فيهم آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، وخصهم بالوصاية، وأمر الناس بطاعتهم، والانقياد إليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣). وجعلهم الهداة إليه، الدالين على كبريائه، ووسائط فيضه، وشفعاء خلقه، عدل القرآن المجيد، حافظين لسنة نبيه، وحجج الله على خلقه، كما جاء في الزيارة الجامعة على لسان الإمام الهادي عليه السلام: «... ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته، وأنصاراً لدينه وحفظة لسره»^(٤).

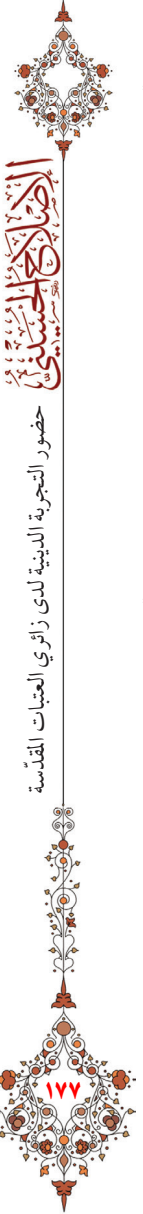
فهوت إليهم القلوب، وتعلقت بهم المهج، وانقادت إليهم العقول، واستكانت لهم الأنفس، فكانوا ملاذ المريدين، وحصن اللاجئين، وحبل الله المتين الواصل بين الخلق والرب العظيم، بلغوا دين الله بألستهم وسيرتهم، وحافظوا عليه بمواقفهم ومهجهم، فأعزهم الله وكرّمهم وخلّدهم بأن جعل مشاهدهم قبلة المؤمنين وغاية الطالبين. مشاهد ظاهرها معالم أثرية تبهر الناظرين، وباطنها مظهر من مظاهر إحياء الدين ومعالمه، وتجسيد لعقيدته، يقصدها المحبون من كل حدب وصوب بقلوب

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) النساء: الآية ٥٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٢٩.



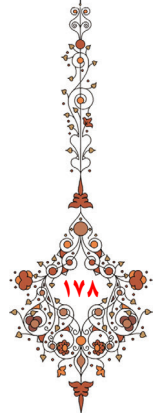
شائقة، وأنفس مولعة، وأفئدة طائعة، وألسنة ذاكرة؛ لعلمهم واعتقادهم أن الأئمة أحياء عند ربهم يُرزقون، وأنهم يسمعون نجواهم، وينظرون مقامهم.

المحور السابع: زيارة العتبات المقدسة وآثارها

إنّ لفهوم الزيارة في المنظومة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بسائر المفاهيم المعرفية والدينية، وهي من الشعائر الدينية التي سنّها النبي الأكرم ﷺ وأكّدها الأئمة الميامين. وقد كان الناس منذ القدم يشدّون الرحال من بلد إلى بلد، ويتحمّلون أعباء السفر ومخاطره؛ لأجل زيارة تلك البقاع المباركة التي تصل الماضي بالحاضر، وتشدّ الزائر إلى الدين والشرعية؛ لما لها من آثار معنوية سامية على روحه، ولما تحمل من دروس تربوية وأخلاقية وتوعوية، كما كانت وما زالت مهدّ العلم والمعرفة، تجلب مدارسها وحوزاتها العلمية ودور القرآن الطلبة والعلماء، وكما فيها مراكز ثقافية وملتقيات علمية على المستوى العالمي.

وقد حاول المخالفون أن يحولوا بينها وبين زائريها والوافدين إليها بإصدار فتاوى تُحرّم الزيارة والصلاة فيها والتبرّك بها، واعتبروا هذه الممارسات من الشرك الصريح، كما عملت قوّات الاستكبار على إبعادهم عنها، ومنع زيارتها، وذلك باستخدام القوّة والاضطهاد، بل قادهم الأمر إلى تهديم بعضها؛ لإدراكهم للدور المهمّ الذي تقوم به في ترسيخ العقيدة، ونشر الوعي بين المتديّنين، ممّا يهدّد مصالحهم، بل أصل وجودهم.

لذا؛ لوراجعنا مصادر الحديث والمؤلّفات حول زيارة العتبات المقدسة من أمثال: (كامل الزيارات) لابن قولويه، و(المزار الكبير) لمحمد بن جعفر المشهدي، و(المزار) للشيخ المفيد، و(مصباح الزائر) لابن طاووس، وغيرها من أمّهات الكتب، لوجدنا أنّ الروايات الواردة في استحبابها والمداومة عليها - التي تذكر فضلها وطريقة



أدائها - مستفيضة، متواترة، خصوصاً زيارة عتبة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام^(١)، ومن ذلك رواية أبي عامر الساجي - واعظ أهل الحجاز - في فضل الزيارة وآثارها التكوينية، حيث قال: «أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين - وعمّر تربته؟ قال: يا أبا عامر، حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي، عن علي عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قال له:

والله لتُقتلن بأرض العراق، وتُدفن بها. قلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا، وعمّرهما، وتعاهداهما؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعروسة من عرصاتهما، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرّون زيارتها؛ تقرّباً منهم إلى الله مودّة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة. يا عليّ، من عمّر قبوركم وتعاهداهما، فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم، عدل ذلك له ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه. فأبشّر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٢).

وما جاء في بيان مقدّماتها وآدابها^(٣)، من عقد النية، والاعتسال، والمشي بوقار وإجلال، وإلقاء السلام، وطلب إذن الدخول، وقصد القبر الشريف، والمثول بين يديه، وقراءة الزيارة، والانشغال بالدعاء، والصلاة، والتضرّع والبكاء إلى حين

(١) أنظر: التميمي، رافد عساف، وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١، ص ٢٣٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٢١.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٢.

توديعه^(١)، هو لخير دليل على قداستها، وعلو مقامها، وأنها مصداق لـ ﴿... فِي ثُبُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٢)، ولطوى المؤمنين ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٣).

وهي من الشعائر التي تحمل قيماً إنسانية عالية، ومنهجاً حضارياً وثقافياً سليماً، ومنظومة تربوية وأخلاقية تامة، فيها تحيا القلوب، وتثبت الأفئدة، وترفع الزائر درجات، وذلك بطي منازل الكمال، ومعارض السمو الذاتي؛ لنيل رضا الله ومرضاته، وينال منها سعادة الدنيا والآخرة.

المحور الثامن: أثر التجربة الدينية في معتقدات الزائر

جاء في الأثر أن «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (ع) بِشَطِّ الْفَرَاتِ، كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ»^(٤). وهذه المنزلة الرفيعة والمقام الشريف لا يناهما إلا من أقبل على زيارة الإمام (ع) بنية خالصة، وقلب مُشرب بالشوق والحنين.

وآية إخلاصه وشوقه أنه كلما اقترب من البقعة المقدسة، تسارعت خطاه، وازدادت ضربات قلبه، ولهج لسانه بالذكر والتوسل والدعاء، واجتاح قلبه الشعور بالانكسار والخشوع والفقر، وانهملت دموعه على وجنتيه. إنه يستشعر وجود قوة قاهرة تجذبه، وتهيج مشاعره بين الخوف والرجاء، والحزن والفرح. فترى الزوار بين راکع وساجد، وناضر ومستبشر، وبين داعٍ وجهه إلى ربه، وهو على يقين أنه سيُجاب، رافعاً يديه بطلب العفو والمغفرة تارة، وبالحمد والامتنان تارة ثانية، وبالطلب والرجاء تارة ثالثة. وهذه العلامات تتاب الزائر العالم والجاهل، الكبير

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٢٣٤.

(٢) النور: الآية ٣٦.

(٣) سورة طه: الآية ١٢.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٨٥.

والصغير، المرأة والرجل. وما هي إلا إقرار بالتوحيد، وحرارة الإيمان الفطري الذي أجاب الخالق قبل الخلق حين سألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(١)، وكما ورد في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل: «يا عبد الله، هل رَكِبْتَ سفينة قط؟ قال: بلى. قال: فهل كُسِرَ بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تُغنيك؟ قال: بلى. قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى. قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا مُنْجِي، وعلى الإغاثة حين لا مغِيث»^(٢).

فالمعرفة بالله عز وجل فطرية في أعماق النفس البشرية، يعيشها الإنسان في كلّ آن، تتجلى في كلّ أفعاله وممارساته، وما تزيغ القلوب إلا لغفلة أو جهل أو تكبر، فيحتاج إلى مَنْ يأخذ بيده، ويوقظه من غفلته، ويعيده إلى السبيل السوي، فيلجأ إلى أولياء الله وأُمَنائه، الدالّين على وحدانيّته؛ حيث إنّ الارتباط بهم كفيل بربطه بربه؛ لأنهم كما قال أبو جعفر عليه السلام: «بنا عُبِدَ الله، وبنا عُرِفَ الله، وبنا وُحِّدَ الله تبارك وتعالى»^(٣)، وهم - كما جاء في زيارة الأئمة في البقيع وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام - أهل الإيمان، والتوحيد، وأنصار دين الله^(٤).

إنّ توجّه المؤمنين إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وعبّات الأئمة عليهم السلام بنية القربة، والمثول بين أيديهم بكلّ جوارحهم وجوانحهم، وإهداء الهدايا، وتقديم النذورات، سواء كان للأنس بأحبّ خلق الله، ومجّلى الرحمة الربّانية، أم لطلب الشفاء والعافية، أم للدعاء لحلّ المعضلات ورفع البلاء، ولا يبرحونهم إلا وقلوبهم مطمئنة، آمنة بحسن

(١) الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب: ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٥.

(٤) «السلام عليكم أيّها الشهداء المؤمنون، السلام عليكم يا أهل الإيمان والتوحيد، السلام عليكم يا

أنصار دين الله». المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٩٧.

الإجابة، هو إقرار عملي بولايتهم، واعتراف بوساطتهم في عالم الخلق، ولمس شهودي لمقام النبوة والإمامة.

وأما المعنى الآخر الذي يحضر الزائر، ويمثل لديه عند الزيارة، فهو معنى الموت؛ لقول رسول الله ﷺ: «زوروا القبور؛ فإنها تذكّر الموت»^(١).

ومهما قرّب علم الكلام والفلسفة هذه المفاهيم، ومهما تشعّب في مسائلها، وشرح معانيها، والتدليل عليها، فإنّها لا تقوم مقام التجربة الإيمانية التي تورث صاحبها المعرفة الحقّة بالمزور، فعندما يكون في حضرة المزور، ويُلقي عليه السلام، ويخاطبه على أنّه حيّ يُرزق «وأشهد أنّك تسمع الكلام وتردّ الجواب»^(٢)، ويتأدّب بمحضه، ويتبرّك بكلّ شبر من مشهده، فحينئذٍ تصبح العُلاقة بين الزائر والمزور - والشوق إليه والإيمان به - هي المحرّك الأساس لترسيخ العقيدة والمثل العليا، وإدراك معانيها، والعمل بمقتضياتها.

المحور التاسع: أثر التجربة الدينية في سلوك الزائر وأفعاله

ينقلب الزائر إلى دياره وأهله بعد هذه الرحلة المعنوية وقلبه مفعم بالإيمان والراحة والاطمئنان، فيعبّر عن حاله عند المغادرة بقوله: «اللّهم إني تعرّضت لزيارة أوليائك رغبةً في ثوابك، ورجاءً لمغفرتك، وجزيل إحسانك، فأسألك أن تصلّي على محمّد وآله الطاهرين، وأن تجعل رزقي بهم داراً، وعيشي بهم قاراً، وزيارتي بهم مقبولة، وحياتي بهم طيبة، وأدرجني إدراج المكرمين، واجعلني ممّن ينقلب من زيارة مشاهد أحبّائك مفلحاً منجحاً قد استوجب غفران الذنوب، وستر العيوب، وكشف الكروب، إنّك أهل التقوى والمغفرة»^(٣).

(١) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج ٢، ص ٦٢.

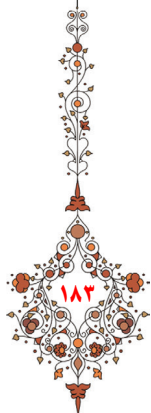
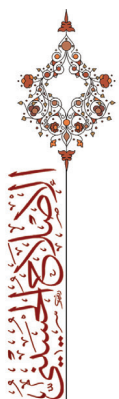
(٢) زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من رجب.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٥٣٥.

يُعبّر عن رجوعه من هذه التجربة التي عاشها في تلك المشاهد بالانقلاب، وهذا يعني أنّه لمس تغييراً وتحوّلاً في جوهره وكنهه، فلا بدّ أن تظهر آثار هذا التغيّر في سلوكه وأفعاله وأخلاقه، فعلى مستوى ذاته يبدو عليه الانكسار والتواضع، وهي من فضائل الأخلاق، ومن سمات الأئمة الأطهار، ويتعلّم من تجربته الصبر وتحمل المشاق والتعب، حينما يستذكر المشاق التي تحملها الأئمة عليهم السلام وصبرهم وتضحياتهم وإيثارهم، يدرك معنى الوفاء حينما يرى المزارات والضرائح لأصحاب الأئمة الذين قُتلوا؛ لولاّهم وتفانيهم في أئمتهم، فيتحلّى بروح المسؤولية والإخلاص والفداء؛ لتصبح قضية حماية الدين والدفاع عنه والغيرة عليه همّة وقضيّة، فيستقيم، ويتوكّل على الله تعالى؛ ليلبغ مقام الرضا والشكر والحمد والتمجيد.

وأما على مستوى السلوك الاجتماعي، فإنّ أبرز صفة نراها في سلوك الزوّار وهم يخوضون التجربة وبعد الخروج منها، هي الرحمة والتسامح، وروح التعاون والتأزر، فالقويّ يعطف على الضعيف، والغني يساعد الفقير، وقد شهدنا في الكثير من المواقف كيف يقاسم أحدهم زاده وماله مع زائر لا يمتّ إليه بصلة. فهو بذلك يعيش حالة من التعافي والتوازن النفسي، فتزول من مخيلته الحواجز الطبقية والعرقية والثقافية والكثير من الاعتبارات الوهمية التي فرّقت الناس، وصنّفتهم، وأبعدت بعضهم عن بعض؛ لتتحول إلى كتلة واحدة تجمعها أهداف ومبادئ وثوابت مشتركة تحقّق للإنسان إنسانيته، وحقّه في حياة كريمة وشريفة يخطّها المعصوم في طريق مرضاة الله ورسوله والأئمة الميامين عليهم السلام.

والغريب في الأمر أنّ هذه الكتلة قد تجمع المسلم وغير المسلم، والمتدينّ وغير المتدينّ، تحت عامل مشترك، وهو نور حبّ أهل البيت عليهم السلام الذي يقذفه الله تعالى في قلوبهم، فيوحّدهم في كلماتهم ومواقفهم، ويفتح للكثير منهم سبيل الهداية والرشد والسداد.



المحور العاشر: زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وردت نصوص كثيرة على لسان الأئمة عليهم السلام تحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضلها، وأنها من أفضل الأعمال وأزكاها، فملحمة كربلاء التي أبكت ملائكة الأرض والسماء، وتفطّرت منها القلوب، وأشعلت فيها جمر لا تبرد أبداً، لم تكن بالحدث العابر، ولا بحركة إصلاحية معتادة، بل هي منعطف تاريخي خالد دائم ما دامت البشرية، وما دامت الفطرة الإنسانية تطلب العدل والقسط والأمن والأمان، وتعرض عن الظلم والجور والبغي والروع.

فالإمام الحسين عليه السلام أفسد مخطط القضاء على الإسلام، فأحيا بذلك الدين بعد قُرب أفوله بالتضحيات الجسام، والعطاء الجزيل، تقول الإنجليزية فريا ستارك: «إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله، ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى، كلّها على مسافة غير بعيدة من كربلاء. جُمع الحسين إلى جهة البادية، وظلّ يتجوّل حتى نزل في كربلاء، وهناك نصب مخيمه، بينما أحاط به أعداؤه، ومنعوا موارد الماء عنه، وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس إلى يومنا هذا كما كانت قبل ١٢٥٧ سنة. وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة؛ لأنّ مأساة الحسين تتغلغل في كلّ شيء، حتى تصل إلى الأسس. وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قطّ من دون أن يتتابني البكاء»^(١).

يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام في فضل زيارة قبره الشريف ما نصّه: «لو يعلم الناس ما في زيارة قبر الحسين من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات. قلت: وما فيه؟ قال: من أتاه تشوّفاً كتب الله له ألف حجة متقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف

(١) Stark, Freya, Baghdad sketches, page 229 (ستارك، فريا، صور بغدادية).

نَسَمَة أُريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنةً من كل آفةٍ، أهونها الشيطان، ووُكِّل به ملكٌ كريم يحفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدمه. فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة، يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويُفَسَّح له في قبره مدَّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعا، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحدٌ يوم القيامة إلا تَمَّتْ يومئذٍ أنه كان من زوّار الحسين»^(١).

المحور الحادي عشر: تجربة الزيارة الأربعينية

إذا أردنا نقل حضور التجربة الدينية لدى زائري العتبات المقدّسة وزوّار الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل خاصّ، فلا بدّ من الوقوف عند الزيارة الأربعينية، بوصفها أعظم تجربة إيمانية عرفها التاريخ، هذا التجمّع المليوني الذي يستقطب الناس من طوائف وأجناس وأديان مختلفة، يروم لقاء الإمام الحسين (عليه السلام)، وإحياء ذكره وذكرى نهضته التي تلخّص نضال الأحرار في مقارعة الباطل، والتي تمنح الإنسان هويته، وتؤمّن له انتماءه الديني، وتحرّره من قيود النفس، وزخارف الدنيا الدنيّة، وهم على يقين تامّ أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قام لإصلاح وضع الأمّة على الصعيد الفردي والاجتماعي والسياسي، ولما كان الصراع بين الحقّ والباطل قائماً مدى الدهر، وخطر الانحراف محدّقاً بالإنسانية ما بقي الزمن، فإنّ نهج النهضة الحسينية المباركة يبقى نابضاً بالحياة، لا يحدّه زمان ولا مكان: «فكلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء».

تنوّع تجارب الوافدين على الأربعينية بين زائر وُسِمَ بالمشاية، ليس له وجهة إلاّ الحسين (عليه السلام)، ولا يرفع راية إلاّ راية سلام، جاء متعطّشاً يريد أن يرتوي من تاريخ كربلاء، ويقاسم أبطالها بعض معاناتهم، فكلّ خطوة يخطوها تذكره بتلك الفاجعة،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧١.

فيجرب الصبر، وتحمل العناء؛ ليحول - حين يدرك معاناة صانعي كربلاء - مفهوم الجهاد والوفاء والفداء والشهادة من مجرد ألفاظ كان يرددها إلى حقيقة في عالم الشهود.

أما أهل العراق وبعض الوفود التي تشارك في خدمة الزوار، فإنهم بما يقدمونه من خدمات بتفانٍ وحبٍّ مجلّى للرحمة والرحمة؛ حيث يبذلون من أموالهم لإطعام الزوار، ويفتحون أبواب منازلهم لإيوائهم وضيافتهم، لا يكلّون، ولا يتعبون، ولا يريدون أجراً ولا شكوراً. إنهم أنصار الحسين عليه السلام وخادموه.

مشهد أدهش العالم؛ إذ يقول المؤمنون من الزوار وأهل المواكب: إننا في المدينة الفاضلة، الأمنُ مستتبٌ من دون رجاله، والخيراتُ متدفقةٌ من غير عناء، والتفكيرُ في الوصول إلى عتبة الإمام الحسين عليه السلام أنساناً هموم الدنيا وأعباءها، والكثيرُ منهم يشبهونها بحكومة صاحب العصر والزمان عليه السلام.

أما الأعداء فإنهم متيقنون سنة بعد أخرى أن الإسلام ينبض بالحياة ما دامت ذكرى الحسين عليه السلام حية في قلوب الناس، وما دام مشهده المقدس قبلتهم. ومن عجائب المشاهد عند اختتام موسم الأربعين الحزن والأسى اللذان يجيمان على وجوه الزوار، وعلى أصحاب المواكب وهم متجهون إلى مقام الحسين عليه السلام؛ لتوديعه، وإبرام عهدٍ جديد على البيعة، وخوض التجربة مرةً أخرى.

الخاتمة

خُصّ البحث إلى أن التجربة الدينية التي يعيشها زائر العتبات المقدسة تساهم في صقل فطرة التوحيد التي فطرَ عليها، والإيمان الدفين في أعماق سريره؛ لاتصاله الشهودي والوجداني بالولي عليه السلام، فيتغير في جوهره، ويعيش حالة الفناء والشوق والأنس الذي يورثه اليقين دون توسط الصور الذهنية والمفاهيم، وبعيداً عن هيمنة العقل الاستدلالي والبرهاني، ويدرك تلك المعاني العالية والقيم السامية التي توحىها

تلك المشاهدُ المباركةُ إلى قلبه وروحه، ممّا يجعله على الصراط المستقيم في سلوكه، ويمنحه الاعتدال في قواه الإدراكية وغيرها، فيتيسّر له الالتزام بالتكاليف الإلهية من واجبات ومستحبات، ويستقرّ في طريق الهداية والفلاح؛ ولهذا السبب حثّ الأئمة الأطهار عليهم السلام على زيارة العتبات المقدّسة عامّةً، وعتبة الإمام الحسين عليه السلام خاصّةً.

المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم.

- ١ . إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، تحقيق: السيّد هاشم الميلاني، الناشر: رضي.
- ٢ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٣ . بحر الجواهر، محمد بن يوسف الهروي، الناشر: جلال الدين، قم - إيران.
- ٤ . تجربہ دینی و گوهر دین، علي رضا قائمی نیا، بستان كتاب، قم، ١٣٨١هـ. ش.
- ٥ . تقسيمات اللاهوت في فلسفة كانط النقدية، د. إحسان علي عبد الأمير الحيدري، بحث نُشر في مجلّة الآداب الصادرة عن كليّة الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠٦، ٢٠١٣م.
- ٦ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة.
- ٧ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه الشيخ الصدوق، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ. ش.
- ٨ . دروس في العقيدة الإسلامية، الشيخ محمد تقّي مصباح اليزدي، نشر وتوزيع: دار الرسول الأكرم، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

- ٩ . ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوّل محمد بن جمال الدين مكّي العاملي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المقدّسة.
- ١٠ . الرومانتيكية ما لها وما عليها، مختارات من جمع روبرت بلكنر وجيرالد انسكو، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، مطابع الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٩٨٧م.
- ١١ . الزيارة والتوسّل، صائب عبد الحميد، مركز الرسالة، إيران - قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٢ . شرح نهج البلاغة، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.
- ١٣ . الفتاوى المنتخبة، السيّد كاظم الحائري، الناشر: دار البشير، إيران - قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٥هـ.
- ١٤ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، الطبعة الثالثة.
- ١٥ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، تحقيق: جواد القيّومي، الناشر: مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٦ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي النجفي، أعاد بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة وما بعده على طريقة المعاجم العصرية محمود عادل الربع الثاني، مكتبة فقاها.
- ١٧ . المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيّومي الإصفهاني، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بالحوزة العلمية، إيران - قم المقدّسة، ١٤١٩هـ.
- ١٨ . المعجم الفلسفي، جميل صليب، دار الكتاب اللبناني، لبنان - بيروت.
- ١٩ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٢٠ . مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، تحقيق: الشيخ علي آل كوثر، الناشر:

مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، المطبعة: باسدار إسلام.

٢١ . مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، تحقيق:

صفوان عدنان، الدار الشامية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٢٢ . موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،

المكتبة الشاملة.

٢٣ . موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد أعلى بن علي نهانوي،

الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، لبنان - بيروت.

٢٤ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة

المدرّسين في الحوزة العلمية، إيران - قم المقدّسة.

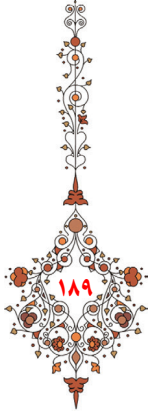
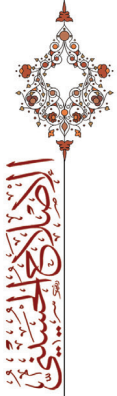
المجلّات

٢٥ . مجلّة الإصلاح الحسيني، مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في

النهضة الحسينية في العتبة الحسينية المقدّسة، وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام،

الشيخ رافد عسّاف التميمي، مقال منشور في العدد ١، السنة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

26 . Baghdad sketches, Freya stark, printed in Great Britain by Wyman and sons, London, first edition, 1937.



أسباب منع زيارة الإمام الحسين عليه السلام
دراسة في دوافع المنع من قبل بعض الخلفاء والسلاطين على مر التاريخ

السيد علاء تكليف العوادي
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

The Reasons for Prohibiting the Ziyara
of Imam al-Husayn (PBUH)
– A Study of the Motives Behind the Ban Imposed by
Some Caliphs and Rulers Throughout History

Sayyid Alaa Takleef al-Awadi
The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies
on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

ملخص البحث

تحتل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بأهمية خاصة في الثقافة الإسلامية، وقد أكدت الروايات الشريفة بمضامين متعددة؛ ففتح اهتمام بها منقطع النظر في المجتمع الإسلامي. ويظهر ذلك من خلال الحرص الكبير على إتيان المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام من قبل مجموعات مختلفة من طبقات المجتمع عامة، والشيعية خاصة، غير أن هذا الاهتمام جابته مجابهة شديدة، ومنعته السلطات المستبدّة عبر التاريخ. وكانت هناك عوامل متعدّدة تقف وراء ذلك المنع.

يحاول هذا البحث دراسة تلك العوامل، والوقوف على تفاصيلها في الحقب التاريخية المختلفة، فبدأ ببيان مشروعية زيارة الإمام الحسين عليه السلام من وجهة نظر قرآنية وروائية، ثم نبذة تاريخية من زيارة المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام، تلاها عرض المحطّات التاريخية للمنع من زيارته عليه السلام، وجاء بعد ذلك الحديث عن الأسباب التي دعت السلطات إلى الوقوف بوجه تلك الشعيرة الإسلامية. وقد سلك البحث المنهج التحليلي الوصفي.

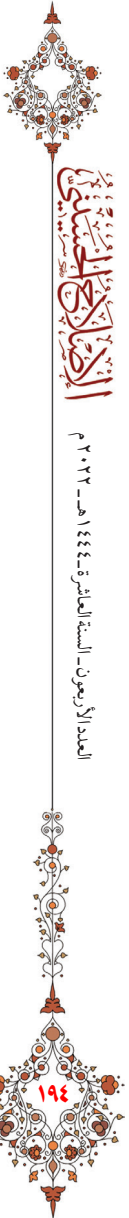
الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، منع، شعائر، الخلفاء، التاريخ، الإمام الحسين عليه السلام.

Abstract

The Ziyara (visitation) of Imam al-Husayn (PBUH) holds special importance in Islamic culture, as it has been emphasized by the holy narrations in various manners. This resulted in an exceptional interest in Ziyara within the Islamic society, evident when looking at the eagerness to visit the sacred shrine of the Master of the Martyrs (PBUH) of different social segments generally, and within the Shiite community specifically. However, this interest was met throughout history with a severe ban imposed by oppressive authorities, with multiple factors behind that prohibition.

This article attempts to study and scrutinize these factors at different historical periods. It begins by demonstrating the legitimacy of Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH) from the perspective of the Quran and the narrations, followed by a historical overview of the Ziyara to the sacred shrine of the Master of the Martyrs (PBUH). It then presents the historical milestones of the ban imposed on Ziyara and discusses the reasons that led authorities to oppose this Islamic ritual. This study follows the descriptive-analytical method.

Keywords: Arbaceen Ziyara, prohibition, rituals, caliphs, history, Imam al-Husayn (PBUH).



المقدمة

من أهم الممارسات الدينية التي يحرص الشيعة على استمرارها، وإدامة الزخم فيها وفي كل مناسبة من مناسباتهم التي تمرّ طوال السنة، هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام. ويأتي ذلك تمسكاً بما جاءهم من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحثّ المعصومين على الاهتمام بهذه الشعيرة.

وما زال شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام على هذا النهج من الاستمرار والحرص على إحياء زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، إلّا أنّ تلك المسيرة التي سار عليها الشيعة لم تخلّ من معارضات من قبل الحكّام والسلاطين على مرّ التاريخ حتّى وصل بهم الأمر إلى أن يحظروا على شيعة أهل البيت عليهم السلام الوصول إلى كربلاء، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ لهذا الحراك من قبل الحكّام والسلاطين لمواجهة هذه الشعيرة ومنعها عوامل عدّة أدّت إلى استمرارهم في اتّخاذ هذا النهج المعادي للإمام الحسين عليه السلام على مرّ التاريخ. وسنبيّن من خلال هذا البحث - بعد التمهيد - أهمّ العوامل التي أدّت إلى ذلك.

تمهيد: زيارة القبور في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة

لم تكن زيارة القبور حدثاً مبتكراً لأتباع أهل البيت عليهم السلام، بل هي امتداد لتاريخ طويل منذ أن بدأ الإنسان يوارى جسد المتوفّى؛ فقد اعتنى الإنسان بتهيئة البيئة الملائمة لمواراة الأجساد فيها، كما اعتاد الوقوف عليها مستذكراً وزائراً لها، ولم يعارض الإسلام المحمّدي الأصيل تلك العادات والتقاليد التي تُفصح عن سجية إنسانية، بل إنّ الدين الإسلامي الحنيف وقف مع هذه الظاهرة ووقوف مرعّب فيها من خلال

ما أكّده علينا من حثّ في كتاب الله جلّ جلاله، وأحاديث أئمة أهل البيت عليه السلام على استحباب زيارة القبور.

أولاً: زيارة القبور في الرؤية القرآنية

يمكن الاستدلال على جواز زيارة القبور من القرآن الكريم بعدة آيات، نذكر منها ما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾^(١).

بتقريب أنّ الآية في سياق الحديث عن أصحاب الكهف، وتبيّن موقف الموحدّين تجاههم، وأنهم اقترحوا بناء مسجد على موقع رقود الفتية، وأنّ القرآن الكريم قد ذكر هذه القصة للإشارة إلى جواز أن تتخذ القبور مكاناً للعبادة ببناء المساجد فيما حولها من الأرض، ولم يردع عنها.

وإلى هذا أشار المفسّرون في تفسير الآية، فقد ذكر السيّد الطباطبائي رحمه الله: «قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، هؤلاء القائلون هم الموحدّون. ومن الشاهد عليه التعبير عمّا اتّخذوه بالمسجد دون المعبد؛ فإنّ المسجد في عرف القرآن هو المحلّ المتّخذ لذكر الله والسجود له، قال تعالى: ﴿وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٢)»^(٣).

وقال الرازي في تفسير الآية: ﴿لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، «نعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد»^(٤).

(١) الكهف: الآية ٢١.

(٢) الحج: الآية ٤٠.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص ٢٦٧.

(٤) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٢١، ص ٤٤٧.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَانُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١).

وتقريب الاستدلال يتم من خلال دلالة مفهوم الوصف في الآية المباركة؛ حيث إنَّ منطوق الآية الكريمة يدلُّ على المنع من الصلاة على مَنْ مات وهو كافر، وكذا المنع من الإقامة على قبره، ومن خلال ذلك يفهم جواز الصلاة على الميت، كما يجوز زيارة قبره والوقوف عليه إذا كان مسلماً. ثمَّ إنَّ الأبدية تدلُّ على الاستمرار في المنع بالمنطوق، والجواز بالمفهوم.

ثانياً: زيارة القبور في أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

وأما ما يدلُّ على جواز زيارة القبور ممَّا ورد عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم بالآخرة»^(٢).
وورد عنه عليه السلام أنه لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبرٍ قد دُرس، فقعده عنده طويلاً، ثمَّ استعبر، فقليل له: يا رسول الله، ما هذا القبر؟ فقال عليه السلام: «هذا قبر أُمِّي آمنه بنت وهب، سألت الله في زيارتها، فأذن لي».

وقال عليه السلام: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها»^(٣).

وفي معتبرة عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت: إني أنزل الأَرَجَانِ وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجتُ فقلبي وجِلُّ مُشْفِقٍ حتَّى أرجع خوفاً من السلطان والسُّعاة وأصحاب المسالِح. فقال: يابن بكير، أما تُحِبُّ أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنَّه مَنْ خاف لخوفنا أظْلَمَ الله في ظلِّ عرشه، وكان مُحَدِّثُ الحسين عليه السلام تحت

(١) التوبة: الآية ٨٤.

(٢) ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن بن محمد، الشرح الكبير: ج ٢، ص ٩٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٤٤١.

العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يَفْزَعُ النَّاسَ وَلَا يَفْزَعُ، فَإِنْ فَزَعَ وَقَرَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَسَكَنَتْ قَلْبَهُ بِالْبِشَارَةِ»^(١).

بداية زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام

هناك قولان في تاريخ بداية زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام:

القول الأول: ما ذهب إليه ابن نما: من أن أول من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء هو سليمان بن قتة العدوي (ت ١٢٦ هـ)؛ إذ روى عن ابن عائشة أنه قال: مرَّ سليمان بن قتة العدوي مولى بني تميم بكربلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث، فنظر إلى مصارعهم، فاتكأ على فرس له عربيّة، وأنشأ:

مَرَرْتُ عَلَى أَيْبَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ	فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَلَهَا يَوْمَ حَلَّتِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ أَضْحَتْ مَرِيضَةً	لِفَقْدِ حُسَيْنٍ وَبِلَادِ اقْشَعَرَّتِ
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ أَضْحُوا رَزِيَّةً	لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتِ
وَتَسَالُنَا قَيْسٌ فَنُعْطِي فَقِيرَهَا	وَتَقْتُلُنَا قَيْسٌ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
وعند غنيّ قطرة من دِمَائِنَا	سَنَطْلُبُهُمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ
فَلَا يُبْعَدُ اللهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا	وإن أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِرِغْمٍ تَخَلَّتِ
فإن قَتِيلَ الطِّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ
وقد أَعُولَتْ تَبْكِي النِّسَاءُ لِفَقْدِهِ	أَنْجُمُنَا نَاحَتْ عَلَيْهِ وَصَلَّتِ ^(٢) .

فهذا ابن نما يذكر الأبيات على أن ابن قتة أو أبا الرُّمَحِ الخزاعي قالها حين وصوله كربلاء، ووقوفه على مصرع الإمام الحسين عليه السلام والشهداء من أهل بيته وأصحابه. وقد ردّ هذا القول بأنه ممّا لم يقله أحد.

القول الآخر: وهو الأشهر والأصح: من أن بدايتها بوصول جابر بن عبد الله

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٦.

(٢) ابن نما الحلّي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ١١٠.

الأنصاري إلى كربلاء المقدّسة برفقة غلام له يقوده في مسيره، اسمه عطية العوفي^(١)، ويُعدّ وصوله نقطة انطلاق لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعاء؛ ولذا نجد هذا الحرص من الشيعة على الحفاظ عليها منذ ذلك الوقت.

وصل الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء يوم الأربعاء، وصادف ذلك وصول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام مع عمّته الحوراء زينب رضي الله عنهما وبقية العيال^(٢).

ثمّ إنّ قد مُنعت زيارة الإمام الحسين عليه السلام من قبل الخلفاء والسلاطين، وسنذكر ذلك في ضمن محورين.

المحور الأوّل: محطات تاريخية لظاهرة حظر زيارة الإمام الحسين عليه السلام من قبل بعض الخلفاء والسلاطين

انتهج بعض الحكّام والسلطات على مرّ العصور منهجاً يقوم على الحدّ من ظاهرة زيارة الإمام عليه السلام، ومنعها والتصدي لها باستمرار. ويمكننا أن نقف على بعض المحطّات التاريخية ليتسنى لنا الوقوف على أسباب منع الحكومات من ظاهرة زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

المحطة الأولى: الدولة الأموية

قامت الدولة الأموية بحظر زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لأنّه كان يشكّل تهديداً لنظامها، وخصوصاً بعد قيام زيد بن علي في الكوفة في زمن هشام بن الحكم. إلّا أنّ الخلافة الأموية لم تعتمد إلى هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وتخريبه، بل اكتفت بحظر الوصول إلى قبره الشريف، ومحاسبة الشيعة على إحياء ذكرى الإمام عليه السلام^(٣).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشهرستاني، السيّد صالح، تاريخ النباحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ج ١، ص ١٠٧.

الكوراني، علي، الإمام علي الهادي عليه السلام: ص ١٣٣.

المحطة الثانية : الدولة العباسية

قام العباسيون بحظر زيارة الإمام الحسين عليه السلام منذ أول عهدهم بالخلافة، فالمعروف أنّ المنصور العباسي والخلفاء الذين جاؤوا بعده قاموا بفرض حظر على زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وبسدّ الطرق، وإجراء العقوبات على الزوّار الذين يرغبون في التوجّه إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام. وقد أدّى ذلك إلى منع الكثير من المسلمين الشيعة من زيارة المرقد للمشاركة في مراسم العزاء في ذكرى شهادة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام^(١).

ولم يتيسّر لبني أمية ما أرادوا، وكان قد بُني عليه مسجد، ولم يزل كذلك بعد بني أمية، وفي زمن بني العباس، إلّا في زمن الرشيد لعنه الله؛ فإنّه خرّبه، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده، وكرّب موضع القبر^(٢).

والملاحظ أنّ هذه الممارسة كانت تستهدف تضيق المساحة الثقافية والدينية للشيعة، ومنعهم من تجديد العهد بتراثهم الديني والثقافي.

وعلى الرغم من هذه القيود استمرّ مرقد الإمام الحسين عليه السلام في أن يكون وجهة للزيارة والتبجيل من قبل الشيعة طوال العصور، وما زال يستقطب الملايين من الزوّار. ثمّ إنّ المنصور الدوانيقي كان أول من سنّ هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام، وذلك في عام (١٤٥ هـ)^(٣)؛ فقد أمر والي الكوفة عيسى بن موسى أن يهدمه^(٤).

وأقدم الخليفة العباسي هارون الرشيد على هدم قبر الحسين عليه السلام والدور المجاورة التي حوله، كما أنّه عمد إلى السدرة التي كانت عند القبر الشريف، فأمر بقلعها،

(١) أنظر: الكليدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء: ص ١٩٣.

(٢) أنظر: الكركي الحائري، محمد، تسليّة المجالس وزينة المجالس: ج ٢، ص ٤٧٣.

(٣) الكليدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء: ص ١٩٣.

(٤) الكوراني، علي، الإمام علي الهادي عليه السلام: ص ١٣٣.

وحرث موضع القبر ومحا أثره^(١)؛ إذ إنه لما رأى جماهير غفيرة تتهافت على زيارة مرقد الحسين عليه السلام، قام بهدم الدور المجاورة له، واقتلاع السدرة التي كانت إلى جانب القبر الشريف، كما أمر بحرث أرض كربلاء؛ ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر، وقد انتقم الله منه؛ فإنه لم يدر عليه الحول حتى هلك في خراسان^(٢).

وقد روي عن يحيى بن المغيرة، قال: كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تُقطع السدرة التي فيه، فقطعت. قال: فرجع جرير يديه وقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً»، فلم نقف على معناه حتى الآن؛ لأنَّ القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين عليه السلام؛ حتى لا يقف الناس على قبره^(٣).

وقد ذكر المجلسي أنَّ الذي باشر بهدم القبر هو الوالي على الكوفة من قبل الرشيد موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس^(٤).

وكذلك نُقل أنَّ موسى بن عبد الملك هو الذي أمر بقطعها^(٥).

ويؤكد الكاتب جعفر الخياط: «أنَّ إحدى الروايات الشيعة تنصُّ على أنَّ

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٠٤ و ٣٩٤. صحيفة البديل الإسلامي: العدد ٦٢، نقلاً عن يعقوب سركيس: أنَّ الرشيد هدم السقيفة عام (١٧١هـ). آل طعمة، سلمان هادي، ومضات من تاريخ كربلاء: ص ١٨. وذكر أنَّ القطع كان سنة (١٧١هـ). آل طعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء: ص ٣٤. كاظميني، حسين بن هادي، نزهة أهل الحرمين: ص ٦١. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٩.

(٢) الكلیدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء: ص ١٩٨.

(٣) الطبري، محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ج ١، ص ٣٤٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الالأمالي: ص ٣٢٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٩.

بعض المؤمنين المحبين لأهل البيت كان قد أشر على مكان القبر المطهر، بزرع شجرة (عنجاص) بالقرب منه، ولكن هذه الشجرة قد اجتثت فيما بعد بأمر من الخليفة هارون الرشيد، وحُرثت الأرض المحيطة بها، غير أنّ بعض النازلين على مقربة من الموقع بادروا إلى وضع علامة غير ظاهرة فيه»^(١).

وفي سنة ٢٣٦ من الهجرة أقدم المتوكل العباسي على هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث جار في تعامله الغليظ مع العلويين وشيعتهم، وقد قاسوا منه أنواع العذاب، فمنعهم من حقوقهم فضلاً عن الوصول إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام والإقامة عنده؛ وذلك لأنّه كان يعتبره تهديداً لسلطانه^(٢). مضافاً إلى ما كان يحمله من شديد البغض للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم^(٣).

كما أنّه عمد إلى هدم ما حوله من المنازل والدور، وأمر أن يُحْرث قبر الإمام الحسين عليه السلام، ويُنثر فيه البذور، ويُسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه^(٤). «ونودي في الناس مَنْ وُجِدَ هنا بعد ثلاثة أيام، ذهبت به إلى المطبق. فلم يبقَ هناك بشر. واتَّخذ ذلك الموضع مزرعةً تُحْرَث وتُسْتَعْلَل»^(٥).

ولذا يُعتبر وقت حكم المتوكل من أشدّ الأوقات على الشيعة صعوبة؛ حيث إنّهُ عُرِفَ بتعصّبه الشديد ضدهم، فقد قال المسعودي: «وكان آل أبي طالب قبل خلافة المنتصر في محنة عظيمة، وخوفٍ على دمائهم، قد مُنِعُوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة، وكذلك مُنِعَ غيرُهم من شيعتهم حضورَ هذه المشاهد. وكان الأمر بذلك من

(١) الخياط، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء: ص ٢٥٧.

(٢) أنظر: الأتابكي، يوسف، النجوم الزاهرة: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٣) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ١٧، ص ٥٦.

(٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٣٦٥.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٣٤٧.

المتوكل سنة ست وثلاثين ومئتين، وفيها أمر المعروف بالديزج بالسير إلى قبر الحسين بن علي (رضي الله تعالى عنهما) وهدمه، ومحو أرضه، وإزالة أثره، وأن يعاقب مَنْ وَجَدَ به. فبذل الرغائب لَمَنْ تقدّم على هذا القبر، فكلُّ خشبي العقوبة وأحجم، فتناول الديزج مسحاة، وهدم أعالي قبر الحسين (عليه السلام)، فحينئذٍ أقدم الفعلة فيه... ولم تنزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استُخلف المنتصر سنة ٢٤٧ هجرية، فأمن الناس، وتقدّم بالكفّ عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم»^(١).

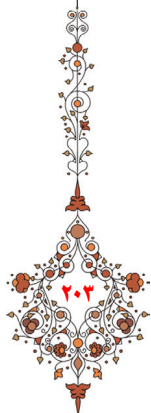
وعن عمر بن فرج: «قال: أنفذي المتوكل في تخريب قبر الحسين، فصرت إلى الناحية، فأمرت بالبقر، فَمَرَّ بها على القبور، فَمَرَّت عليها كلها، فلما بلغت قبر الحسين (عليه السلام)، لم تمرّ عليه! قال عمّي عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي، فما زلت أضربها حتى تكسّرت العصا في يدي، فوالله ما جازت على قبره ولا تخطّته! قال لنا محمد بن جعفر: كان عمر بن فرج شديد الانحراف عن آل محمد (عليهم السلام)، فأنا أبرأ إلى الله منه. وكان جدّي أخوه محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمه الله ورضي عنه، فأنا أتولّاه لذلك، وأفرح بولادته»^(٢). أي: بولادتي منه.

مع ذلك لم يكفّ الشيعة عن الوصول إلى قبره (عليه السلام) وإقامة العزاء بالرغم من منع المتوكل وبطشه؛ فقد ذكر الطوسي في أماليه: «بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أنّ أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى؛ لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قوّاده، وضم إليه كَنَفاً^(٣) من الجند كثيراً، ليشعّب قبر الحسين (عليه السلام)،

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٤، ص ٥١-٥٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٢٥. الكركي الحائري، محمد، تسليّة المجالس: ج ٢، ص ٤٧٥.

(٣) وفي الأصل «كِنَفاً». ولعله (كَنَفاً)، أي: جانباً، وهو كناية عن الجماعة من الجند. أو (كَنَفاً)، أي: جماعة ضخمة. وهو ممّا يوصف به الجند. أنظر: الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ١٠، ص ١٠٥. وأنظر: صاحب بن عباد، إسماعيل، المحيط في اللغة: ج ٦، ص ٢٤٣.



ويمنع الناس من زيارته، والاجتماع إلى قبره عليه السلام. فخرج القائد إلى الطفّ، وعمل بما أمر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومئتين، فثار أهل السواد به، واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا، لما أمسك من بقي منّا عن زيارته. ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم، والمسير إلى الكوفة، مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها، والانكفاء إلى مصر. فمضى الأمر على ذلك حتّى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء؛ لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي براءة الذمّة من زار قبر الحسين. ونبش القبر، وحرث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة. وعمل على تتبع آل أبي طالب والشيعة رضي الله عنهم، فقتل، ولم يتمّ له ما قدّر ^(١).

و«في عام (٣٦٩هـ) أغار والي عين التمر في عهد الطائع العباسي ضبّة بن محمّد الأسدي على مدينة كربلاء، وقتل أهلها، ونهب أموالهم، وسرق ما في خزانة الحرم المطهر من نفائس وذخائر وتحف وهدايا، وهدم ما أمكنه هدمه» ^(٢).

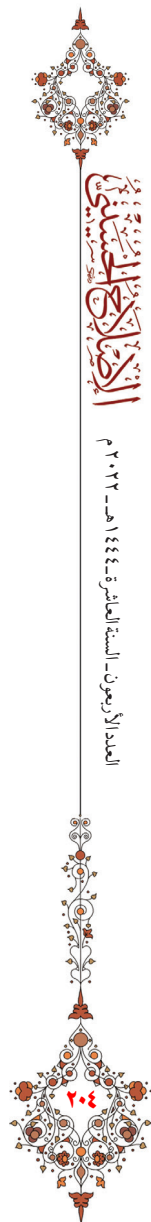
وذكر ابن مسكويه الرازي: «في هذه السنة نفذ عسكر إلى عين التمر في طلب ضبّة بن محمّد الأسدي - وقد مرّ ذكره، وأنّه من يسلك سبيل الدّعار، ويسفك الدماء، ويخيف السبل، وينهب القرى، ويبح الأموال والفروج - وانتهدك حرمة المشهد بالحائر، فلما أظّل عليه العسكر المجرد هرب بحشاشته إلى البادية، وأسلم أهله وحرمه، فحصل أكثرهم في الأسر، وملكت عين التمر» ^(٣).

وفي هذا النهج تعاقب بعض ولاة الخلفاء والسلاطين على هدم قبر الإمام

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٢٨.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٤، ص ٥١. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٩٥ و ٣٩٧.

(٣) ابن مسكويه الرازي، أحمد بن محمّد، تجارب الأمم: ج ٦، ص ٤٦٤.



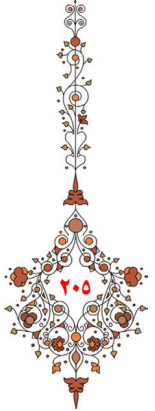
الحسين عليه السلام، ومنع زيارته، وقتل زائريه أو معاقبتهم، وتهجير نزلاء قبر الإمام عليه السلام في كربلاء.

المحور الثاني : عوامل حظر زيارة الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن وقفنا على محطات مهمة من تاريخ منع زيارة سيّد الشهداء، نعرض أهمّ العوامل التي أدّت بالخلفاء والسلاطين إلى حظر الزيارة، وتهديم القبر الشريف من خلال ما وردنا من التاريخ، وكيف كانوا يتعاملون مع الأئمة عليهم السلام وشيعتهم في هذا المضمار. لقد توالى الأحداث على المسلمين بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وصار الأمر إلى غير أهل الحقّ من أئمة أهل البيت عليه السلام، وخصوصاً بعد تولّي معاوية وولده يزيد (لعنهما الله) زمام الحكم، وما اقترفه يزيد (لعنه الله) من قتله للإمام الحسين عليه السلام، وسببه أهل بيته عليه السلام، وما لحقه من استمرار لذلك النهج الأموي وبعده العباسي، فلم يتوقّف خلفاء الدولتين عن إعلانهم العداء لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وترجموا ذلك بجملة من التصرفات على اختلاف عصورهم، تمثّلت بهدم قبره الشريف، وحرث أرضه وسقيها بالماء، وتهجير مَنْ كان حول القبر من المحبّين والشيعية الذين اتّخذوا قبر الإمام عليه السلام وطناً لهم، وأكثروا القتل والتعذيب لزائري قبره الشريف.

كلّ ذلك يتمخّض من منطلق واحد وإن تعدّدت أسبابه وأدوات تنفيذه، وهو الخلاص من النهج الذي انتهجه الإمام الحسين عليه السلام من إعلان النهضة بوجه الظلم وجبروت الطغاة والظلمة. فسعوا إلى محاربته حيّاً بقتله عليه السلام، وكذلك ميتاً بهدم قبره وحرثه، وقتل محبّيه، ومنع زائري قبره الشريف. فغداً ذلك السلوك منهجاً عدوانياً قائماً على الوقوف بوجه زيارة سيّد الشهداء ومنعها.

وبالتأمّل في سلوك الحكومات يمكننا استنتاج عدّة عوامل أدّت إلى حظر زيارة الإمام الحسين بن علي عليه السلام من قبل بعض الخلفاء والسلاطين على مرّ التاريخ. نذكر منها ما يلي:



العامل الأول: منع ارتباط الناس بالإمام الحسين عليه السلام

سعت السلطات إلى منع إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وارتباط الناس به عبر الأجيال؛ كي لا يكون نموذجاً لرفض سلطانهم. ويمكن ذكر نماذج عديدة لذلك، منها ما حصل في عصر المتوكل العباسي، واضطرابه من كون زيارة الإمام الحسين عليه السلام قد دخلت إلى عقر داره حيث خواصه وجواريه، وهذا ما يهدد سلطانه. وإلى ذلك يشير أبو الفرج الإصفهاني، حيث قال: «إن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية، فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً، وأمر بمولاتها فحُجست، واستصفي أملاكها، وبعث برجل من أصحابه - يقال له الديزج، وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه، وإخرا ب كل ما حوله، فمضى لذلك، وخرّب ما حوله، وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو مئتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكريه وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه، ووجهوا به إليه»^(١).

العامل الثاني: منع الشعائر الحسينية

سعى بعض الحكام إلى منع إقامة الشعائر الحسينية من البكاء، وإنشاد الشعر، وغيرهما؛ حتى تضعف حالات الارتباط الروحي بواقعة الطف؛ الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الفجوة والتباعد بين محبي أهل البيت وبين الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٤٧٩. وأنظر: الأتابكي، يوسف، النجوم الزاهرة: ج ٢، ص ٢٨٤.

فالخوف الذي يشعر به أعداء الحق وأهل البيت عليه السلام من استمرار التعلق بمرقد الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ الدروس والعبر منه عليه السلام عبر إقامة هذه الشعائر التي تزيد من الترابط الروحي بين الإمام عليه السلام وبين أتباعه، فالخوف من ذلك مما يجعل السيطرة على زمام الأمور في إدارة حكمهم صعبة المنال؛ فلذا لجأ هؤلاء إلى المنع من هذه الشعائر، وفي مقدمتها الوصول إلى قبره عليه السلام وإحياء ذكره.

وبواعث هذا الانفلات في السيطرة على المشاعر لدى الجماهير حين أحيائهم لتلك الشعائر، تورثهم الخوف على سلطانهم من السقوط والانقلاب عليه؛ إذ يرون في الإمام الحسين عليه السلام ملهماً للثوار بوجه الظالمين.

العامل الثالث: سير العباسيين على النهج الأموي في محاربة الإمام الحسين عليه السلام

من العوامل التي أدت إلى السعي حثيثاً من قبل السلطات والحكام بعد عصر بني أمية هو إبداء التأييد لما فعله بني أمية من قتلهم للإمام الحسين عليه السلام، فقاموا بحظر زيارته، وهدم قبره عليه السلام. وفي هذا المجال نقل السيوطي شعراً يشير إلى هذا المعنى.

تالله إن كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمرى قبره مهْدوما
أسفوا على ألا يكونوا	شاركوا في قتله فتبّعوه رميماً ^(١)

العامل الرابع: الصراعات السياسية وخلافاتها

قد يكون حظر الزيارة ناتجاً عن الاختلافات السياسية والصراعات على السلطة بين الخلفاء والولاة والأطراف الأخرى، فيرون السماح بزيارة مقام الإمام الحسين عليه السلام عاملاً مهماً في تعزيز قوة خصومهم وشعبيتهم.

فالرغبة في ديمومة الحكم - خصوصاً في وقت اتساع الصراعات السياسية -

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء: ص ٣٤٧.



تدعو إلى المنع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك أن الكثير ممن أراد الخروج على من سبقه حمل شعار الأخذ بثرات الحسين عليه السلام؛ ومن هنا يمكن أن يظن بعض أن السماح بالزيارة سيشكل تهديداً للنظام الاجتماعي أو السياسي الحاكم، ومن ثمّ يمكن أن يتخذوا إجراءات منع الزيارة؛ للحفاظ على استقرارهم وحماية مصالحهم الشخصية القائمة على ديمومة هذه السلطة وبقائها.

والأحداث التاريخية المهمة ربّما أدّت إلى حظر الزيارة، مثل الثورات، أو الحروب، أو تغيّرات في المشهد السياسي العام.

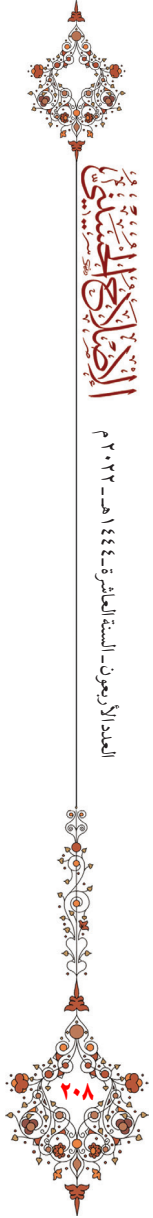
العامل الخامس: نهج الاعتقاد المتّبع

الاعتقادات الدينية التي يتّبعها الخلفاء والسلّاطين قد يكون لها الأثر الفاعل في حظر زيارة المراقدة المقدّسة؛ فقد يكون لدى الخليفة أو السلطان اتّجاه اعتقادي خاصّ تميل إليه سلطته، وهذا الميل هو الذي يؤدّي إلى امتناعه عن السماح بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فلذا يسعى إلى إقامة قيود الحظر من زيارته عليه السلام، من قبيل حرمة زيارة القبور التي تبناها علماء الضلال، مخالفين بذلك القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة التي وردت عن النبي صلّى الله عليه وآله في رجحان زيارة القبور.

نتائج البحث

توصّلنا من خلال هذه الدراسة التي تناولنا فيها أسباب منع بعض الحكّام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام إلى ما يلي:

أولاً: تحظى زيارة الإمام الحسين عليه السلام بأهمية كبيرة، وهي من الممارسات الدينية التي يحرص عليها الشيعة، ويسعون لإدامة الزخم فيها على مدار السنة، وهي تعبير عميق عن التزامهم الديني والثقافي. ويعود هذا الاهتمام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام إلى التعاليم التي نقلتها لهم رواياتُ أئمة أهل البيت عليهم السلام، ممّا دفعهم إلى الحفاظ على هذه الشعيرة الدينية.



ثانياً: تستند زيارة الإمام الحسين عليه السلام إلى أدلة قرآنية وروائية، فالقرآن الكريم يشير إلى أحداث ماثلة لتلك التي شهدتها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما هو مبين في دلالة سورة الكهف. ومن جهة أخرى يشير قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إلى المنع من صلاة الجناز على الكافرين، مما يعكس أهمية التأمل في النصوص الدينية وفهم دالاتها الشرعية.

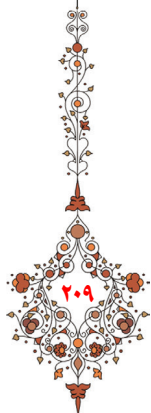
ويظهر من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ضرورة زيارة القبور؛ لتذكيرنا بالآخرة، وللحفاظ على الروابط الروحية مع الموتى. ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم الغرض الحقيقي من زيارة القبور وأهميتها في الإسلام.

ويظهر ذلك أيضاً من الروايات التي ذكرت قصصاً تحكي عن وقوف الناس أمام القبور بخشوع وخوف من الله تعالى، وكيف أن هذا الخشوع يتحوّل إلى راحة وأمان تحت ظلّ عرش الله عزّ وجلّ. وهذا يعكس العلاقة الروحية بين الإنسان والموت، وكيف يمكن زيارة القبور أن تعزّز هذه العلاقة، وتحقّق السكينة الداخلية.

ثالثاً: هناك قولان في تاريخ زيارة الإمام الحسين عليه السلام عن قرب، يعتبر الأوّل مرورَ سليمان بن قتّة العدوي بكرّ بلاء بعد مأساة الطفّ الأليمة بدايةً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، في حين يرى القول الآخر أن أوّل زائر للإمام الحسين عليه السلام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري.

رابعاً: لم تكن هذه المسيرة خالية من التحدّيات والعراقيل؛ فقد شهدت معارضةً شديدة من قبل بعض الحكّام والسلاطين على مرّ التاريخ، وصلت هذه المعارضة إلى حدّ تحديد حرّية شيعة أهل البيت عليهم السلام في الوصول إلى كربلاء وزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

خامساً: سلكت بعض السلطات طُرُقاً متباينة تجاه ظاهرة زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث اعتمدت بعضها على الوقوف ضدها ومنعها، في حين استمرت بعضها على التسامح والسماح بالزيارة والاحترام للمكان المقدّس؛ فقد اتخذت



الدولة الأموية موقفاً صارماً حيال زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ ترى زيارته تهديداً لنظامها، خصوصاً بعد قيام زيد بن علي في الكوفة خلال حكم هشام بن الحكم، لكنّها على الرغم من الحظر لم تلجأ إلى هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام، بل اكتفت بمنع الوصول إليه، ومعاقبة الشيعة على ممارسة طقوس الزيارة.

سادساً: هناك عوامل عدّة دفعت ببعض الخلفاء والسلاطين إلى حظر زيارة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهدم قبره الشريف، أحد هذه العوامل يتمثل في منع ارتباط الناس بالإمام الحسين عليه السلام؛ حيث كانوا يحاولون منع الناس من تخليد ذكراه، وتعلّقهم به.

عامل آخر يتمثل في منع الشعائر الحسينية؛ حيث سعت الحكومات إلى منع الشعائر المتعلقة بالبكاء والإنشاد بما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، وإلى زيادة الفجوة والتباعد بين الناس وبين الإمام الحسين عليه السلام.

أمّا الخوف الذي يشعر به أعداء الحقّ وأهل البيت من استمرار التعلّق بمرقد الإمام الحسين عليه السلام، واستمرار تأثيره في الناس، فهو عامل آخر دفعهم إلى منع هذه الشعائر، وعدم السماح بالارتباط الروحي بواقعة الطفّ؛ إذ يعتقدون أنّ ذلك يجعل الإمام الحسين عليه السلام قوةً مؤثّرة يصعب السيطرة عليها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة.

٢ . الإمام علي الهادي عليه السلام عمر حافل بالجهاد والمعجزات، الشيخ علي الكوراني، دار المعروف للطباعة والنشر، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

٣ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٤ . البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت.

٥ . بشارة المصطفى ﷺ لشيعه المرتضى ﷺ، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٦ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث.

٧ . تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: لجنة من الأدباء، توزيع: دار التعاون، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٨ . تاريخ النباحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي ﷺ، السيد صالح الشهرستاني، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع.

٩ . تاريخ كربلاء وحائر الحسين ﷺ، عبد الجواد الكلدار، الناشر: المطبعة الحيدرية.

١٠ . تجارب الأمم، أحمد بن محمد بن مسكويه الرازي، تحقيق وتقديم: أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١١ . تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، قسم المعارف الإسلامية والإنسانية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م.

١٢ . تسلية المجالس وزينة المجالس (مقتل الحسين ﷺ)، السيد محمد الكركي الحائري، تحقيق وتصحيح: كريم فارس الحسون، مؤسسه المعارف الإسلامية، إيران - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ ق.

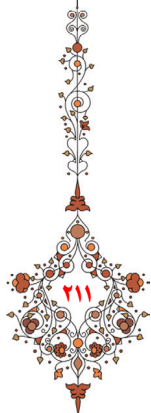
١٣ . التفسير الكبير، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة.

١٤ . تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرري، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى.

١٥ . الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي.

١٦ . صحيفة البديل الإسلامي، العدد ٦٢.

١٧ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد



القيومي ولجنة التحقيق، مؤسّسة النشر الإسلامي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨ . الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.

١٩ . المحيط في اللغة، صاحب إسماعيل بن عبّاد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى.

٢٠ . مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

٢١ . مقاتل الطالبين، علي بن الحسين الإصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٢ . مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي المازندراني، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

٢٣ . موسوعة العتبات المقدّسة - قسم كربلاء، جعفر الخليلي، جعفر الحياط، كتب التراث، ١٩٧٨م.

٢٤ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

٢٥ . النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٢٦ . نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، حسن بن هادي صدر كاظميني، تحقيق: محمّد رضا أنصاري قمّي.

٢٧ . ومضات من تاريخ كربلاء، سلمان هادي آل طعمة.

**فضل الحجّ وزيارّة الإمام الحسين عليه السلام في الروايات
دراسة مقارنة**

الشيخ خالد منصور الحنتوشي الركابي
باحث إسلامي / العراق

**The Virtue of Hajj and the Ziyara of
Imam al-Husayn (PBUH) in the Narrations
– A Comparative Study**

Shaykh Khaled Mansoor al-Hantushi al-Rekabi
Islamic researcher, Iraq

ملخص البحث

إنّ للحج والزيارة معاني متقاربة في الاستعمالات اللغوية والاصطلاحية تشترك في القصد، ويكون القصد بحسب ما يُقصد وما يراد أداء الأفعال والأعمال لأجله. ومن هنا؛ فأهمية البحث تكمن في قوّة البعث نحو الفعل، فإنّ الحثّ من قبل الشارع المقدّس على أداء الحجّ والعمرة من جهة، والزيارة من جهة أخرى، يكشف قوّة الملاك والمصلحة العليا المترتبة عليهما، سواء على مستوى الفرد أم المجتمع المسلم، والتحذير من مغبة تركهما؛ لما له من أثر سلبي خطير على المستويين الفردي والمجتمعي.

فكانت هناك روايات كثيرة وردت في الحثّ على الحجّ وعلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنّ الأخيرة يعدل فضلها فضل الحجّ، وفي بعض الأحيان تفوقه فضلاً، وهذا ما تناوله البحث بشكل مختصر بما يناسب المقام.

ومن الروايات ما ورد على نحو الأفراد، بأنّ الزيارة تعدل عمرة أو حجّة. ومنها ما ورد على نحو التعدّد، بأنّ الزيارة تعدل أكثر من عمرة أو أكثر من حجّة بأعداد مختلفة. كما أنّ أهمّ الرؤى التي يمكن أن تكون داعية إلى مقارنة الزيارة مع الحجّ والعمرة دون العبادات الأخرى كالصلاة والصيام وغيرهما، بُحثت في نقاط، وذلك بالتأمّل في المسألة وفرض مجموعة من الاحتمالات وبما يناسبه المقام، فمنها: أنّ هناك تشابهاً بين الفضائل والآثار المعنوية والمادّية بين الحجّ وزيارة الحسين (عليه السلام)، فقد تجسّدت عقيدة التوحيد في كلتا العبادتين.

والزيارة هي امتداد للحجّ، فهما محلّ اجتماع المسلمين، كما أنّهما متشابهان من جهة كثرة الورد عليهما وتحقّقهما من قبل المؤمنين، مع كثرة الروايات النازرة إلى الحجّ التي يظهر منها أنّه الحجّ المستحبّ دون الواجب، وأنّ الثواب فيها كمّاً وكيفاً له طرق متعدّدة في تحصيله.

إنَّ ما تقدّم ذكر في البحث بحسب الاحتمال وما فهم من الروايات، أمّا ما طابق الواقع فلا يعلمه إلا الله تعالى، ورسوله ﷺ وأهل البيت عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فضل الحجّ، فضل الزيارة، العمرة، روايات أهل البيت عليه السلام، الثواب.

Abstract

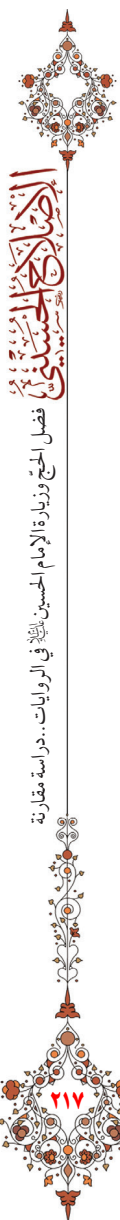
Hajj and Ziyara have close meanings on linguistic and terminological levels that share the same purpose, which is defined by the intention and reason behind certain actions. Therefore, the importance of this study lies in the power of making people initiate actions. Thus, the exhortation of the Holy Islamic Law to perform Hajj and Umrah on one hand, and the appeal to perform Ziyara on the other, reveals the degree of benefits and interests associated with them. Whether on an individual level, or a Muslim societal level. It also warns against the dangers of abstaining from conducting them due to the negative consequences on both personal and societal levels.

Many narrations urge people to perform Hajj, and Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH), stating that the virtue of this Ziyara equals the virtue of Hajj, and might even surpass it. This study briefly deals with these points.

Some narrations indicate that the Ziyara equals a single Umrah or Hajj, and some indicate that Ziyara equals several Umrah or Hajj.

By reflecting on the most important causes for comparing Ziyara with Hajj and Umrah – and not other acts of worship such as prayer and fasting – a set of suitable possibilities is assumed, and several results have been reached. Among them is the resemblance between Hajj and the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) on the level of their moral and material virtues and effects, as the belief of monotheism is embodied in both acts of worship.

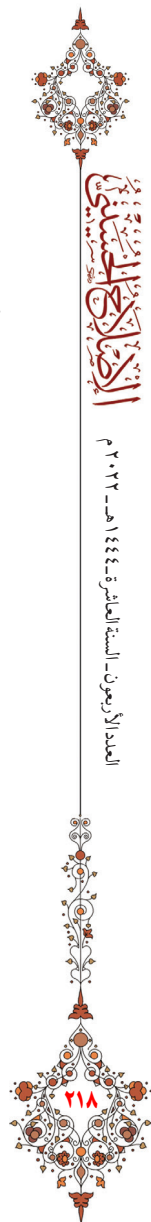
Moreover, the Ziyara is an extension of Hajj, as they both gather Muslims in one place, are similar in abundance of visitors, and are frequently performed by the believers. However, numerous narrations



mentioning the Hajj address the recommended Hajj, not the obligatory one, and state multiple ways of obtaining their respective quantitative and qualitative reward.

The results mentioned in the research are possibility-based and according to the understanding extracted from the narrations. Whether they are completely true, is only for Allah, the Exalted, His Messenger (PBUH&HF) and his Household (PBUT), to know.

Keywords: Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), virtue of Hajj, virtue of the Ziyara, Umrah, narrations of the Household (PBUT), reward.



المقدمة

تشتمل هذه المقدمة التمهيدية للبحث على ثلاث نقاط، هي:

النقطة الأولى: التعريف بمفردات البحث

١- معنى الحجّ

الحجّ لغةً بمعنى القصد، فحجّ إلينا الرجل بمعنى قصد وقدم إلينا، وحجبت فلاناً قصده واعتمدته وزرته، وإذا كان مرّات متعدّدة، يقال: اختلفت إليه^(١). وله معنى آخر وهو الكفّ^(٢).

وأما اصطلاحاً فقد ذكر أنّه عبارة عن: قصد التوجّه إلى بيت الله الحرام للنسك^(٣)، والقيام بالأعمال المشروعة، كالإحرام، والوقوف بعرفات والمشعر، وغيرهما من الأعمال، سواء كانت مشروعيتها على نحو الفرض الواجب، أم على نحو الاستحباب والسنة^(٤).

٢- معنى الزيارة

الزيارة في اللغة هي مصدر من الفعل الماضي: زارَ، بمعنى الميل إلى الشيء، وإتيانه بقصد، والمزار هو مكان وموضع الزيارة^(٥).

وأما اصطلاحاً فالزيارة هي: «قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به»^(٦).

(١) أنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٢٢٦.

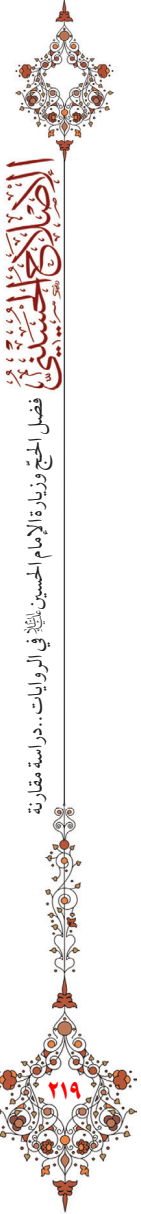
(٢) الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ١، ص ١٨٢.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ١٨٢.

(٤) أنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٢٢٦.

(٥) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٣٥.

(٦) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٠٥.



ومن خلال ما تقدّم نجد أنّ هناك تقارباً في التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردتي (الحجّ) و(الزيارة) الواردتين في عنوان البحث، حيث تلتقيان في القصد والتوجّه نحو المكان المراد، مع قصد الطاعة والتبرّك واستزادة الثواب، فالحجّ يقصد الإنسان من خلاله البيت الحرام والمشاعر المقدّسة بقصد تعظيم شعائر الله تعالى والطاعة وتحصيل الثواب، وهكذا الزيارة فهي القصد والتوجّه نحو المزار بقصد التبرّك والتعظيم.

النقطة الثانية: حدود البحث

يسعى البحث في المقام إلى تقديم الإجابات الوافية عمّا يُطرح في طيّاته من تساؤلات، منها: لماذا اختار الإمام المعصوم عليه السلام الحجّ كمادّة في مجال الحثّ والبعث لزيارة الإمام الحسين عليه السلام؟

وهل أنّ الحجّ هو العبادة الوحيدة التي جعلت مادّة للمقارنة دون العبادات الأخرى، كالصلاة والصيام والزكاة والخمس، والفرائض الأخرى كالجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ومع تسليمنا بوجوب الحجّ وأنّه من الفرائض التي يؤدّي إنكارها إلى الكفر، فكيف تُصبح الزيارة المستحبّة عدلاً لهذا الفرض؟

وهل أنّ الروايات التي دلّ بعضها على أفضلية الزيارة في بعض الموارد كانت بصدد بيان الثواب الجزيل للزيارة، أو أنّها كانت ناظرة إلى المصالح العليا والملاكات الواقعية المترتبة على كلّ من العبادتين؟

يتكفل البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال ما يطرحه من فرضيّات عدّة، يمكن من خلالها أن نفق على عدّة وجوه ونقاط، من شأنها الإجابة عن هذه التساؤلات، أو يمكن أن تكون سبباً لجعل روايات فضل الحجّ والعمرة عدلاً لفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

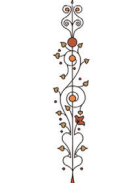
النقطة الثالثة: أهمية الحج والعمرة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام

بما أنّ الله سبحانه وتعالى أراد من عباده الطاعة والتسليم له تعالى، فقد - أصدر بحكم مولويّته - أحكاماً (أوامر ونواهي)، وأوجب على عباده العمل وفق الأوامر والانتها عن النواهي؛ وهذه الأحكام تابعة لملاكات (مصالح ومفاسد) يعلمها الله تعالى، ويعلم بما تؤول إليه عواقبها. ونظراً لتلك الملاكات؛ فإنّ بين الأحكام تفاوتاً في الأهميّة، واختلافاً في وجود المصلحة فيها، فمنها ما يكون ملاكه أقوى من الآخر؛ لذلك يتقدّم الأهمّ ملاكاً ومصلحة على الآخر إذا كان بينهما تراحم في الأداء ومقام الطاعة.

ويتّضح اهتمام الشارع من خلال قوّة البعث والحثّ على تلك العبادات والطاعات، فالتناسب بينهما طردي، أي: كلّما كان البعث نحو الطاعة أكثر والحثّ عليها أشدّ، فإنّه يكشف عن عظم مصلحة هذه الطاعة وملاكها، وبالتالي ترتّب الثواب الجزيل للمطيع، وتوعّد العاصي بالعقاب الشديد.

هذا؛ ويقوم الشارع في بعض الأحيان ببيان ملاك الحكم ومصلحته للمكلّفين؛ لشدّة إرادته وبعثه نحو تحقيق ذلك، ومن هذه العبادات الحجّ والزيارة، فإنّ البعث الشديد من خلال الروايات الواردة فيها وتقديمها على سائر العبادات ومحالّ الطاعات في بعض الظروف والأحيان، يكشف عن عظيم الأهميّة لها؛ وذلك لما تحتويه من مصالح عليها تهّم المسلمين جميعاً، وليس على المستوى الشخصي للمكلّف فقط؛ فإنّها إضافة إلى تأثيرها الشخصي على المستوى الفردي، فإنّ تأثيرها الجمعي أعلى وأكبر.

وهذا ما نجده واضحاً في روايات أهل البيت عليهم السلام، ففي كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له في (نهج البلاغة) يوضح فيها مدى أهميّة عبادة الحجّ وما لها من تأثير على المجتمع والفرد من تغذية روحية للفرد، وقوّة للدين وشوكته، حيث قال عليه السلام:



«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويأهون إليه ولوه الحام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته. واختار من خلقه سمّاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيِّفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائدين حرماً، فرض حجّه، وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١)»^(٢).

فالحجّ والعمرة يمثّلان أعلى مراتب التوحيد لله تعالى، والإخلاص في عبادته، والطاعة والتسليم لأوامره تعالى ونواهيه، فهما من الشعائر الإلهية التي أجزاها الله تعالى على يد النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام اللذين ضربا المثل الأعلى لقيم التوحيد والطاعة والتسليم والفداء والعبادة الخالصة لله تعالى؛ ولهذا جعل الله تلك القيم فرضاً على الناس، ومثلاً يحتذى به، وشعائر خالدة على مرّ الأزمنة والعصور. فكلّ مَنْ يقف تلك المواقف سوف يستلهم تلك القيم التوحيدية، من إخلاص وتضحية وتسليم لله تعالى، وعلى ذلك سار الأنبياء من ولد إبراهيم عليه السلام، كما قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣)، حيث وصلت إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله، وامتدّت من بعده إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام والحسن والحسين وسائر الأئمّة من بعدهم عليهم السلام، فقد ورثوا مبادئ التوحيد لله تعالى، والعبودية الخالصة له، والتسليم له تعالى في أشدّ الظروف وأصعب المواقف، فقد جاء في إحدى زيارات المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِسْمَاعِيلَ ذَبِيحِ اللَّهِ...»^(٤).

(١) آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٧.

(٣) الزخرف: الآية ٢٨.

(٤) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٤٧.

وكما جعل الله تعالى بيته الحرام مهوى لأفئدة الناس استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام، وحثّ الناس نحو الحجّ إليه واعتباره، كذلك جعل الله تعالى قبر الحسين عليه السلام مهوى لأفئدة المؤمنين، وهذا ما ورد - كما سيأتي - على لسان أهل البيت عليهم السلام، فأصبح المقام عنده وزيارة مضجعه الشريف له من الفضل ما يعدل المقام عند بيت الله الحرام. وموضوع التشابه بين الفضائل والآثار المعنوية والمادية بين الحجّ والعمرة وبين زيارة الحسين عليه السلام، ولّد لدى الباحث رغبة في إجراء المقارنة بينهما وذلك في محورين:

المحور الأول: الروايات التي وردت في فضل الزيارة مقارنة بالحجّ والعمرة

إنّ لسان الروايات الشريفة الواردة في فضل زيارة الإمام عليه السلام كانت بصدد المقارنة بين ذلك الفضل وبين ما ورد من فضل الحجّ والعمرة وما لهما من الثواب الجزيل. ويمكننا تقسيم تلك الروايات إلى قسمين، هما:

القسم الأول: الروايات المقارنة بين فضل الزيارة والحجّ والعمرة على نحو الأفراد

- ١- زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل عمرة، فعن محمد بن سنان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «زيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل عمرة مبرورة متقبلة»^(١).
- ٢- زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة وعمرة، فعن عبد الكريم بن حسان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يقال: إنّ زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام تعدل حجة وعمرة؟ فقال: «إنما الحجّ والعمرة هاهنا، ولو أنّ رجلاً أراد الحجّ ولم يتهيأ له فأناه كتب الله له حجة، ولو أنّ رجلاً أراد العمرة ولم يتهيأ له فأناه كتب الله له عمرة»^(٢).
- ٣- زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «زيارة قبر الحسين عليه السلام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبور الشهداء تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٩١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩٣-٢٩٤.



القسم الثاني: الروايات المقارنة بين فضل الزيارة والحج والعمرة بنحو التعدد

١- عن بشير الدهان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ربما فاتني الحج فأعرف عند قبر الحسين عليه السلام، قال: أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجة مع نبي مرسل أو إمام عادل. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة ومئة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل. قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إليّ شبه المغضب، ثم قال: يا بشير، إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل في الفرات، ثم توجه إليه، كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها، ولا أعلمه إلا قال: وغزوة»^(١).

٢- عن بشير الدهان، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة وألف غزوة مع نبي مرسل، ومن زاره أول يوم من رجب غفر الله له البتة»^(٢).

٣- عن بشير الدهان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أيما مؤمن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير عيد ولا عرفة، كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبّلات، وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل»^(٣).

٤- عن أبي سعيد المدائني، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: «جعلت فداك، آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم يا أبا سعيد، أتت قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أطيّب الطيبين وأطهر الطاهرين وأبرّ الأبرار، فإذا زرته كُتِبَ لك اثنتان وعشرون عمرة»^(٤).

٥- عن يزيد بن عبد الملك، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرّ قوم على حمير،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٠.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٤٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٩١.

فقال: «أين يُريد هؤلاء؟ قلت: قبور الشهداء. قال: فما يمنعهم من زيارة الشهيد الغريب؟ قال: فقال له رجل من العراق: وزيارته واجبة؟ قال: زيارته خير من حجة وعمره، حتى عدّ عشرين حجة وعمره، ثم قال: مبرورات متقبّلات. قال: فوالله ما قمت حتى أتاه رجل فقال له: إنّي قد حججت تسع عشرة حجة، فادعُ الله لي أن يرزقني تمام العشرين. قال: فهل زرت قبر الحسين عليه السلام؟ قال: لا. قال: إنّ زيارته خير من عشرين حجة»^(١).

٦- عن أبي سعيد المدائني، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: «جُعِلَتْ فداك، آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم يا أبا سعيد، أتت قبر الحسين ابن رسول الله ﷺ أطيب الأَطْيَبِينَ وأطهر الطاهرين وأبرّ الأبرار، فإنّك إذا زرتَه كتب الله لك به خمسة وعشرين حجة»^(٢).

٧- عن حذيفة بن منصور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كم حججت؟ قلت: تسعة عشر. قال: فقال: أما إنّك لو أتممت إحدى وعشرين حجة لكنت كمن زار الحسين عليه السلام»^(٣).

٨- عن مالك بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَن زار الحسين عليه السلام كتب الله له ثمانين حجة مبرورة»^(٤).

٩- عن صالح النيلي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كان كمن حجّ مئة حجة مع رسول الله ﷺ»^(٥).

١٠- عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: «ما لمن

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقه غير مستكبر ولا مستنكف؟ قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيماً كُتِبَ سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل»^(١).

المحور الثاني: رؤى في تحليل الروايات الشريفة المتقدمة

من خلال قراءة عدد من الروايات التي تناولها البحث في المحور السابق، والتي تضمنت حثَّ المعصوم عليه السلام على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ فضلها كبير يعادل أو يفوق فضل الحجِّ في بعض الظروف، يمكننا الوقوف على الوجوه التالية التي يمكن من خلالها تصوّر السبب وراء جعل كلِّ حجِّ بيت الله الحرام وزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام مادةً للمقارنة، وكيفية المفاضلة فيما بينهما:

أولاً: التشابه بين الفضائل والآثار المعنوية والمادية للحجِّ والعمرة وزيارته الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ هنالك تشابهاً بين الفضائل والآثار المعنوية والمادية للحجِّ والعمرة ولزيارة الحسين عليه السلام، حيث نشير إلى أهمِّ تلك الآثار ومصادرها الروائية بما يناسب مقام البحث من دون ذكر الرواية نفسها؛ طلباً للاختصار:

أ) إنَّ أهمِّ الفضائل والآثار المعنوية والمادية التي يصيها الحاجُّ والمعتمر بحسب ما ورد في الروايات، يمكن تصنيفها إلى ما يندرج تحت الآثار المعنوية والأخرى التي يحصل عليها الحاجُّ والمعتمر لبيت الله الحرام، وهي: وجوب الجنة، استئناف العمل من جديد، العتق من النار، غفران الذنوب، الخروج من الذنوب كيوم ولدته أمُّه، الحاجُّ أو المعتمر في ضمان الله إن أبقاه أدَّاه إلى عياله وإن أماته أدخله الجنة، إجابة الدعوة، الشفاعة له إن شفع لأحد، رضا أهل التبعات عنه، دفع ميتة السوء، غفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخر، الوقاية من عذاب القبر، أمن من الفرع الأكبر يوم القيامة، دعوة الملائكة له إذا تخلف عن الحجِّ^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٧.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٢٥٢-٢٦٤.

أما ما يندرج تحت الآثار والفضائل المادّية والدينيّة التي يصيها الحاجّ والمعتمر، فمنها: صحّة الأبدان، سعة الأرزاق، كفاف مؤونة العيال، الحفظ في الأهل والمال، كثرة المال، لا يحالف الفقر والحمى، نفي الفقر، العوض بالمال الدرهم بألف^(١).

ب) وكما تقدّم في الحجّ والعمرة؛ فإنّ زيارة قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام - كما ورد في الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليه السلام - لها كذلك مجموعة آثار وفضائل معنوية ومادّية.

أما الآثار المعنوية والأخروية، فمنها: غفران الذنوب، رفع الدرجات، رضا الله عنه، دعاء النبي محمد ﷺ ودعاء أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام له، كون الزائر في كرامة الله عزّ وجلّ، حرمة غيبته، حرمة لحمه على النار، لم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه وأجابه فيه، إمّا أن يعجّله وإمّا أن يؤخّره له، الكون في جوار النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، دخول الجنّة قبل الناس، يغفر له ذنوب خمسين سنة، يرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلاّ وقد محيت من صحيفته، أفضل ما يكون من الأعمال، زيارة الله في عرشه وزيارة رسوله، الكون في أعلى عليّين، زيارته عليه السلام تحطّ الذنوب، تعدل عتق الرقاب، وزوّاره عليه السلام مشفّعون^(٢).

أما الآثار المادّية والدينيّة؛ فمنها: الدرهم بألف درهم، لمن جهّزه إليه يعطيه بكلّ درهم أنفقه مثل جبل أحد من الحسنات، يُخلف عليه أضعاف ما أنفق، يُصرف عنه البلاء، يُحفظ في ماله، يجلب الرزق على العبد، الحفظ في النفس والأهل، أيام الزيارة لا تُعدّ من العمر، زيادة الرزق والعمر، تنفيس الكرب، قضاء الحوائج^(٣).

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥٢، وص ٢٥٥.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٤٥-٣٠٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣٩، وص ٢٤٠، وص ٢٤٦، وص ٢٦٠، وص ٢٨٥، وص ٣١٢.



ثانياً: فضائل الحج والعمرة كثيرة بالقياس إلى سائر العبادات الأخرى ومحال الطاعة

إنَّ فضائل الحج والعمرة كثيرة بالقياس إلى سائر العبادات الأخرى ومحال الطاعة، وفي ذات الصدد نجد أنَّ الروايات الشريفة بيَّنت أنَّ فضل الزيارة يصل إلى مستويات عالية جداً حتَّى أنَّه يفوق فضل الحج والعمرة مع ما به من فضل كبير. وهذا أسلوب من أساليب الحثِّ والبعث بشدَّة نحو أمر مهمٍّ؛ فإنَّ بيان فضيلة ما تتعلَّق بفعل من الأفعال يعطي زخماً كبيراً وواسعاً من الحثِّ والبعث، ثمَّ إنَّه بالانتقال إلى بيان فضيلة عمل آخر والمساواة بين الفضيلتين أو الترقِّي بفضيلة العمل الثاني أكثر من الأوَّل، يوقع المتلقِّي في حيرة وتعجُّب ممَّا سمع، ويثار بذلك انتباه السائل أو المتلقِّي الذي ربَّما لم يكن ملتفتاً إلى هذا الأمر، وهذا ما يسمَّى بـ: (العصف الذهني)، وهو أسلوب من أساليب التعليم الذي يضع السائل في حالة من الجاهزية والترقُّب لما سيأتي، باعثاً له نحو العمل بشدَّة وشوق.

وهذا الأسلوب بدا واضحاً في الروايات التي تحدَّثت عن فضل الزيارة على الحج أو كونها عدلاً له، فترى السائل أو المتلقِّي سأل الإمام متعجباً (حجَّة وعمرة؟!)، والإمام عليه السلام يجيب بنعم، أو يترقَّى إلى أكثر من ذلك فيجعل الزيارة تعدل حجَّتين أو ثلاث... أو مئة، وأحياناً يترقَّى أكثر من ذلك فيجعل زيارته عليه السلام بمنزلة الحج مع رسول الله ﷺ، ولعله عليه السلام يريد بذلك البعث الشديد نحو الزيارة.

وعلاوة على ما تقدَّم من روايات؛ نذكر للقارئ الكريم هذه الرواية التي هي عن أبي عبد الله عليه السلام، والتي قال فيها: «كان الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم في حجر النبي ﷺ يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما أشدَّ إعجابك بهذا الصبي؟! فقال لها: ويلك، وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرَّة عيني؟! أما إنَّ أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجَّة من حججتي. قالت: يا رسول الله، حجَّة

من حججك؟! قال: نعم، وحجتين من حججي. قالت: يا رسول الله، حجتين من حججك؟! قال: نعم، وأربعة. قال: فلم تزل تزاذه ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله ﷺ بأعمارها»^(١).

وغير ذلك الكثير من الروايات التي وردت بهذا الأسلوب، حيث ترى السائل يقع متحيراً ومتعجباً من كثرة ما سمعه من النبي أو الإمام عليهما السلام، فيكون ذلك باعثاً له نحو الزيارة بشدة، حتى أنّ أحدهم يتمنى زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام بدل ذهابه إلى الحج، فعن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقبل لي: أدخل، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول: «اللهم يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة، ووعَدَنَا بالشفاعة، وخصَّنَا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أئمة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا... فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك، لو أنّ هذا الدعاء الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عز وجل لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنّيت أنّي كنت زرتة ولم أحجّ. فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنعك من زيارته؟! ثم قال: يا معاوية، ولم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك، لم أدر أنّ الأمر يبلغ هذا كله. فقال: يا معاوية، مَنْ يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض»^(٢).

ثالثاً: تجسيد عقيدة التوحيد في الحج والزيارة

تجسّدت عقيدة التوحيد في كلتا العبادتين، فعبادة الحج تحتوي على مضامين توحيدية لله تعالى وإخلاص له سبحانه وتعالى، تضمّنتها أعمال الحج، من

(١) المصدر السابق: ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٩.

الإحرام وواجباته، من نيّة خالصة لله وتلبية (لبيك اللهم لبك)؛ استجابة للنداء الإلهي: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١)، وإلى أمره عزّ وجلّ بالطواف: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٢)، والسعي: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٣)، وإلى سائر الأعمال، كالوقوف في عرفة والمشعر، وأعمال منى، ففي كلّ ذلك تجسيداً لعقيدة التوحيد.

وأما الزيارة فهي تحمل المعنى ذاته؛ حيث تتجلى فيها عقيدة التوحيد ومظاهره، والإخلاص لله والتسليم له، والتفاني في طاعته، وذلك في نصوصها وعباراتها بشكل واضح، كمظهر خلافة الله في الأرض: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...»^(٤). ومظهر الدعوى إلى الله وحده: «لبيك داعي الله»^(٥). ومظهر الخشية من الله وحده: «ولم تحشّ أحداً غيره»^(٦). ومظهر الحاكمية لله وحده: «وأشهد أنّ دعوتك حقّ، وكلّ داعٍ منصوب غيرك فهو باطل مدحوض»^(٧). ومظهر الإخلاص لله تعالى: «ولم تجب إلّا الله وحده»^(٨).

وغير ذلك من مظاهر التوحيد التي جسّدها الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فإنّ من يأتي إلى الزيارة سوف يقف على تلك المظاهر التوحيدية التي جعلت من فضائل الزيارة أن تُعدّ عدلاً أو تزيد على فضائل الحجّ والعمرة في بعض الأحيان والظروف.

(١) آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) الحجّ: الآية ٢٩.

(٣) البقرة: الآية ١٥٨.

(٤) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٣٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٦٤٣.

(٦) ابن قولويه: جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٣٦٩.

(٧) المصدر السابق: ص ٣٧٢.

(٨) المصدر السابق: ص ٤٠٩.

رابعاً: الزيارة امتداد للحج

الزيارة امتداد للحج، فلا تعني مواجهة الحج، حيث تأخذ الزيارة قدسيّتها وشرفها من المزور، فالإمام الحسين عليه السلام بتلك النهضة، يُعدّ امتداداً للتضحية والفداء، وللنهضة الإبراهيمية التي تضمّنتها عبادة الحج، فهو عليه السلام وارث تلك النهضة والرسالة المباركة، كما نقول ذلك في زيارته: «السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله»^(١)، وهذه الوراثة أقرّها القرآن الكريم من قبل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقد ورد في رواية أنّ الذبيح العظيم في قصّة ذبح النبي إسماعيل عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام، فعن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمّنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، مَنْ أَحَبَّ خَلْقِي إِلَيْكَ؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد ﷺ... قال [عزّ وجلّ]: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديتُ جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبتُ لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)»^(٤).

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٤٧.

(٢) آل عمران: الآية ٦٨.

(٣) الصافات: الآية ١٠٧.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٥٩.

والفداء كان لإسماعيل عليه السلام من أحفاده، فلو ذُبح عليه السلام لانقطعت سلسلة النبوة، ولم يوجد نبينا، وكذا سائر الأئمة وسائر الأنبياء من ولد إسماعيل عليه السلام، فكأنه عوض عن ذبح الكل وعدم وجودهم بالكلية بذبح واحد من الأجزاء بخصوصه، ولا شك في أن مرتبة كل السلسلة أعظم وأجل من مرتبة الجزء بخصوصه^(١)، فالحج يحاكي المسيرة الإبراهيمية التي تضمنت الطاعة والتضحية والفداء والتسليم لأمر الله تعالى، وقد جسّد ذلك الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عندما قدّم جميع أولاده حتّى الرضيع منهم وإخوانه وأهل بيته وأصحابه قرايين لله تعالى، هذه هي الروح التي أرادها الله تعالى في الحج.

خامساً: الحجّ والزّيارة محلّ لاجتماع المسلمين

إنّ الحجّ محلّ اجتماع المسلمين، وفي ذلك تقوية للدين وإظهار لقوّة الإسلام وثباته، حيث يتجمّع المسلمون من جميع بقاع المعمورة من مختلف الأجناس واللغات والألوان والأعراف والأنساب، في زمان واحد ومكان واحد، وهذا ممّا يبعث برسالة إلى الذين يتربّصون بالدين العداء، بأنّ الدين قويّ ثابت متماسك موحد. وكذلك يُعدّ هذا التجمّع محلّ تعارف بين المسلمين وتبادل أفكار ورؤى بين مختلف الثقافات، وهذا ما نجده واضحاً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيحاً للرزق، والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، والحجّ تقربة للدين»^(٢)». ^(٣)

وقريب من هذا المعنى ما ورد في خطبة الزهراء عليها السلام في مقام بيانها لفلسفة علّة

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٢٦

(٢) «أي: سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض؛ إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد. وفي نسخة: تقوية. فإنّ تجديد الألفة بين المسلمين في كلّ عام بالاجتماع والتعارف ممّا يقوّي الإسلام». محمّد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق.



الأحكام الشرعية: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين»^(١). فتشيد الدين ورص بنيانه يكون باجتماع أهله وتوحدهم وإظهار تماسكهم وقوتهم، وهذا ما يبعث برسالة إلى المتربصين لإيقاع الشر بهم والنيل منهم، بأن هذا الدين قائم وعزيز لا يمكن النيل منه ومن أهله، كما ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(٢).

وهذا ما نجده يتحقق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام فيقصد زيارته الجميع من مختلف الأجناس والأعراف واللغات والألوان، خصوصاً ما نراه واضحاً في الزيارة الأربعينية من تجمع مليوني يربو على تجمع الحج بأضعاف العدد، وهذا يُعد تشييداً للدين وقوة لا يمكن مواجهتها ومنعها بشتى الطرق، ومهما اجتهد العدو في ذلك، حتى وإن عمد إلى استخدام أرخص الأساليب وأخسها للنيل منها، بإطلاق الإشاعات والدعايات المغرضة تجاه هذه المسيرة الإلهية التي تتضاعف في كل عام، فتكثر السواد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام - إذأ - هو تقوية للدين وتشيد وتعظيم له ولشعائر الله تعالى كما كان ذلك في الحج والعمرة.

سادساً: التفضيل بين الحج المستحب والزيارة

لم يكن تفضيل الإمام عليه السلام في بعض الروايات للزيارة ناظراً فيه إلى تفضيلها على الحج الواجب (حجة الإسلام)، وإنما كانت الروايات ناظرة إلى الحج المستحب والعمرة المستحبة دون الواجب كما مر في الرواية المروية عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الزيارة إلى قبر الحسين عليه السلام حجة، وبعد الحجة حجة وعمرة بعد حجة الإسلام»^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٢٢٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٢٧١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٩.



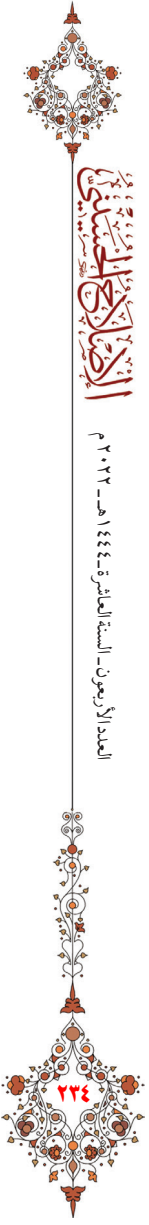
أو أنّه ﷺ ناظر إلى جعل الزيارة عوض الحجّ لمن لا يستطيع الحجّ في عامه، حيث لم يكن الحجّ متاحاً لكلّ الناس وإنّما يُحدّد بعدد معيّن، خصوصاً في العصور المتأخّرة، وكذلك تكون الزيارة في كثير من الأحيان أقلّ مؤونة من الحجّ من حيث المال وعدد أيام الإقامة، ولا توجد فيها كلفة بعض الأعمال مثل ذبح الهدي وغيرها من الأعمال التي توجب البذل المالي، فجعل الإمام ﷺ الزيارة عوضاً لمن فاتته الحجّ في عامه؛ لكيلا يُحرم الطاعة والعبادة لله تعالى، ويكون دائماً في حال طاعة وتوجّه لله تعالى، فعن يونس، عن الرضا ﷺ، قال: «مَنْ زار قبر الحسين ﷺ فقد حجّ واعتمر. قال: قلت: يُطرح عنه حجة الإسلام؟ قال: لا، هي حجة الضعيف حتّى يقوى ويحجّ إلى بيت الله الحرام...»^(١).

وعليه؛ فمن خلال ما تقدّم يتّضح أنّ المراد هو الحجّ المستحبّ؛ لأنّ الواجب أقوى ملاكاً ومصلحة من المستحبّات الأخرى التي تتزاحم معه. نعم، قد يكون في بعض الأحيان الأمر المستحبّ ملاكه ومصلحته أعظم بالنظر إلى المصالح العليا للشريعة المقدّسة، كما في مسألة تحية الإسلام (السلام عليكم...)، فإنّ ابتداءه مستحبّ وردّه واجب، في حين أنّ الثواب الأكثر لمن ألقى السلام مع أنّه مستحبّ.

وهذا الأمر ليس منحصراً عند أتباع أهل البيت ﷺ، فقد ذهب إليه بعض علماء الجمهور من المسلمين، وهو الصنهاجي القرافي، حيث ذكر في معرض كلامه عن الفرق بين قاعدة المندوب الذي لا يقدّم على الواجب، وقاعدة المندوب الذي يقدّم على الواجب ما نصّه: «إنّ المندوبات قسمان: قسم تقصر مصلحته عن مصلحة الواجب، وهذا هو الغالب... ثمّ أنّه قد وُجد في الشريعة مندوبات أفضل من الواجبات، وثوابها أعظم من ثواب الواجبات، وذلك يدلّ على أنّ مصالحها أعظم من مصالح الواجبات؛ لأنّ الأصل في كثرة الثواب وقلّته كثرة المصالح وقلّتها»^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ٤٠.

(٢) الصنهاجي القرافي، أحمد بن إدريس، كتاب الفروق (أنوار البروق من أنواء الفروق): ج ٢، ص ٢٣٥.



سابعاً : اقتران السفر للحجّ والزيارة بالمشقة والتعب والكلفة

إنّ السفر للحجّ والزيارة دائماً يقتضي المشقة والتعب والكلفة، حيث يتضمّن المشقة البدنية والكلفة المالية، وما يتبع ذلك من البُعد عن الأهل والأوطان، وترك الأعمال اليومية والوظيفية ومقتضيات المعيشة، وتحمل مشاق الطريق وخطورته وبُعد المسافة، ومواجهة الظروف الجغرافية والجوية، وغير ذلك من أمور يقتضيها السفر، فليس الحجّ والزيارة كباقي العبادات، من قبيل الصلاة التي لا تحتاج إلى مقتضيات السفر ولوازمه، وكذلك الصوم، والفرائض الأخرى التي ليس لها مؤونة سوى أدائها، فمن يريد أداء عبادة الحجّ فعليه السفر وتهيئة مقدّماته من زاد وراحلة ونحو ذلك، وهكذا في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنّها تقتضي تلك اللوازم أيضاً.

وبهذا اللحاظ يمكن ملاحظة الروايات التي جعلت الحجّ مادّة للمقارنة في الحثّ على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فكأنّها تريد القول: إنّ الثواب المترتب على تحمل مشقة سفر الزيارة وما يتبعه من مشقة لا يقل، بل يزيد في بعض الأحيان على تحمل ثواب السفر للحجّ.

ثامناً : التشابه بين الحجّ والزيارة في إكرام الضيوف

إنّ ثمة تشابهاً بين الحجّ والزيارة من جهة إكرام وفودهما؛ فإنّ من الأمور التي يمكن ملاحظتها في الحجّ منذ زمنه الأوّل وإلى هذا الزمان، هي قضية إطعام الحجاج وسقيا زمزم، فكانت العرب قبل الإسلام تتنافس فيما بينها على شرف إطعام الحجاج، وسقيا الماء لهم، وكانوا يتفاخرون بذلك حتّى بعد دخولهم في الإسلام، قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾^(١).

هذا؛ وأنّ كثيراً من الروايات حثّت على ذلك، وأجزلت الثواب لمن قام بهذا

(١) التوبة: الآية ١٩.

الفعل، وخدمة الحجاج، بتوفير مقتضيات المسافرين من إقامة وزاد وسقيا. وهذا المعنى يتجلى واضحاً عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام وما يقوم به أهل مدينة كربلاء وأهل المدن الأخرى التي تقع على طريق الزيارة من بذل وعطاء منقطع النظير مدة أيام وأسابيع، بل بعض الناس يعرض هذه الخدمة طول أيام السنة، وهذا الأمر قد فاق - على ما نراه - ما يُبذل في الحجّ بأضعاف مضاعفة من دون تمييز بين الزوّار بعرق أو لسان أو لون أو منصب أو مركز اجتماعي أو ديني، فكلّهم سواسية تحت عنوان زوّار الإمام الحسين عليه السلام.

تاسعاً: تفضيل الزيارة على بعض العبادات الأخرى

لم تقتصر الروايات على تفضيل الزيارة على الحجّ فقط، ولم يكن الحجّ العبادة الوحيدة التي جعلت مادة للمقارنة بينها وبين الزيارة، فهناك روايات فضّلت الزيارة على بعض الأعمال العبادية، مثل الصوم والجهاد والصدقة، وهذا ما تناوله عدد من الروايات، نذكر بعضها مع الاختصار على محلّ الشاهد.

فمنها: ما عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مَنْ أتاه تشوّقاً كتب الله له ألف حجة مقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله...»^(١).

ومنها: ما عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سألته عن زيارة قبر الحسين عليه السلام، قال [عليه السلام]: إنه أفضل ما يكون من الأعمال»^(٢). وبتعبير آخر: أحبّ الأعمال إلى الله كما في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى زيارة قبر الحسين عليه السلام»^(٣).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٧.

ومنها: ما عن بشير الدهان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أيُّها مؤمن زار الحسين بن علي عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كُتبت له عشرون حجة وعشرون عمرة مبرورات متقبّلات، وعشرون غزوة مع نبيٍّ مرسل أو إمام عادل»^(١).

عاشراً: زيارة الإمام الحسين عليه السلام عدل الحجّ

إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست العبادة الوحيدة التي جعلتها الروايات عدلاً للحجّ أو فضّلت عليه في روايات أخرى، فهناك عبادات أخرى فضّلت على الحجّ، منها: ما عن أبي جعفر عليه السلام قال: «زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبور الشهداء وزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى زيارة قبر الحسين عليه السلام، وأفضل الأعمال عند الله إدخال السرور على المؤمن، وأقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد باكٍ»^(٣).

وهذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص وأحوالهم، والموارد المؤثّرة والمصالح المترتبة على ذلك، فكما أنّ هنالك عبادات وأعمالاً يكون فضلها أعلى من فضل الحجّ المستحبّ، «فهناك روايات كثيرة تدلّ على أفضلية زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولعلّ الأمر يختلف باختلاف الظروف والأحوال»^(٤).

كما نُقل: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة لأوّل وقتها. وسئل أيضاً: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: برّ الوالدين. وسئل: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: حجّ مبرور. فخصّ كلّ سائل بما يليق بحاله من الأعمال، فيقال: كان السائل الأوّل عاجزاً

(١) الصدوق، محمّد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٨٩.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر محمّد، كامل الزيارات: ص ٢٧٧.

(٤) أنظر: السيستاني، علي، مناسك الحجّ وملحقاتها: ص ٢٢٣.



عن الحجّ ولم يكن له والدان، فكان الأفضل بحسب حاله الصلاة، والثاني كان له والدان محتاجان إلى برّه فكان الأفضل له ذلك»^(١).

ولا يقتصر هذا الأمر عند الفقه الإمامي فقط، وإنّما ذهب عدد من علماء الجمهور إلى تفضيل بعض العبادات أو أعمال أخرى أو أوقات معيّنة على الحجّ، فهذا الطبراني ينقل في معجمه الكبير عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [واله] وسلّم: «مَنْ صَلَّى صلاة الغداة في جماعة، ثمّ جلس يذكر الله حتّى تطلع الشمس، ثمّ قام فركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمره»^(٢).

وكذلك المتقي الهندي ينقل عن «مطر، عن الحسن، عن أبي الوقاص، قال: سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهم فيها بين الأذان والإقامة كالمتشحّط في دمه في سبيل الله. قال: وقال عبد الله بن مسعود: لو كنت مؤذناً ما باليت ألاّ أحجّ ولا أعتمر ولا أجاهد»^(٣).

كما نقل العجلوني الجراحي أنّ ابن جماعة روى في منسكه الكبير عن النبي صلّى الله عليه [واله] وسلّم أنّه قال: «ردّ دائق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة»^(٤). إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات الكثيرة في كتب علماء الجمهور من سائر المذاهب الأخرى.

حادي عشر: التشابه بين الزيارة والحجّ من جهة كثرة الورود عليها من قبل المؤمنين

هنالك تشابه بين الزيارة والحجّ من جهة كثرة الورود عليها من قبل المؤمنين، وكذلك الزحام واشتداد التدافع عند أدائها، وهذا ما نراه في الحجّ عند المشاعر

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٢٩.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٨، ص ١٧٨.

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ج ٨، ص ٣٣٨.

(٤) العجلوني الجراحي، إسماعيل بن محمّد، كشف الخفاء: ج ١، ص ٤٢٨.



المقدّسة في عرفة أو المشعر أو في منى أثناء رمي الجمار، وفي مكّة عند الطواف والسعي، ومن أسباب ذلك سمّيت مكّة ببيكة؛ «لأنّ الناس يبكّ بعضهم بعضاً في الطواف، أي: يزاحم ويدافع. وفي الحديث إنّما سمّيت مكّة ببيكة؛ لأنّها تبكّ فيها الرجال والنساء»^(١). واشتداد الزحام والتدافع لا نراه في غير هاتين العبادتين - الحجّ والزيارة - فعلى مدار السنة نشاهد الزحام والتدافع موجوداً في بيت الله الحرام أثناء الطواف والسعي، وكذلك حول الروضة الطاهرة للنبي ﷺ، والمراقد المقدّسة لأهل البيت  عند سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين . ولعلّ هذا الوجه من التشابه بين الحجّ والزيارة جعلهما مادّة للمقارنة.

ثاني عشر: الثواب على الحجّ والزيارة كمّاً وكيفاً وبطرق متعدّدة

من الممكن أن يجعل الله تعالى ثواباً واحداً، ويجعل الطرق إليه متعدّدة، فتارة يُثاب بالحجّ والعمرة، وأخرى بزيارة الإمام الحسين ، ولا تنافي بين الطرفين، فهذا المقدار من الأجر يمكن أن يحصل من خلال الحجّ والعمرة، أو من خلال الزيارة، والجمع بين الطريقتين خير على خير، فعبادة الله سبحانه وتعالى لها طرق متعدّدة، وطاعته لازمة على الجميع، وهو ما حكم به العقل من باب شكر المنعم، وقد جعل الله تعالى لهذه الطاعة وهذا الإلزام طرقاً مختلفة، وفي مقابل ذلك جعل أجراً وثواباً وعطاءً في قبال الطاعة، وعقوبة لمن خالف وعصى، فالأسباب إلى الله تعالى وطرق طاعته متعدّدة، كما قيل: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»^(٢).

هذا؛ ولعلّه في التأمل نجد وجوهاً أخرى يمكن تحصيلها من خلال تحليل الروايات الشريفة، لكن نكتفي بما يناسب المقام وغرض البحث، علماً أنّ جميع هذه الوجوه التي عرضناها هي مجرّد احتمالات، أمّا المراد الجدّي المطابق للواقع فعلمه

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٣٧.

عند أهلهم، وهم الله تعالى ورسوله والراسخون في العلم من أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم أجمعين).

الخاتمة

يمكننا في هذه الخاتمة أن نوجز النتائج التالية التي توصلنا إليها في الصفحات المتقدمة من هذا البحث:

١. كانت المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفردتين البارزتين في عنوان البحث (الحجّ، الزيارة) متقاربة، فالحجّ معناه اللغوي القصد، واصطلاحاً هو القصد والتوجّه إلى بيت الله الحرام لأداء النُسك، أمّا الزيارة فالمعنى اللغوي لها هو الإتيان بقصد التبرّك، واصطلاحاً عُرِّفَتْ بأنّها قصد المزور للتبرّك والتكريم والاستعظام.

٢. بحثنا عبارة عن تقديم الإجابة عن مجموعة تساؤلات، من قبيل: لماذا اختار المعصوم عليه السلام فضائل الحجّ مادّة للمقارنة بينها وبين فضائل الزيارة؟ وهل الحجّ العبادة الوحيدة التي كانت محور المقارنة؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تكفل البحث الإجابة عنها عند عرضه لفرضيات عدّة وقفنا فيها على عدّة وجوه ونقاط من شأنها بيان السبب الكامن وراء الحديث في الروايات عن فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام مقارنة مع فضل الحجّ والعمرة.

٣. تحظى كلّ من فريضتي الحجّ والعمرة، وشعيرة زيارة الإمام الحسين عليه السلام بأهميّة واضحة، فهما يختلفان عن سائر العبادات من حيث شدّة الحثّ عليهما، وتأثيرهما على المستوى الشخصي للمكلّف والجمعي للدين ككلّ، من حيث تقوية شوكته وتثبيت ركائزه.

٤. توجد روايات متعدّدة قارنت بين فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضل الحجّ والعمرة، سواء على نحو الأفراد، أي: إنّ الزيارة المذكورة تعدل حجة أو عمرة، أم على نحو التعدّد، مع اختلاف لسان الروايات في تحديد المقدار بين العشرين حجة وعمرة، أو اثنتين وعشرين، أو الثمانين، أو المئة، ونحو ذلك.

٥. عرضت رؤى عديدة في مقام تحليل الروايات التي قارنت بين فضل زيارة المولى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وفضل الحج والعمرة، منها: أنّ هناك تشابهاً بين الفضائل والآثار المعنوية والمادّية للحج والعمرة وبينها لزيارة الحسين (عليه السلام)، ممّا جعلها مادّة للمقارنة.

ومنها أيضاً: أنّ المقارنة بين الزيارة والحج والعمرة مع ما تتمتع به فريضة الحج من كونها ذات فضيلة كبيرة بالقياس إلى سائر العبادات الأخرى، هو من أساليب الحث والبعث بشدّة نحو أمر مهمّ.

ومنها كذلك: أنّ كلتا العبادتين قد جسّدتا عقيدة التوحيد، أو أنّ الزيارة هي امتداد للحج، ونحو ذلك من الوجوه التي أوصلناها إلى اثني عشر وجهاً.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣. تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية.

٤. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ. ش.

٥. الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الشيخ الصدوق



- (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.
- ٦ . القاموس المحيط، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ).
- ٧ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تعليق: علي أكبر الغفاري.
- ٨ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٩ . كتاب الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي (ت ٦٨٤هـ).
- ١٠ . كشف الخفاء، إسماعيل بن محمّد العجلوني الجّراحي (ت ١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١١ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسّسة الرسالة.
- ١٢ . لسان العرب، أبو الفضل محمّد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، ١٤٠٥هـ.
- ١٣ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ١٤ . المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: أحمد بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية.
- ١٥ . مناسك الحجّ وملحقاتها، السيّد علي السيستاني.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتحصيل المغفرة

محسن حيدر الأسدي

ماجستير في الفقه والأصول / جامعة المصطفى العالمية، من العراق

Visiting Imam al-Husayn (PBUH) and Obtaining Forgiveness

Muhsen Haidar al-Asadi

Master's degree in Jurisprudence and Principles,
al-Mustafa International University, from Iraq

ملخص البحث

يتناول البحث بعض حقوق أهل البيت عليه السلام التي من أبرزها زيارتهم وتعاهد قبورهم، وكذلك بيان استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضلها من خلال ذكر بعض الروايات في ذلك. وهذه الروايات تارة تذكر الفضل من حيث بيان مقدار الأجر والثواب الذي يحصل عليه الزائر، وأخرى من حيث بيان الأيام والأوقات التي تُستحب فيها زيارته.

كما سيُبين البحث وسائل تحصيل المغفرة وطرقها التي منها ترك الذنوب الكبيرة، فتكون طريقاً إلى غفران الذنوب الصغيرة. ومن تلك الطرق الأدعية والمناجاة؛ باعتبارها أسلوباً متبعاً عند الأئمة عليهم السلام في طلب غفران الذنوب. ومن تلك الطرق كذلك زيارات أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهي بنفسها تعدّ من العوامل المؤثرة في غفران الذنوب. كما تطرّق إلى الإجابة عن إشكال حاصله: كيف يكون عمل ما مؤثراً في غفران الذنوب الكثيرة أو الكبيرة مع أنّ ذلك العمل يُعدّ قليلاً، كالزيارة التي ربّما لا تكون فيها مشقة يُعتدّ بها؟

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة، الاستحباب، المغفرة، الذنوب، النصوص، الآثار.



Abstract

This study discusses some of the rights of the Household (PBUT), the most prominent of which are visiting them and frequently going to their graves (Ziyara). It also explains the virtue and recommendation of conducting Ziyara to Imam al-Husayn (PBUH), by mentioning related narrations. These narrations sometimes portray the virtue by mentioning the amount of reward the visitor receives, or by presenting the days and periods in which it is recommended to visit the Imam (PBUH).

The research will also explain the means and methods through which forgiveness can be obtained, such as avoiding major sins; a method that paves the way for the forgiveness of minor sins. Supplications and *Munajat* (intimate supplications) are another method followed by the Imams (PBUT) in asking for forgiveness of sins. Ziyara to the Household (PBUT) and Imam al-Husayn (PBUH) are also considered one of the factors leading to the forgiveness of sins. The following question will also be addressed in this study: how can a single act – even if small, such as a visit that may not involve much hardship – have an effective role in the forgiveness of sins, even if the sins are many or major?

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara, recommendation, forgiveness, sins, texts, effects.

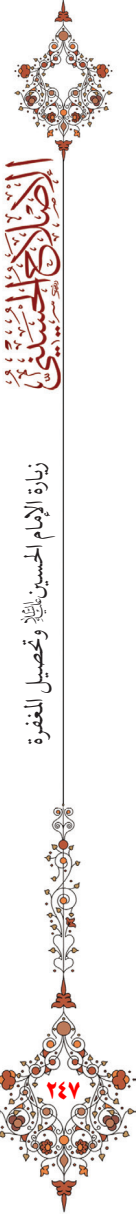
المقدمة

إنَّ المتَّبِعَ لأخبار أهل البيت عليه السلام الواردة في استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، يجد فيها الكثير من الآثار الدنيوية والأخروية التي تعود بالنفع على الزائر لمشهده الشريف. وحصول المغفرة للزائر إحدى تلك الآثار التي تلازم فعل الزيارة. من هنا؛ عقدنا هذا البحث لبيان أنَّ واحداً من طرق تحصيل المغفرة - وهي كثيرة - هو فعل زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنَّ الوارد في الروايات - كما سوف يتَّضح خلال البحث - أنَّ زيارته عليه السلام من العوامل الفاعلة والمؤثرة في غفران الذنوب. وقد تشكَّل البحث في ذلك من ثلاثة مباحث، كان الأوَّل منها في حقوق أهل البيت عليه السلام، وهو أشبه بمبحث تمهيدي ذكر حقَّين مهمَّين من حقوقهم عليه السلام، أوَّلها في مودَّتهم عليه السلام، والآخر في مولاتهم عليه السلام. أمَّا المبحث الثاني فكان في ذكر استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأوقاتها وفضلها، وتضمَّن قسمين: أوَّلها في أوقات الاستحباب، وثانيها في فضل الزيارة. وكان المبحث الثالث في طرق تحصيل المغفرة - وهو صلب الموضوع - وحوى على ثلاثة طرق: أوَّلها في الأدعية والمناجاة، وثانيها في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وثالثها في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الأوَّل: من حقوق أهل البيت عليه السلام

أولاً: مودَّة أهل البيت عليه السلام

إنَّ من الحقوق الشرعية التي جعلها الله عزَّ وجلَّ على عباده المودَّة لأهل البيت عليه السلام، وهذه المودَّة هي أجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تحمُّله أعباء الرسالة، قال تعالى:



﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، فكانت مودّتهم من الواجبات: «ولكم المودة الواجبة»^(٢).

ثانياً: مولاة أهل البيت عليهم السلام

وكذلك من الحقوق مولايتهم، وهي من الواجبات، فلا تُقبَل الطاعة من دونها «وبمولايتكم تُقبَل الطاعة المفترضة»^(٣)؛ فإنّ من مستلزمات الولاية الطاعة لهم والتسليم لأمرهم، وقد ورد هذا المعنى في زيارة عاشوراء: «مؤمن بسرّكم وعلايتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، ومفوّض في ذلك كلّ إليكم، ومسلّم فيه معكم. وقلبي لكم مسلّم، ورأبي لكم تبع، ونصرتي لكم معدّة»^(٤).

وكما أنّ ولايتهم واجبة فإنّ البراءة من أعدائهم واجبة أيضاً، وهذا ما عبّر عنه الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) بقوله: «ولاية أولياء الله تعالى مفترضة، وبها قوام الإيمان. وعداوة أعدائه واجبة على كلّ حال»^(٥). وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله، والولاية لأولياء الله، والعداوة لأعداء الله»^(٦).

ومن مستلزمات المولاة لهم هي رفعة بيوتهم، وتعاهد مشاهدهم وزيارتها، وقد دلّت النصوص المتواترة على استحباب زيارتهم عليهم السلام وأفضليّتها، منها ما ورد عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز أنّه قال: «أتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت له: ما ليّن زار قبره - يعني: أمير المؤمنين عليه عليه السلام - وعمر تربته؟ فقال: يا أبا عامر، حدّثني أبي عن أبيه،

(١) الشورى: الآية ٢٣.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٣٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٣١.

(٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة: ص ٣٣.

(٦) المصدر السابق.

عن جدّه الحسين بن عليّ، عن عليّ عليه السلام أنّ النبي ﷺ قال له: والله لتُقتلَنَّ بأرض العراق، وتُدفَنُ بها. قلت: يا رسول الله، ما ليّن زار قبورنا، وعمّرها وتعاهدها؟ قال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعَرَصَةً من عرصاتِها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تَحَنُّ إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمّرون قبوركم، ويكثرّون زيارتها؛ تقرّباً منهم إلى الله، ومودةً منهم لرسوله، أولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة. يا علي، مَنْ عمّر قبوركم، وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس. ومَنْ زار قبوركم عدلٌ^(١) ذلك له ثواب سبعين حَجّة بعد حَجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه. فأبشّر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٢).

وورد أيضاً: «عن الحسن بن عليّ الوشاء، قال: سَمِعْتُ الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمَنْ زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٣)، وإن كان تأكيد استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام يختلف تماماً عن بقية الأئمة عليهم السلام؛ ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أنّ تأكيد استحبابها من ضروريّات المذهب أو الدين^(٤)؛ فقد ورد أنّها فرض على كلّ مؤمن يقرّ بإمامته عليه السلام من الله عزّ وجلّ^(٥).

(١) وفي مصدر آخر: (عدل). الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة: ج ٥، ص ٤٥٤.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٨٢ - ٢٨٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٦٧.

(٤) أنظر: الجواهرى، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٢٠، ص ٩٦.

(٥) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٦.

المبحث الثاني: وقت استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام وفضلها

أولاً: أوقات الاستحباب

إنّ النصوص الدالة على استحباب زيارته عليه السلام، بلغت التواتر، بل ربّما لا يخلو وقت من الأوقات إلّا ونصّت الروايات على استحبابها؛ فقد ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن الأوقات التي تكون زيارته فيها أفضل من غيرها؟ فقال عليه السلام: «زوروه صلّى الله عليه في كلّ وقت، وفي كلّ حين؛ فإنّ زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير، ومن قلّ قلّ له، وتحروا بزيارتكم الأوقات الشريفة؛ فإنّ الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته»^(١).

وقد ذكرت كتب الزيارات استحباب زيارته في جملة من الأوقات الخاصة أيضاً، كما في ليلة الجمعة ويومها، وفي ليلتي العيدين (الفطر والأضحى) ويوميهما، وفي ليلة العاشر من المحرم ويومه، ويوم الأربعين من مقتله عليه السلام، وفي الأوّل من رجب والنصف منه، وفي ليلة النصف من شعبان ويومه، وفي ليالي القدر الثلاث، وليلة عرفة ويومها. هذه وغيرها ممّا ورد النصّ فيها^(٢).

ثانياً: فضل الزيارة

وهذه الروايات التي أكّدت استحباب زيارته قد جعلت فيها الفضل الكبير، والثواب العظيم، والبركات المتعدّدة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل - عندما سُئل عمّن ترك زيارة الحسين عليه السلام مع قدرته عليها - أنّه قال: «إنّهُ قد عَقَّ رسول الله ﷺ، وعَقْنَا، واستخفّ بأمر هو له. ومن زاره كان الله له من وراء حوائجه، وكُنْفي ما أمّته من أمر دنياه، وإنّهُ ليَجلب الرزق على العبد، ويخلف عليه ما

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٦٠ - ٤٨٠.

أنفق، ويغفر له ذنوب خمسين سنة، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلا وقد نُحِت من صحيفته... ويجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم، وذخر ذلك له. فإذا حُشِرَ قيل له: لك عشرة آلاف درهم، وإن الله نظر لك، وذخرها لك عنده»^(١).

المبحث الثالث: طرق تحصيل المغفرة

قد عُرِفَ أنَّ الذنوب تنقسم إلى كبيرة وصغيرة، والكبيرة هي التي أوعدها الله سبحانه وتعالى مرتكيها النار، وهذا ما دلَّت عليه بعض النصوص من الروايات، كما عن الإمام الصادق عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٢)، قال: «الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار»^(٣).

وأما الذنوب الصغيرة فقد يُطلق عليها اللَّمَمُ كما في الآية المباركة: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^(٤). وقد عُرِفَ أهل اللغة اللَّمَمَ بأنها الصغائر من الذنوب^(٥)؛ إذ إن اللَّمَمَ يُطلق على الأشياء الصغيرة.

ولعلَّه بقرينة المقابلة يُفهم أنَّ الذنوب على نوعين: كبيرة، وصغيرة، وما جاء في سورة الكهف: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٦)، دلَّ على ذلك أيضاً. ويُؤيد هذا المعنى كذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ اجْتَنَبَ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ إِذَا كَانَ مُؤْمِناً، كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُدْخِلُهُ مَدْخِلاً كَرِيماً»^(٧). وما ورد في دعاء الإمام

(١) المصدر السابق: ج ١٤، ص ٤٨١.

(٢) النساء: الآية ٣١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٤) النجم: الآية ٣٢.

(٥) أنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٥٤.

(٦) الكهف: الآية ٤٩.

(٧) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ١٣٠.

زين العابدين عليه السلام في طلب التوبة أيضاً: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا»^(١).

وبعد التقسيم المذكور للذنوب نجد أن (ترك الكبائر) منها يكون شرطاً ومقدمة لغفران الصغائر منها؛ وذلك لما بينته الآية المباركة في سورة النجم التي مرّت آنفاً، كما أن فعل الواجبات سبب لمحو السيئات أيضاً، وهو ما ذُكر في بعض الآيات المباركة، منها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢).

ومن الأسباب والشرائط لغفران الذنوب أيضاً الاستغفار من الذنب، وهذا ما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٣)، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

ومن أسباب غفران الذنوب أيضاً (الاعتراف بالذنب) قبال الله تعالى، وطلب العفو والمغفرة منه، فالاعتراف بالذنب هو حقيقة دينية أشار إليها القرآن الكريم، وكذلك الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام. أمّا الآيات فمنها ما جاء في قصة آدم عليه السلام وحواء، وطلب العفو من الله تعالى بعد أن أكلا مما نهى الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥). فهذا الاعتراف منهما بظلم النفس يتضمّن طلب المغفرة من الله عزّ وجلّ.

وأما الروايات فمنها ما جاء عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «لا والله، ما أراد الله تعالى من الناس إلّا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعمة، فيزدهم، وبالذنوب فيغفر لهم»^(٦).

(١) الصحيفة السجّادية، في ذكر التوبة وطلبها: ص ١٤٢.

(٢) هود: الآية ١١٤.

(٣) نوح: الآية ١٠.

(٤) البقرة: الآية ١٩٩.

(٥) الأعراف: الآية ٢٣.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٢٦.

هذا؛ ونحن في هذا الصدد نذكر طريقين لغفران الذنوب:

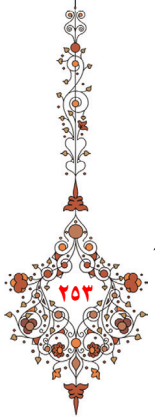
الطريق الأول: الأدعية والمناجاة

قد اشتملت كتب الأدعية على مناجاة أهل البيت عليهم السلام في الاعتراف بالذنوب، والإنابة إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه، خاصة ما في الصحيفة السجادية. ومثال ذلك: ما ورد من دعائه عليه السلام في التوبة: «هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَرْزَمَةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ تَفَرِّطًا... وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعًا، وَاسْتَعَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ... لَا يُنْكِرُ يَا إلهي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ، وَلَا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ؛ لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَتَعَاطَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ... اللَّهُمَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْفَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقَيْتُكَ بِإِقْرَارِي، وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتَ لَكَ نَفْسِي... اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا... وَتَعَفُّو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَتَحَبُّ التَّوَّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَنِ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمَنْتَ»^(١).

وما ورد أيضاً في دعاء آخر له عليه السلام: «مَا أَنَا بِأَعْصَى مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، وَمَا أَنَا بِأَلْوَمٍ مَنْ اعْتَدَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ، وَمَا أَنَا بِأَظْلَمٍ مَنْ تَابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ، أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا تَوْبَةً نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ. خَالِصِ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاطَمُكَ، وَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ الْجَلِيلِ لَا يَسْتَصْعِبُكَ... اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ، وَعَافِنِي مِمَّا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، وَأَجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أَهْلُ الْإِسَاءَةِ؛ فَإِنَّكَ مَلِيٌّ بِالْعَفْوِ، مُرْجُوٌّ لِلْمَغْفَرَةِ، مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ. لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلَا لِدُنْيِي غَاوِرٌ غَيْرُكَ، حَاشَاكَ، وَلَا أَحَافُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا إِلَيْكَ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَأَهْلُ الْمَغْفَرَةِ. صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاقْضِ حَاجَتِي، وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي، وَاعْفِرْ ذَنْبِي»^(٢).

(١) الصحيفة السجادية، دعاؤه في ذكر التوبة: ص ١٣٩-١٤٤.

(٢) المصدر السابق، في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى: ص ٦٦-٦٨.



الطريق الثاني: نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام

وهناك طُرُق أُخرى جعلها الله عز وجل لغفران الذنوب، وهي زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ فقد ورد في زيارة الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ زَارَنِي غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَمْ يَمُتْ فَقِيْرًا»^(١). وما ورد فيمن زار الإمام الرضا عليه السلام؛ فإنه يغفر الله تعالى ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر^(٢).

إلاّ أنّه في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام الأمر فيها مختلف تماماً عن زيارات بقية الأئمة عليهم السلام؛ فإنّ الروايات العديدة التي وردت بألفاظ متعدّدة، والتي وصلت إلى حدّ التواتر، دلّت صراحةً على غفران ذنوب مَنْ زاره، كالرواية التي تقول: «... أَمَّا مَا مَضَى فَقَدْ غُفِرَ لَكَ، فَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ»^(٣). أو التي عبّر فيها بغفران ذنوبه السابقة واللاحقة^(٤)، بل أكثر من ذلك؛ فإنّ زائرته عليه السلام تستغفر له الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام^(٥)، ويدعو الإمام الصادق عليه السلام في طلب المغفرة له^(٦).

وأما نصوص زيارته عليه السلام فقد ذُكِرَ فيها طلبُ الزائر من الله تعالى أن يغفر ذنوبه، وهذا يكون مؤثراً وسبباً في غفران الذنوب أيضاً؛ وذلك باعتبار أنّ الزمان والمكان لهما مدخلة في طلب الغفران من الله تعالى، فالذي يدعوّه تعالى في ليلة الجمعة، وفي وقت السحر، وفي شهر رمضان، يكون أقرب إلى الله تعالى ممّن يدعوّه في غيرها من الأوقات. والذي يدعو الله تعالى في المسجد الحرام، يكون أقرب إليه تعالى ممّن هو في مسجد آخر. كما أنّ الدعاء في بعض الحالات له مدخلة أيضاً في قبول دعوة الداعي،

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٤٧٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٨٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٩.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٦٣.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣١.

(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٨.

فالذي يدعو الله تعالى في حال السجود، أقرب إلى الله ممّن هو في حالة أخرى من حالات الصلاة، وهكذا.

إذا؛ متى ما تحقّقت خصوصيّة المكان والزمان في آن واحد، فإنّ الاعتراف بالذنوب وطلب المغفرة سوف يكون مؤثراً في استجابة الدعاء.

وإنّ من ضمن الأماكن والبقاع التي ورد استحباب الدعاء فيها هو قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، بل لعلّه هو الفرد الأكمل، وهذا ما وردت فيه عدّة روايات؛ فقد روي عن شعيب العفّرقوني عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قلت له: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماله من الأجر والثواب؟ قال: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد ودعا دعوة إلّا استُجيب عاجلة وأجلة»^(١).

وقد تجتمع خصوصيّة المكان والزمان في وقت واحد، وذلك كما في كثير من المناسبات، كيوم عرفة؛ فإنّه يوم عظيم، وقد ورد فيه استحباب زيارته (عليه السلام) والدعاء معاً، بل ذكرت الزيارة أنّ الله تعالى ينظر إلى زوّار الإمام (عليه السلام) قبل أن ينظر إلى زوّاره، فيغفر ذنوبهم، ومن ثمّ ينظر إلى أهل عرفات، فيفعل بهم ذلك^(٢).

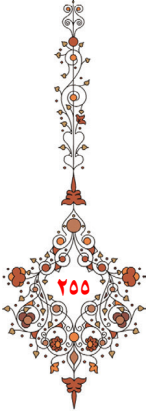
والزائر الذي يأتي قبر الحسين (عليه السلام) لا يخلو عادة من أن يقرّ بذنوبه، ويعترف بها إلى ربّه، ويطلب العفو والمغفرة منه، وهو لا بدّ من أن يقرأ دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام) - في ذلك اليوم - الذي يشتمل على فقرات فيها الاعتراف بالذنوب وطلب المغفرة، بل إنّ نفس زيارته (عليه السلام) توجب غفران الذنوب، على أنّه قد ورد في جملة من زياراته الإقرار بالذنوب وطلب المغفرة، فيكون مشمولاً لرحمة الله تعالى وعطفه.

ومّا ورد من طلب المغفرة في زيارته (عليه السلام): «السلام عليك يا بن رسول الله، أتيك بأبي أنت وأُمّي زائراً وافداً إليك... فاشفع لي عند ربّك، وكن لي شفيعاً، قد^(٣) جئتُك

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٤٢٣.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٨.

(٣) وفي مصادر أخرى: «فقد».



هارباً من ذنوبي، مُتَنَصِّلاً إلى ربِّي من سيِّئ عملي، راجياً في موقعي هذا الخلاص من عقوبة ربِّي، طامعاً أن يستنقذني ربِّي بك من الردى... عليك تحيَّتي وسلامي. أَلقيت رحلي بفنائك مستجيراً بك وبقبرك ممَّا أخاف من عظيم جرمي... وقد توجَّهت إلى ربِّي يا سيِّدي في قضاء حوائجي ومغفرة ذنوبي، فلا أَخِيْبَنَّ من بين زوَّارك؛ فقد خَشِيتُ ذلك إن لم تشفع لي، ولا ينصرِفَنَّ زوَّارك يا مولاي بالعطاء والحِباء والخير والجزاء، والمغفرة والرضا، وأنصرف أنا محبوهاً بذنوبي... وفي حسن ظنِّي برَّبِّي وبنبيِّ وبك يا مولاي وبالأئمة من ذريَّتِكَ ساداتي ألا أخيب، فاشفع لي إلى ربِّي ليعطيني أفضل ما أعطى أحداً من زوَّارك الواردين إليك»^(١).

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية طويلة: «إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصُم يوم الأربعاء والخميس والجمعة... فإذا خرجت فقل... اللَّهُمَّ، اغفر لي ذنوبي، وكفِّر عَنِّي سيِّئاتي، وحطَّ عَنِّي خطاياي، واقبل مِنِّي حسناتي... فإذا أتيت الفرات فقل قبل أن تعبره... واجعل هذا كفَّارة لما كان قبله من ذنوبي، واجعلني من أنصاره يا أرحم الراحمين. ثُمَّ اعْبُرِ الفرات وقل: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، واجعل سعيي مشكوراً، وذنبي مغفوراً، وعملي مقبولاً، واغسلني من الخطايا والذنوب...»

ثم استلم القبر وقل... وإني أستشفع بك إلى الله ربِّك وربِّي من جميع ذنوبي، وأتوجَّه بك إلى الله في جميع حوائجي ورغبتي في أمر آخري وديني... ثُمَّ ضع خدك الأيمن على القبر وقل... ربِّ أفرحمتني ذنوبي وقطعت مقالتي، فلا حُجَّة لي ولا عذر لي، فأنا المقرُّ بذنوبي... قد أوقفتُ يا ربِّ نفسي موقف الأشقياء الأذلاء المذنبين، المجترئين عليك بوعيدك... يا سيدي، فارحم كبوتي لحرِّ وجهي، وزلَّة قدمي، وتعفيري في التراب خدي، وندامتي على ما فرطَ مِنِّي، وأقلني عثرتي، وارحم صرختي وعبرتي، واقبل معذرتي، وعُدَّ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٦٠-٦١.

بحلمك على جهلي، وبإحسانك على خطيئاتي، وبغفوك عليّ... فأنا المقرُّ بذنبي، المعترف بخطيئتي، وهذه يدي وناصيتي، أستكين لك بالقود من نفسي، فاقبل توبتي...
ثم ترفع يديك وتقول: إليك يا ربّ صمدت من أرضي، وإلى ابن نبيّك قطعت البلاد رجاءً للمغفرة... جئتك يا ابن رسول الله وافداً إليك، أتوسّل إلى الله في جميع حوائجي من أمر آخرتي ودنياي... أسألك وليّك ووليّنا أن يجعل حظّي من زيارتك الصلاة على محمّد وآله، والمغفرة لذنوبي...

ثم تنكبّ على القبر وتقول: يا سيدي، أتيتك زائراً مُوقراً من الذنوب، أتقرب إلى ربّي بوفودي إليك، وبكائي عليك...

ثم ترفع يديك وتقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أسألك مسألة المسكين المستكين... أسألك أن تُدارِكني بلطف منك، فأنت الذي لا تخيب سائلك، وتعطي المغفرة، وتغفر الذنوب... ثم در في الحائر وأنت تقول: اللَّهُمَّ... فارحم قربي منك ومقامي بين يديك وتملّقي، وأقلّني عثرتي، واقبل عظيم ما سلف منّي، ولا يمنعك ما تعلم منّي من العيوب والذنوب والإسراف على نفسي، وإن كنت لي ماقِثاً فارض عني، وإن كنت عليّ ساخطاً فقب عليّ، إنّك على كلّ شيء قدير. اللَّهُمَّ اغفر لي ولوالدي، وارحمهما كما ربّاني صغيراً^(١).

وعن الإمام الهادي عليه السلام، قال: «تقول عند [رأس] الحسين عليه السلام عليك يا أبا عبد الله... ثم تضع خدك الأيمن على القبر، وتقول: أشهد أنّك على بينة من ربّك، جئت مقرّاً بالذنوب؛ لتشفع لي عند ربّك يا ابن رسول الله»^(٢).

وهناك موارد أخرى ورد فيها طلب المغفرة، ومنها الدعاء الذي علّمه الإمام الصادق عليه السلام لصفوان الجمال: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أستودعك اليوم نفسي وأهلي ومالي وولدي... اللَّهُمَّ، ارزقنا حلاوة الإيمان، وبرد المغفرة، وآمناً من عذابك، إنّنا إليك راغبون، وآتانا من لدنك رحمة، إنّك على كلّ شيء قدير»^(٣).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٣-٤٢٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٧-٧١٨.

وزاد فيها الشهيد الأول في مزاره: «ثُمَّ انكَبَّ عَلَى الْقَبْرِ وَقُلَّ: اللَّهُمَّ لَكَ تَعَرَّضْتُ، وَلزِيَارَةِ أَوْلِيَائِكَ قَصَدْتُ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِكَ، وَرَجَاءً لِمَغْفِرَتِكَ، وَجَزِيلَ إِحْسَانِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ... وَذَنْبِي بِهِمْ مَغْفُورًا»^(١).

وجاء في زيارة الناحية الواردة عن الإمام الحجة عليه السلام أيضاً: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واقبل توبتي، وارحم عَبرتي، وأقلني عثرتي، ونفْسَ كربتي، واغفر لي خطيئتي... اللَّهُمَّ لا تدع لي في هذا المشهد المعظم، والمحَلِّ المكرَّم، ذنباً إلا غفرته... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الأخيار... وطهّرني من الذنوب والأوزار، وأجربي من النَّار، وأحلّني دار القرار، واغفر لي ولجميع أخواني وأخواتي المؤمنين والمؤمنات، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين...

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْقُبْلَةِ، وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ... وَتَقَنَّتْ فَتَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ... فَصَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعْنِي عَلَى نَفْسِي الظَّالِمَةَ الْعَاصِيَةَ، وَشَهْوَتِي الْغَالِبَةَ، وَاخْتَمِ لِي بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ. اللَّهُمَّ، إِنَّ اسْتِغْفَارِي إِيَّاكَ، وَأَنَا مُصَرَّرٌ عَلَى مَا نَهَيْتَ، قَلَّةٌ حَيَاءٍ، وَتَرْكِي الِاسْتِغْفَارَ مَعَ عِلْمِي بِسَعَةِ حِلْمِكَ، تَضْيِيعٌ لِحَقِّ الرَّجَاءِ.

اللَّهُمَّ، إِنَّ ذَنْبِي تَوَيْسَنِي أَنْ أَرْجُوكَ... اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فِي عِبَادِكَ مَنْ هُوَ أَقْسَى قَلْباً مِنِّي، وَأَعْظَمُ مَنِّي ذَنْباً، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَوْلَى أَعْظَمُ مِنْكَ طَوْلاً، وَأَوْسَعُ رَحْمَةً وَعَفْواً، فَيَا مَنْ هُوَ أَوْحَدٌ فِي رَحْمَتِهِ، اغْفِرْ لِمَنْ لَيْسَ بِأَوْحَدٍ فِي خَطِيئَتِهِ... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واغفر لنا ولوالدينا... وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(٢).

وعن الحسين بن عطية أبي نابٍ بياح السَّابِرِي، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قلت: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فَمَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتَهُ؟ قال: تقول: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ... أَسْأَلُ اللَّهَ

(١) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٠٨-٥١٣.

وليك ووليّا أن يجعل نُحفتنا من زيارتك الصلاة على نبينا، والمغفرة لذنوبنا، اشفع لي يابن رسول الله عند ربك»^(١).

ومّا ورد أيضاً في طلب المغفرة أن يقف الزائر، ويتوجّه إلى القبلة، ويقول: «... اللهم اغفر لي؛ فإنّي مقرّ بذنبي، معترف بخطيئتي... ولا تقطع رجائي من بين خلقك يا سيّدي»^(٢). وعند وداعه يقول: «... ولا تجعله آخر العهد من زيارتهم. وإن لم تكن استجبت لي، وغفرت لي، ورضيت عني، فمن الآن فاستجب لي، واغفر لي، وارض عني قبل أن تنأى عن ابن نبيك داري، فهذا أوان انصرافي»^(٣).

ومن النصوص التي ورد فيها طلب المغفرة، ما في زيارة عاشوراء: «اللهم اجعلني في مقامي هذا ممّن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة...»^(٤).

وهناك زيارات أخرى ورد فيها صريحاً طلب المغفرة والشفاعة، نذكرها مجملًا؛ فقد جاء في بعضها الاستجارة بالإمام الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يابن رسول الله، عبدك وابن عبدك وابن أمتك، المقرّ بالرقّ، والتارك للخلاف عليكم، والموالي لوليكم، والمعادي لعدوّكم، قصد حرمك، واستجار بمشهدك»^(٥). والاستجارة كما تكون من الأعداء ومن الأخطار التي تحيط بالإنسان، كذلك تكون من الذنوب والآثام التي يقتربها الإنسان، فيتوجّه إلى الله بمنّ له مقام عالٍ عنده، فيجعله وسيلته إلى الله تعالى في غفران ذنوبه، وهو من أبرز مصاديق الاستجارة.

وفي بعض زيارات الإمام الحسين عليه السلام ورد أنّه هو باب حِطّة، ومَنْ دخله كان من الآمنين، وهذا نصّه: «السلام عليك يا باب حِطّة الذي مَنْ دخله كان من الآمنين»^(٦). كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنّ الأئمة عليهم السلام هم باب حِطّة، فقال: «ونحن باب

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٣٩٠-٣٩١.

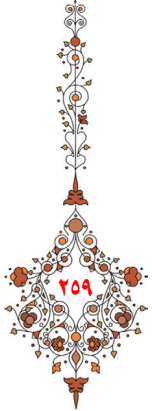
(٢) المفيد، محمد بن محمّد، المزار: ص ١١٤-١١٥.

(٣) الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي، المزار: ص ١٤١.

(٤) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار: ص ٤٨٣.

(٥) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٠.

(٦) الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، المزار: ص ١٤٣.





حِطَّتْكُمْ، كِتاب حِطَّة بني إسرائيل»^(١)، فُسِّبَ هذا الباب بباب حِطَّة التي أمر الله تعالى بني إسرائيل بدخولها ساجدين خاضعين مستغفرين قائلين: حِطَّة، بعد أن تاهوا، ونقضوا العهد والميثاق. والمراد بها: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا. وهي بيت المقدس، أو أريحا من قرى الشام^(٢). وعليه؛ يكون الإمام عليه السلام هو الوسيلة والطريق إلى الله تعالى في غفران الذنوب.

وورد في زيارات متعدّدة طلب الشفاعة من الإمام عليه السلام: «فاشفع لي عند الله ربِّكَ»^(٣). وكذلك في الدعاء الوارد بعد قراءة زيارة عاشوراء: «اللَّهُمَّ ارزُقني شفاعَةَ الحسين يوم الورود»^(٤). والشفاعة من المفاهيم العامّة التي لها مصاديق متعدّدة، فكما تنطبق على أمور الدنيا، كذلك تنطبق على أمور الآخرة، فالزائر يرتجي من الإمام عليه السلام أن يكون شفيعه إلى الله تعالى في قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية التي من أهمّها غفران الذنوب والخطايا التي اقترفها، فيشفع له بذلك.

وهذا لا يعني أنّ الإمام عليه السلام تحمّل ذنوب شيعة، ففدى بنفسه الزكية؛ لأجل خلاصهم من النار ودخولهم الجنّة كما هي الفكرة عند النصاري من أنّ المسيح قد فدى بنفسه الزكية من أجل خلاص أتباعه من الذنوب والخطايا، فكان وسيطاً بين الله وبينهم في تحمّل خطاياهم، فمنع عقابه عنهم؛ فقد ذُكِرَ في إنجيل يوحنا: «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كلّ العالم أيضاً»^(٥).

بل إنّ هذه الفكرة مخالفة للقرآن الكريم؛ حيث إنّ الآيات المباركة الكثيرة قد جعلت الإيمان مع عمل الصالحات سبباً في النجاة يوم القيامة، قال سبحانه:

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، سعد السعود: ص ١٠٨.

(٢) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٧.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤١٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٨٤.

(٥) الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الثاني: ١-٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ مِنَ ءَٰمَنِ ۖ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). فلا ينفع
الكافرين الذين ماتوا على كفرهم شيء ولو أنهم أنفقوا ما أنفقوا لدراء العذاب عنهم
يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفَلَ عَنْ أَحَدِهِمْ
مِثْلُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾^(٢). وقال عز وجل:
﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَآ فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ ٱلْهَادُونَ﴾^(٣).

فالمعيار والأساس الذي يبتني عليه الثواب والعقاب هو العمل بما أمر به الله
تعالى، والانهاء عما نهى عنه، ولا يوجد قانون للفدية والفداء، ولا ينفع يوم القيامة
إلا العمل الصالح.

والإمام الحسين عليه السلام قد بين في وصيته لمحمد بن الحنفية عند خروجه إلى كربلاء
أهداف نهضته المباركة؛ فقد ورد عنه عليه السلام ما نصّه: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا
مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد ﷺ، أريد
أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر»^(٤). فلم يذكر أن سبب خروجه لأجل أن يخلص
شيعة من الخطايا والذنوب والمعاصي. فلو كان خروجه من أجل ذلك، فلا معنى
لطلب الثأر من قاتليه، ولما كان أي معنى لشعار: (يا لثارات الحسين) الذي تُنادي به
الملائكة عند قبره عليه السلام كما ورد في الرواية^(٥).

ثم إنه لو كان الإمام الحسين عليه السلام قد فدى بنفسه الزكية من أجل خلاص شيعة
من الذنوب، لما جاءت هذه الروايات الكثيرة التي تؤكد فعل الطاعة وترك المعصية،

(١) البقرة: الآية ٦٢.

(٢) آل عمران: الآية ٩١.

(٣) الرعد: الآية ١٨.

(٤) ابن أعثم، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

(٥) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٩٢.

وَأَنَّهُ «مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَا تِنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ»^(١).

وهناك زيارات أخرى قد ورد فيها طلب المغفرة، وهي زيارات عامّة غير مختصّة بالإمام الحسين عليه السلام يزار بها جميع الأئمة عليهم السلام، كما في زيارة الجامعة الكبيرة، وزيارة أمين الله؛ فقد جاء في الأولى عن موسى بن عمران النخعي، قال: قلت لعلي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «علّمني يا بن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً، إذا زرت واحداً منكم، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة... يا وليّ الله، إنّ بيني وبين الله ذنباً لا يأتي عليها إلا رضاكم، فبحقّ من اتّمتكم على سرّه، واسترعاكم أمر خلقه، وقرّن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعاي... إذا أردت الانصراف فقل: وشكّر سعيي بكم، وغفر ذنبي بشفاعتكم، وأقال عثرتي بحبّكم، وأعلى كعبي بموالاتكم... اللَّهُمَّ لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم والصلاة عليهم، وأوجب لي المغفرة والخير والبركة»^(٢).

وأما الثانية فهي وإن زار بها الإمام السجّاد عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّها تصلح لأن يُزار بها بقية الأئمة عليهم السلام، وهذا ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام؛ إذ قال في آخرها: «ما قاله أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند قبر أحد من الأئمة عليهم السلام إلا وقع في درج^(٣) من نور، وطُيعَ عليه بطابع محمّد ﷺ حتى يُسلّم إلى القائم عليه السلام، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة، إن شاء الله تعالى»^(٤)، وهي لم تختل أيضاً من طلب المغفرة، وهذا ما جاء في إحدى فقراتها: «وذنوب المستغفرين مغفورة»^(٥).

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٠٥-٣١٠.

(٣) الدرّج: الورق الذي يُكتَبُ فيه.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٩٦.

(٥) المصدر السابق.

فكلُّ ما وقع في هذه الفقرات من الزيارات فيه دلالة واضحة على طلب المغفرة التي جاءت بلفظ الشفاعة تارة، وبلفظ الاستجارة به ثانية، أو غيرهما من الألفاظ ثالثة.

الطريق الثالث: زيارة الحسين عليه السلام

دَلَّ الكثير من الروايات بشكل واضح وصریح من دون شكٍّ وريب على غفران ذنوب زائر الحسين عليه السلام، وفي المقام نذكر نماذج منها:

الرواية الأولى: غفران ما مضى من الذنوب: فعن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: «مَنْ خرج من بيته يُريد زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن عليٍّ، وكلَّ الله به ملكاً، فوضع إصبعه في قفاه، فلم يزل يكتب ما يخرج من فيه حتى يرد الحائر، فإذا خرج من باب الحائر، وضع كفَّه وسط ظهره، ثمَّ قال له: أَمَا ما مضى فقد غُفِرَ لك، فاستأنف العمل»^(١). وهناك روايات أخرى دلَّت على هذا المعنى أيضاً.

الرواية الثانية: غفران ذنوب الزائر بأوّل خطوة يخطوها: فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة ذنوبه، ثمَّ لم يزل يُقدَّس بكلِّ خطوة حتى يأتيه...»^(٢).

الرواية الثالثة: قصد الزيارة موجب لغفران الذنوب: فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ لله ملائكةً مُوكِّلِينَ بقبر الحسين عليه السلام، فإذا هم بزيارته الرجل، أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثمَّ إذا خطا ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجنة»^(٣).

الرواية الرابعة: تبشير الملكين للزائر بغفران ذنوبه: فعن عليّ بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا عليّ، زِرِ الحسين، ولا تدعه. قال: قلت: ما لِمَن أتاه من الثواب؟ قال: فإذا أتاه وكلَّ الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٥٤.



يخرج من فيه من شرٍّ ولا غير ذلك. فإذا انصرف ودَّعوه، وقالوا: يا وليَّ الله، مغفوراً^(١) لك. أنت من حزب الله، وحزب رسوله، وحزب أهل بيت رسوله^(٢).

الرواية الخامسة: مَنْ زاره عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر: فعن هارون بن خارجة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنيهم يرون أنّه مَنْ زار الحسين عليه السلام كانت له حجة وعمرة. قال لي: مَنْ زاره والله عارفاً بحقه، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٣). وفي هذا المعنى وردت روايات عديدة أخرى.

الرواية السادسة: زائر الحسين عليه السلام لا يُسأل عن ذنب عمّله في حياة الدنيا ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج، وجبال تهامة، وزبد البحر: فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة، وفي شفاعة محمد عليه السلام، فليكن للحسين زائراً، ينال من الله الفضل والكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنب عمّله في حياة الدنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر»^(٤).

الرواية السابعة: يُكتَب له بكل خطوة خطاها، وكل يد رفعها دابته ألف حسنة، ومحي عنه ألف سيئة، وتُرفع له ألف درجة: فعن أبي عبد الله عليه السلام: «مَنْ زار الحسين عليه السلام من شيعتنا، لم يرجع حتى يُغفر له كل ذنب، ويُكتَب له بكل خطوة خطاها، وكل يد رفعها دابته ألف حسنة، ومحي عنه ألف سيئة، وتُرفع له ألف درجة»^(٥).

الرواية الثامنة: الإمام الصادق عليه السلام يستغفر لزوّاره عليه السلام: فعن معاوية بن وهب، قال: «استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام، فقبل لي: ادخل. فدخلت، فوجدته في مصلاه في

(١) هكذا في الأصل، ولعلّه على تقدير: (ودّعناك مغفوراً). وقد جاء في مصدر آخر: «مغفور لك».

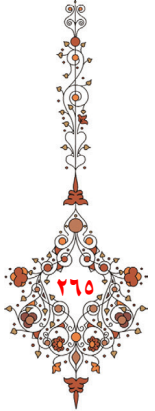
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٥٦-٢٥٧.



بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسَمِعته ينادي ربه وهو يقول: اللَّهُمَّ، يَا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصَّننا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى، وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين^(١).

الرواية التاسعة: الصديقة الطاهرة فاطمة^{عليها السلام} تستغفر لزوّار الحسين^{عليه السلام}: فعن أبي عبد الله^{عليه السلام}، قال: «إِنَّ فاطمة بنت محمد^{صلى الله عليه وآله} تحضر لزوّار قبر ابنها الحسين^{عليه السلام}، فتستغفر لهم ذنوبهم»^(٢).

الرواية العاشرة: مَنْ زار الحسين^{عليه السلام} غفرت ذنوبه الصغيرة والكبيرة: فعن أبي عبد الله^{عليه السلام}، قال: «مَنْ اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين^{عليه السلام}، كان كيوم ولدته أمّه صفراً من الذنوب ولو اقترَفها كبائر»^(٣).

فهذه النصوص - وغيرها أيضاً - من الروايات قد جعلت الأجر والثواب لزوّار الإمام الحسين^{عليه السلام}، غفران الذنوب، فكانت زيارته^{عليه السلام} أحد طرق تحصيل غفران الذنوب.

إشكال مع جوابه

الإشكال:

قد يتطرق إلى ذهن إشكال، وحاصله: كيف يقابل فعل الزيارة بهذا الثواب العظيم والأجر الجزيل، مع أنّه عمل صغير ويسير، ومجرد كلمات يقولها الزائر، فيحصل على كلّ هذا الثواب، فتُغفَر جميع ذنوبه، وتُكتَب له في كلّ خطوة يخطوها ألف حسنة، وتُحى عنه ألف سيئة^(٤)، بل أكثر من ذلك أيضاً، وهو دخول الجنة؟!

(١) المصدر السابق: ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٤٣.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥٧.

الجواب:

أولاً: أن الله عز وجل المتفضل المنان الذي من بطوله وكرمه على العباد، قد جعل لكثير من الأعمال الصالحة ثواباً عظيماً، ويضاعف لمن يشاء، وهذا ما جاءت به الآيات المباركة كما في سورة البقرة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١). وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْتِ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

كما ورد هذا المعنى في الروايات الشريفة، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ حِرْزًا فِي يَوْمِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالسُّلْطَانِ، وَلَمْ تَحْطُ بِهِ كَبِيرَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ»^(٣). وجاء عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ بِسَكِينَةٍ غُفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ»^(٤).

فلا يقاس الله تبارك وتعالى بغيره من الخلق؛ إذ إنَّ الميزان الإلهي مختلف تماماً عن الميزان البشري الذي يجعل الجزاء على جنس العمل، فليس منشأ الثواب والجزاء كما هو في القضايا العرفية التي تعارفنا عليها: من النظر إلى نوع العمل والجهد الذي قام به الشخص، والوقت الذي استغرقه ذلك العمل، فيُعطى الأجر عليه، وإنَّما منشأ الثواب هو التفضل منه عز وجل.

ثانياً: أن الأحكام الإلهية إنما شرَّعت على أساس المصالح والمفاسد، ولم تجعل جزافاً وبلا ملاك؛ فإنَّ كلَّ ما فيه مصلحة ومنفعة للعباد أمر الله به، وكلَّ ما فيه

(١) البقرة: الآية ٢٤٥.

(٢) البقرة: الآية ٢٦١.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ٣١.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٧.

مفسدة ومضرة نهى عن فعله. فالمصلحة والمفسدة راجعتان إلى المكلف؛ إذ الله تبارك اسمه غني عن العالمين، وإن كانت هذه المصالح والمفاسد التي يُطلق عليها الملاك لا يمكن أن تصل إليها عقولنا، ومثال ذلك: الصلاة التي شرعها الله عز وجل وأوجبها قد ذكر أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذه منفعة عظيمة ترجع إلى العبد، قال الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١). والزنا الذي فيه مفسدة كبيرة قد أمر بتركه، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢).

ومن خلال ذلك نفهم أن الله تعالى حين جعل في زيارة الإمام الحسين عليه السلام هذا الثواب العظيم، إنما هو لأجل المنفعة التي فيها، فالذي يزور الإمام الحسين عليه السلام يستذكر مواقفه وأهدافه، ومعركته الخالدة التي تجلّي فيها الحقّ إزاء الباطل.

وبأدنى التفاتة يعلم الزائر عندما يقرأ: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كلیم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله»^(٣). يعلم أن جهود الأنبياء قد تجسّدت في الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، فكما أن الكلمة الطيبة التي ليس فيها أيّ تعب ومجهود صدقة، والصدقة فيها ثواب عظيم؛ لأنّ فيها آثاراً كبيرة، كذلك زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّ فيها آثاراً عظيمة.

فالنظرة إلى أيّ عمل ما قد تكون مختلفة، فهناك من يشاهد - مثلاً - رفع الحجر عن الطريق أمراً سهلاً وهيناً، فلا يرى له أيّ قيمة، لكن في المقابل هناك من ينظر نظرة المتعمّق إلى آثار هذا الفعل. كما أن بعض الأفعال وإن كانت صغيرة كالقلمة، إلّا أنّ فيها آثاراً سلبية وخيمة، كالنميمة، والغيبة، والبهتان، وغيرها.

(١) العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) الإسراء: الآية ٣٢.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٠.

تنبيه

إنّ بعض الروايات ذكرت أنّ غفران ذنوب الزائر لا يكون من دون شرط أو قيد، بل إنّها قيّدت ذلك بمعرفة حقّ الإمام وحرمة وولايته عليه السلام^(١)، وألاً يكون أشراً، ولا بطراً، وألاً يتبغي من زيارته سمعة أو رياءً، فحينئذٍ تُحصّ ذنوبه كما يمحّص الثوب بالماء، فلا يبقى عليه دنس^(٢).

وقد جاء في استفتاء وُجّه إلى السيّد الروحاني - رحمه الله - في هذه المسألة، ما نصّه: «هل زيارة الإمام الحسين عليه السلام تغفر الذنوب جميعاً؟

جواب: باسمه جلّت أسماؤه، ممّا استفاضت به الروايات أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من موجبات غفران الذنوب، إلّا أنّها على نحو الاقتضاء لا العلّية التامة، وهذا يعني: عدم تحقّق أثرها إلّا مع تحقّق الشرائط، وعدم الموانع. فهي نظير النار التي تقتضي الإحراق، ولكنها لا تؤثر أثرها إلّا مع تحقّق الشرائط كاقتراب الجسم المحترق منها، وارتفاع الموانع كالرطوبة ونحوها»^(٣).

ومن هنا؛ ينبغي التنبيه على أنّه لا يتهاون الإنسان في فعل الواجبات وترك المحرّمات، فيتجرّأ على الله سبحانه وتعالى بفعل الذنوب والمعاصي بحجّة أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تغفر الذنوب، فيكون مأموماً من العقاب الإلهي؛ فإنّ الأعمال القبيحة التي يقرّفها قد تُبعده عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فلا يكون مشمولاً لرعايته عليه السلام، ولا الزيارة موجبة لغفران الذنوب حينئذٍ، بل إنّ الروايات الكثيرة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام قد أمرت الشيعة بتقوى الله تعالى، ونصّت على أنّ الشيعي من اتقى الله تعالى وأطاعه^(٤).

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٧٣.

(٣) موقع السيّد الروحاني رحمه الله، على الرابط: (<http://www.rohani.ir/fa>).

(٤) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٤.



وكذلك في استفتاء وُجِّه إلى مكتب سماحة السيّد السيستاني دام ظلّه، وهو وإن كان في خصوص البكاء على الإمام الحسين عليه السلام فإنه مرتبط بما نحن فيه؛ فقد جاء فيه: «ما هو رأي سماحة سيّدنا ومرجعنا في صحّة الحديث الوارد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (مَنْ بكى أو تباكى على الحسين عليه السلام وجبت له الجنة)؟»

الجواب: نعم، ورد في أحاديث متعدّدة - جملة منها معتبرة - الوعد بالجنة لمن بكى على الحسين عليه السلام، كما في بعضها مثل ذلك لمن تباكى عليه أو أنشد شعراً فتباكى عليه. ولا غرابة في ذلك؛ إذ الوعد بالجنة قد ورد في أحاديث الفريقين في شأن جملة من الأعمال، ومن المعلوم أنّه لا يراد بذلك أن يشعر المكلف بالأمان من العقوبة حتّى لو ترك الواجبات وارتكب المحرّمات، وكيف يشعر بذلك مع ما ورد من الوعيد المغلظ في الآيات بالعقوبة على مثل ذلك، بل المفهوم من هذه النصوص في ضوء ذلك: أنّ العمل المفروض يجازى عليه بالجنة عند وقوعه موقع القبول عنده سبحانه، وتراكم المعاصي قد يمنع من قبوله قبولاً يفضي به إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار.

وبتعبير آخر: أنّ العمل الموعود عليه يمثّل نقطة استحقاق للجنة، وفاعلية هذه النقطة تماماً منوطة بالألا تكون هناك نقاط مقابلة توجب استحقاق النار بارتكاب الأعمال التي أوعدها عليها بها^(١).

وقد أشار السيّد الحائري في كتابه (تزكية النفس) إلى أمر مهمّ، وهو أنّ هذه الوسائل التي ذُكرت لغفران الذنب والتي منها الاستغفار، إنّها جُعِلت لأجل أن يتوجّه العبد العاصي إلى الله تعالى، ويطلب منه المغفرة، ولا ييأس من رحمة الله تعالى، لكن قد يحصل منه التجرؤ على الله تعالى فيما لو أنّه بقي على المعصية بحجّة سعة رحمة الله تعالى، ووجود الاستغفار، وغيرها من العناوين للمغفرة^(٢).

(١) موقع مكتب سماحة السيّد السيستاني حفظه الله، قسم الاستفتاءات/البكاء، استفتاء رقم ٢، الرابط: (<https://www.sistani.org/arabic/qa/0364/>).

(٢) انظر: الحائري، كاظم، تزكية النفس: ص ٦١٦.

كما ذكر أيضاً أنَّ الاستغفار من دون الندم والتوبة لا فائدة منه، بل إنَّ ارتكاب المعاصي والاستغفار دون حصول الندم هو من باب التغرير بالذنب، فقال: «فقد يُتوهم أنَّ المقصود بالاستغفار مجرد طلب المغفرة من دون ندم وتوبة. وما أسهل طلب المغفرة، فالإنسان يتعمد الذنب، ثمَّ يطلب المغفرة من الله؛ كي لا يعذِّبه. وهذا هو عين التغرير بالذنب، وفتح الباب للانهماك في المعاصي، ولكنَّ الواقع أنَّ المقصود بالاستغفار هو طلب المغفرة مع الندم، وذلك يرجع إلى التوبة التي عرفت فيها الجواب عن الشبهة، وأنها إذا لوحظت بشكلها الصحيح لا تؤدِّي إلى الجرأة، بل تؤدِّي إلى التطهير، وانفتاح باب الرجوع إلى الله تعالى، وتزكية النفس»^(١).

والشاهد على ذلك عدَّة أمور، منها: ما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»^(٢).

ومنها: الذي يتماهل ويرتكب المعصية، ولا يلتفت إلى ما يفعل، فسيجره فعل المعصية هذا إلى فعل غيرها حتَّى يصل إلى مرحلة الشقاء، فلا يُوفَّق للاستغفار، بل ربَّما يترك الواجبات فضلاً عن المستحبات التي منها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما نشاهده واضحاً عند بعض مَنْ نعرفه، أو مَنْ قرأنا عنه؛ فإنَّ الشقاء لا يحصل دفعة واحدة، وإنَّما يكون عبر مراحل، وبالتدرج يرى الشقي نفسه قد ابتعد كثيراً عن طاعة الله تعالى، وهذا ما بيَّنته الرواية الشريفة أيضاً، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلَّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتَّى يغطي البياض، فإذا [ت] غطَّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٣) (٤).

(١) انظر: المصدر السابق: ص ٦١٨-٦١٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٣) المطففين: الآية ١٤.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٧٣.

ثمَّ إِنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قد أمر بالتقوى في كثير من الآيات المباركة، ففي واحدة من الآيات المباركة جاء الأمر بالتقوى مع تأكيدها مرتين؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وهكذا أهل البيت عليهم السلام فقد أمروا شيعتهم بتقوى الله عز وجل، وترك الاتكال على شفاعتهم عليهم السلام، ومن ذلك ما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال لي: يا جابر، أيكفني مَنْ يتحلل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتنا إلّا مَنْ اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون - يا جابر - إلّا بالتواضع، والتخشع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا بن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر، لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أُحِبُّ عَلِيًّا وأتولاه، ثمَّ لا يكون مع ذلك فعلاً؟! فلو قال: إِنِّي أُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام، ثمَّ لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً. فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة. أُحِبِّ الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ عز وجل [وأكرمهم عليه] أنقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر، والله ما يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تبارك وتعالى إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحدٍ من حُجَّة. مَنْ كَانَ لِلَّهِ مَطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَا تِنَالُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ»^(٢).

وما عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد كونوا النمقة الوسطى... ثمَّ أقبل علينا، فقال: والله، ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا

(١) الحشر: الآية ١٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٤.



لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة. فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولا يتنا،
ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولا يتنا. ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا»^(١).

الخاتمة

نستعرض في خاتمة البحث أهم النتائج التي يمكن استخلاصها منه، وهي:
أولاً: أن من ضمن حقوق أهل البيت عليهم السلام زيارة قبورهم وتعاهدها، وقد ورد
فيها الفضل الكثير، وخاصة زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد أكدت الروايات الكثيرة.
ثانياً: أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كل الأوقات يترتب عليها الأجر الكثير؛
لذكر الروايات استحباب زيارته فيها.

ثالثاً: هناك وسائل وطرق لمغفرة الذنوب، سواء الكبيرة منها أم الصغيرة، ومنها
الاستغفار، وقد ورد في جملة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

رابعاً: أن العمل الصالح القليل كالحلق الحسن لا يُنظر إلى حجمه، وإنما يُنظر
إلى آثاره الإيجابية، فلا يأتي الإشكال على كثرة الثواب عليه، وكذا بالنسبة إلى العمل
السيئ كالبهتان، فلا يُنظر إلى قلة، وإنما إلى آثاره السلبية، فلا يرد الإشكال على
شدة العذاب على فاعله، وبهذا يندفع إشكال عدم التناسب بين كثرة الثواب وفعل
الزيارة.

خامساً: أن هناك شروطاً وضوابط لغفران الذنوب، ومن تلك الشروط الندم
مع الاستغفار، ومن دون ذلك لا أثر للاستغفار وإن تكرر من العبد.

سادساً: أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي ورد أن من آثارها غفران الذنوب
ليست هي بنفسها تمام العلة، بل هي أيضاً مشروطة بشروط، ومنها أن يكون الزائر
عارفاً بحق المזור وحرمة وولايته، وألا يكون أشراً ولا بطراً.

سابعاً: على الإنسان المؤمن ألا يسيء في أعماله، ويتجرأ على الله تعالى بارتكاب

المحرّمات وترك الواجبات اعتماداً على ما ذُكِرَ من وسائل المغفرة؛ فإنّه ربّما لا يوفّق إليها، وابتعد عنها كلّ البعد بسبب الذنوب والمعاصي، بل قد يصل به الأمر إلى أن يصبح شقيّاً، فيكون بعيداً عن الله تعالى.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ . بحار الأنوار، محمّد باقر بن محمّد تقّي المجلسي (ت ١١١٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٢ . تركية النفس، السيّد كاظم الحائري، الناشر: دار الرسالة، قم المقدّسة، الطبعة السادسة، ١٤٤٠هـ.
- ٣ . تفسير جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفّة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٤ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، أبو جعفر محمد بن الحسن الشّيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.
- ٥ . التوحيد، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشّيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.
- ٦ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشّيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، الناشر: منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ. ش.



- ٧ . جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن بن باقر الجواهري (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٥هـ.ش.
- ٨ . سعد السعود، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الناشر: منشورات الرضي، قم المقدسة، ١٣٦٣هـ.ش.
- ٩ . الصحيفة السجّادية، الناشر: دفتر نشر الهادي، إيران - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٠ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١١ . الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٢ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ.ش.
- ١٣ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ولجنة التحقيق، مؤسّسة النشر الإسلامي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٤ . الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، الناشر: دار الكتاب المقدّس.
- ١٥ . المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق ونشر: السيّد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية.



١٦ . المزار، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي المشهدي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٧ . المزار، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: آية الله السيّد محمد باقر الأبطحي.

١٨ . المزار، محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأوّل)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى.

١٩ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تقديم: علي أصغر مرواريد، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٠ . المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢١ . المقنعة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٢ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

المواقع الإلكترونية

23 . <http://www.rohani.ir/fa>

24 . <https://www.sistani.org/arabic/qa/0364/>

الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية

القسم الثالث^(١)

أ.د. تيري زاركون/ أ.د. مارك قابوريو

أ.د. نيلي وان دورن - هاردر/ أ.د. روديفر سيسمان/ أ.د. سكوت ريس

ترجمة الأستاذ حيدر نجم البهادلي

شعبة الترجمة/ مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية

في النهضة الحسينية، العراق

Ziyara in the Encyclopaedia of Islam – Part Three

Dr. Th. Zarccone, Dr. M. Gaborieau,

Dr. Nelly Van Doon-Harder,

Dr. R. Seesemann, and Dr. S. Reese

Translated into Arabic by Haidar al-Bahadeli

Department of Translation, The Warith al-Anbiya

Institute for Specialized Studies on

the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

(١) تقدّم القسم الأول من البحث في مجلّة الإصلاح الحسيني في عددها ٣٣، والقسم الثاني في عددها ٣٤، من سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

ملخص البحث

[احتلت زيارة قبور الأولياء ومن له جنة روحية في نفوس أتباعه من الزعماء ورؤساء العشائر والطوائف الدينية، مكانة كبيرة لدى المسلمين القاطنين في مجموعة من البلدان، كالبلاد التركية، والبلقان، وآسيا الوسطى، والهند المسلمة، وإندونيسيا، ومجموعة من البلدان الإفريقية (وسط إفريقيا وغربها، والقرن الإفريقي)، فقد أُطلق على بعض أماكن الزيارة في هذه البلدان بـ(مكة الثانية)، بل نجد - في إندونيسيا مثلاً - أنّ بعض مواقع الزيارة اعتُبرت مراكز كونية تحتوي على نفس مقدار الطاقة الروحية التي يمكن استشعارها في مكة، ممّا جعل زيارتها تُصبح بديلاً عن الحجّ لمن لم يتمكن من الذهاب إلى مكة، إلى غير ذلك من الخصائص التي تتمتع بها تلك الأماكن.

إنّ هذا البحث عبارة عن ترجمة خمسة مداخل منشورة في دائرة المعارف الإسلامية إلى اللغة العربية، استعرض كلّ واحد منها مجموعة المزارات الموجودة في بقعة مكانية معيّنة، وبيّن ماهية تلك المزارات، ومدى اهتمام المسلمين الساكنين في تلك الأماكن بها، وكيفية أدائهم مراسم الزيارة إلى تلك القبور والضرائح المقدّسة، مضافاً إلى بيان نوعية ما يتلونه من نصوص هناك.

تمّ الاعتماد - وبشكل غالب - في هذه الأبحاث الخمسة على المنهج الوصفي في مجال عرض المزارات وبيان أماكنها التي أشرنا إليها، مع شيء من التحليل والتعليق الذي قد يُمارسه الباحث في بعض الأحيان.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، دائرة المعارف الإسلامية، المزار، القديس، القبر، المؤمنون، الطقوس].



Abstract

Ziyara to the graves of the “Saints” (Awliya, Vicegerents), and those who hold a spiritual position for their followers, such as leaders, tribal chiefs, and figures of a sect, is an esteemed act among the Muslims living in various places, such as the Turkish lands, the Balkans, Central Asia, Muslim India, Indonesia, and a group of African lands (Central and West Africa, and the African Horn). Some of the Ziyara places in these lands have been called *The Second Mecca*. In Indonesia, some Ziyara places are considered cosmic centers containing the same amount of spiritual power encountered in Mecca. Ziyara to these locations is thus considered a substitute for those who cannot afford to go to Mecca. Other features of these locations are also mentioned.

The article at your hand, is an Arabic translation of five entries from the Encyclopaedia of Islam. Each of these entries portrays the places for Ziyara at a certain location, the nature of these locations, the Muslim locals’ attention to them, the rituals to these sanctified graves and tombs, and the types of scripts and texts recited when conducted Ziyara.

These entries follow, to a great degree, the descriptive approach when presenting the places for Ziyara and their locations. Some analysis and commenting which the researcher might lean towards in certain instances, is observed in these entries.

Keywords: Ziyara, Encyclopaedia of Islam, places for Ziyara (Mazar), saint, grave, believers, rites.

[الزيارة في] البلاد التركية، ومنها البلقان وآسيا الوسطى^(١)

تعني كلمة (زيارة) في تركيا (الحجّ إلى قبر قدّيس والقيام بما ينمو عن الوفاء له). وهي مشتقة من (مزار، ومزار، وزيارت قاه)، وتُطلق أيضاً على المكان المقدّس نفسه، إلّا أنّ أسماء هذه الأماكن المقدّسة تتفاوتت تفاوتاً كبيراً باختلاف المناطق؛ فيقال: (تَكَّة) و(ثربة) في البلقان وتركيا، و: (بير) و(أوجاغ) و(إمامزاده) في أذربيجان، و: (قُنيز) و(لَقَار) و(مَقْدِس جاي) في آسيا الوسطى وغيرها.

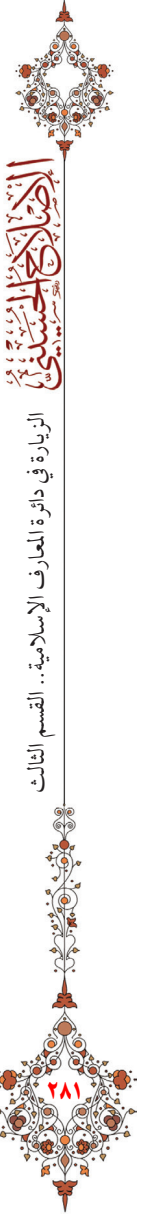
هذا؛ وإنّ لقبور القدّيسين في تركستان الصينية علامات، أبرزها الراية التي يُطلقون عليها (عَلَم)، وغالباً ما تسمّى الزيارة باسم الراية، فيقال: (توغ علم). والراية هذه عبارة عن عمود طويل يُشدّ في أعلاه ذنب حيوان، ويسمّى (تورا) أو (توغي مزار)، ويكثر وجودها بشكل منتظم بالقرب من الضرائح في آسيا الوسطى، بينما يندر وجودها في تركيا والبلقان.

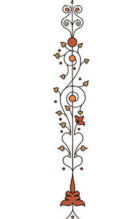
واعتادت الجماعات الصوفية في تركيا على تحفيز أتباعها على زيارة قبر قدّيس جماعتهم، أو قدّيس [من] الخلفاء العظام. وقد ساد أنّ مَنْ أراد الذهاب إلى الحجّ أن يزور عدّة أماكن قبل ذلك، فعليه أولاً زيارة قبر صحابي النبي ﷺ [أبي أيوب الأنصاري] رضي في إسطنبول، ثمّ قبر الصوفي حاجي بيرام ولي في أنقرة^(٢).

هذا؛ وقد أدّت بعض [أماكن] الزيارة في آسيا الوسطى دور البديل عن الحرم المكيّ؛ لبعدها عن مكّة [المكرّمة]، بل هناك اعتقاد سائد بين عوامّ الناس بأنّ العديد من الزيارات إلى أماكن معيّنة يُمكن أن تحلّ بدلاً عن الحجّ إلى مكّة [المكرّمة].

(١) للدكتور تيري زاركون، مدير الأبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي التابع لمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية/فرنسا.

(2) Hikmet Tanyu, *Ankara ve çevresinde adak ve adak yerleri*, Ankara, 1967, p. 67.





وأكثر الأحرار شهرة في هذه المنطقة هو حرم بهاء الدين نقشبند في (بخارى)، وحرم تحت سليمان في (اوش) الواقعة في قيرغيزستان الذي يطلق الناس عليه (مكة الثانية)، وحرم أبي يوسف الحمداني في (مرو) أو (ماري) في تركمانستان الذي يُسمى (كعبة خراسان). وهناك أيضاً مجسم يشبه الكعبة شُيّد قبل عدّة سنين بالقرب من الضريح الصغير لخراسان بابا في (اوبلاست^(١) قيزيل اورد) في كازاخستان، والعائلة المسؤولة عن سدائته تُعرّفه للكازاخيين بأنه (مكة الثانية).

وكان المتعارف في شرق تركستان مرور الزوّار بضريح ستوق بغرا خان في (أرتوش)، ثم الذهاب إلى ضريح آفاق خواجه هداية الله في (كاشغر)، ومن بعدها إلى ضريح إسحاق والي في (يرقند). وأمّا الآن فإنّ الزيارات الكبيرة في شينغيانغ تُؤدّى إلى مقامي اوردوم باديشاه في (ينجيسار)، وتويوق خاجام في (طرفان)^(٢).

والقيّمون على هذه الأماكن المقدّسة هم إمّا سدنة بسطاء (تربة دار)، وإمّا من سلالة القديس، وغالباً ما يكونون صوفيّين، وتتمثّل مهمّتهم الرئيسة في المزارات التي يُحكمون سيطرتهم عليها، بالتشفّع للزوّار وإرشادهم وتوجيههم إلى الأعمال العبادية المناسبة. كما ويُشرف هؤلاء السدنة على قبض الصدقات والعطايا (المال، والحبوب، والحيوانات، و... إلى آخره)، التي تُسمّى في تركيا والبلقان (أداك أو نذر) وأحياناً (نياز)، بينما يمكن مصادفة مصطلحات أخرى [لهذه العطايا] في آسيا الوسطى مثل (صدقة)، والمركّب العربي - الفارسي - التركي (نذر نياز منليك).

وتُمنع النساء من ريادة أماكن العبادة هذه [حسب المتطرّفين]، إلّا أنّهنّ يشكّلن الجزء الأكبر من الزوّار، إذ اشتهر معظم القديسين بقدرتهم على علاج مشكلات النساء الخاصّة (كعدم الخصوبة، والعنوسة، و...)، وأيضاً علاج جميع أنواع

(١) أي المنطقة. المترجم.

(2) Abdurahim Habibulla, *Uyghur etnografisi*, Shinjang Khalk Nashriyati, Urumci, 1, [1993], p. 349.

الأمراض^(١). ولكن تبقى دوافع وأسباب الزيارة متنوّعة، فالرجال يزورون من أجل العبادة، أو لأسباب عرفانية، أو حتى للشفاء، أو النجاح الاجتماعي، أو غير ذلك، علماً أنّ معظم الأعمال العبادية هي نفسها التي تُمارس في بقية العالم الإسلامي مطعّمة ببعض الخصائص المحليّة، فالطواف حول القبر - مثلاً - يؤتى به مشياً، ولكن في بعض المقامات يحبو الزوّار حول القبر كما في [زيارة] الحاجّ بكتاش في (الأناضول)، وفي بعض المقامات يكون [الطواف] مصحوباً بتبخير بعض النباتات العطرية أو الطيّبة. وقد يُطاف حول شيء مقدّس يقع بالقرب من القبر، مثل الشجرة المغروسة عند ضريح بهاء الدين نقشبند، التي ناهز عمرها مئة عام، وقد يُقدّس شيء غير القبر، مثل حجرة سوداء أو قرن كبش، كما هي الحال عند الضريح المذكور آنفاً، أو حتى (قدر) كما عند ضريح أحمد يساوي في (تركستان)، و ضريح الحاجّ بكتاش في (كازاخستان)، وما شابه ذلك.

وبالإضافة إلى الطواف فقد يُقبّل الزوّار القبر أو عتبة الباب أو جوانبه المؤدّية إلى حجرة القبر، أو أي شيء آخر مرتبط بالقدّيس. وهناك طقس شائع - خاصّة في العالم التركي - وهو تعليق قطع من القماش على الأشجار القريبة [من المقام]، أو على نوافذ المقام، وقد يرى المرء جلود الأغنام المنتفخة^(٢) (في مثل قبر موسى الكاظم في خوتان في شرق تركستان). وقد يمكن الزوّار في المقام لساعات أو ليلة، ويُشاهد ذلك في العديد من المقامات.

وأما النصوص التي يقرأها من يقوم بدور الوسيط في المقام فتقتصر على بعض

(١) راجع:

Liliana Masulovic-Marsol, *Tombes de saints musulmans et guerison; une approche anthropologique*, in *Cimetieres et traditions funeraires dans le monde islamique*, Ankara 1996.

(٢) [وهي تعبير عن قرب الماء قديماً التي تؤخذ من جلود الأغنام بعد دبغها بطرق معروفة قديماً، فيحفظ فيها الماء أو غيره].

السور القرآنية - وعادة ما تكون سورتي الفاتحة ويس - وغيرها من النصوص والأوراد التي رَسَّختها قرون من العادات، وقد يقرأ الوسيط الشعر الفارسي كما عند عمر الخيام في (طاجيكستان)، أو يهتف بهتافات تُركية تُسمَّى (غولبنك) أو (تَرْجَمان) كما عند حاجي بكتاش.

وعند المقامات الكبيرة للزيارة، مثل تلك التي ذكرناها، أو مثل نُحْت سَليمان، فلا يقتصر الأمر على الطواف، بل هناك سلسلة من العبادات تُمارس في الكهوف بالقرب من بعض الصخور أو الينابيع أو الأشجار المقدَّسة، أو غيرها من الأماكن^(١). وبالرغم من إدانة المسلمين [المتطرفين] للزيارة إلا أنَّها بقيت حيَّة في العالم التُّركي؛ بركة مكانتها المهمَّة في المعتقد الشعبي، ومن المسلَّم به أنَّ طقوس الزيارة قد مرَّت بتغييرات، وربَّما اندثرت ولم يبقَ لها أثر إلا في بعض المقامات في ظلِّ الأنظمة الماركسية في البلقان وآسيا الوسطى وشينغيانغ، وهكذا الحال في تركيا الأتريكية، إذ أدَّت [حركة] رفع القدسية إلى تغيير جذري في ممارسة الزيارة في بعض الأماكن المهمَّة (مثل: مقام حاجي بيرام ولي، ونُحْت سَليمان، وآفاق الخواجه).

ومع تضاؤل المعتقدات الأتريكية في تركيا منذ الخمسينيَّات ونهاية الشيوعيَّة في الاتحاد السوفيتي، أُعيدت الزيارة بأُسُس جديدة مع المحافظة على السنن القديمة، ولا تزال شريحة كبيرة من الأوساط الشعبية تؤدِّي الزيارة في شينغيانغ بالرغم من حظرها بعض الأحيان والسماح بها أخرى، إلا أنَّ السلطات لا تزال تُمنع إقامتها^(٢).

(١) وعلى سبيل مثال (نُحْت سَليمان) أنظر:

Zaim Khenchelaoui, *Le mythe et le culte de Salomon dans Vespace musulman*, doctoral thesis, EHESS, Toulouse 1998.

(٢) أنظر:

Th. Zarcone, *Quand le saint legitime la politique. Le mausolee de Afaq Khwadja a Kashghar*, in *Central Asian Survey* (1999).

[الزيارة في الهند المسلمة^(١)]

وفي الهند المسلمة - باستثناء شمال شرق باكستان - يُشير مصطلح (زيارة) غالباً إلى القبر أو المكان الذي يُقصد، وأما في أماكن أخرى في شبه القارة الهندية، فيقال للزيارة: (زيارت)، ويُطلق على القبر الذي يُزار (مزار)، بينما تسمّى قبور القديسين المشهورين (درقاه)، أي قصر؛ إذ إنّ القديس يُعامل وكأنّه السيّد الحقيقي في المنطقة، حاله حال السلطان.

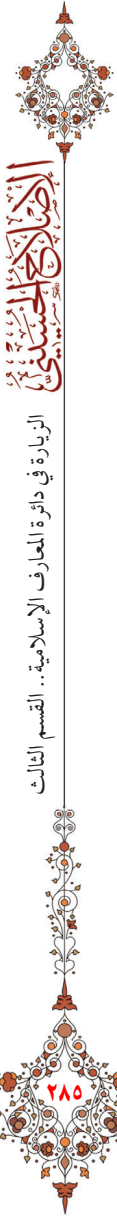
ثمّ إنّ أكبر أماكن الزيارة في الهند تعود لمقابر القديسين العظماء الخمسة من فرقة أخوة جشّية، ويقال: إنّ زيارة هذه القبور الخمسة تُضاهي الحجّ إلى مكّة [المكرّمة]. وهناك قديسون آخرون يُعتبرون محليين، إلّا أنّهم مشهورون جداً، مثل غازي ميان في (بكرانج) الواقعة شمال الهند.

وتؤدّى هذه الزيارات في أيّ يوم، وخاصّة في المساء. وتؤدّى الزيارات الفردية والجماعية مرّة في الأسبوع مساء يوم الخميس عادةً، أو لا أقلّ مرّة في الشهر. وتُنظّم مراسم كبيرة سنوياً في ذكرى وفاة القديس، وتُعرف باسم الـ(عُرس)، أي (الأعراس العرفانية)، ولا تُعرف بالـ(مولد) كما هي الحال في العالم العربي، وتُسفر هذه المراسم عن زيارات ضخمة يحضرها المؤمنون بأعداد كبيرة. وسنسلّط الضوء على الأعياد الكبرى من أجل تحليل عناصر الزيارة.

[عناصر الزيارة في الهند]

أولاً: الرحلة؛ فهي السفر من مكان إقامة الزائر إلى المزار، ثمّ العودة ثانية في موكب مشابه لمواكب الزفاف، فيه حاملو اللافتات والموسيقيّون وربّما الراقصون أيضاً، ويُعتبر وجودهم في مقدّمة الموكب فالاً حسناً. وأشهر موكب في تاريخ الهند هو

(١) للدكتور مارك قابوريو، المدير الفخري للدراسات والأبحاث في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية/فرنسا.



الموكب الذي كان يذهب إلى حرم غازي ميان في شمال الهند، والذي أحبَّ مشاهدته الامبراطور المغولي [جلال الدين] أكبر ([فترة حكمه] ٩٦٣-١٠١٤هـ/ ١٥٥٦-١٦٠٥م).

[ثانياً:] تكريم القبر؛ إذ يقترب المؤمنون واحداً تلو الآخر لتكريم القديس المدفون هناك، فيلمسون القبر ويضعون العطور والزهور في المكان ويدورون حوله، وهو ما يُسمّى بـ(الطواف). وفي الهند يُطاف مع حركة عقارب لساعة؛ إذ يعتبر الهندوس ذلك فالاً حسناً، بخلاف الطواف في العالم العربي الذي يؤدي على العكس من حركة عقارب الساعة. وهذه علامة على التقاف يبدو أنّها لم تلاحظ إلا قليلاً.

[ثالثاً:] المعاملة بين المؤمن والقديس والرب؛ وتعتبر أهمّ لحظة في الزيارة، وهي مثار للتفسيرات المتضاربة، فالرأي القديم الصارم المستوحى من الصياغات الموجودة في الأدعية يذهب إلى وجوب تقديم النذورات وتوجيه الدعوات إلى الله [جلّ جلاله] مباشرة، ثمّ سؤاله أن يمنّ على القديسين والمؤمنين [بالبركة].

وأما التفسير العفوي للمعتقدين فهو مختلف تماماً، فهذا الرأي يرى أنّهم بتقديمهم الصلوات والدعاء والهدايا والنذورات للقديس يحصلون على شفاعته عوضاً، فينالون بها النعم المادّية أكثر من الروحية.

هذا؛ وقد كان الفاتحون المسلمون يطلبون النصر [من القديس]، ولا يزال السياسيون يأتون ويلتمسون منه التوفيق إلى يومنا هذا، فقد تشبه هذه المعاملات النذر في كونها نوعاً من المساومة التجارية، حيث يتعهّد المُعتقّد بأداء عمل أو إهداء شيء ما في قبال شيء يناله.

[رابعاً:] تضحية الحيوانات باسم القديس، أو تقديم باكورة الثمار الأولى من محصول السنة إليه، وهو عنصر نادر ومحليّ، وتتناول هذه الهدايا في مأدبة طعام.

[خامساً:] استخدام النغم والحركات كوسيلة مع الإنشاد؛ وقد يُوصف هذا العنصر بأنّه بهيج. ويُفضّل أن تحتوي [الأناشيد] على ذكر عرفاني يتغنّى به موسيقيّون

متدربون تدريباً خاصاً، ويُسمَّون (القوَّالون)، وربَّما يستعينون بحركات تبعث على السرور. وقمة الإثارة الجميلة تحصل عندما يموت المرء من الانهماك في أثناء تلك الحركات، وفشا ذلك في الصوفية الهندية، وبالأخصَّ عند مرقد معين الدين جشتي في (أجمير).

[سادساً:] خصائص فريدة للمرقد أو الحرم؛ وهو العنصر الأخير. ففي مثل مرقد بابا فريد الدين جشتي في باكستان، توجد بوابة هي بمثابة (باب الجنة) لا تُفتح إلا في الوليمة السنوية، ويضمن مَنْ دخل منها الجنة. وكان غازي ميان يشفي مَنْ يُصاب بالجذام.

وهكذا زيارات تتيح للمعتقدين الفرصة بالابتعاد عن الأجواء اليومية، والارتباط بالعالم الربَّاني بواسطة القديسين، ولعلَّهم يستشعرون الآخرة بالنشوات [الحاصلة عند الزيارة]، ومن ثمَّ يعودون آمليين بنعم في هذه الدنيا وبأمان في العالم الآخر.

وبالرغم من استعارة هذه الزيارات الكبيرة لعناصر هندية - حتى أنَّها تُسمَّى (ميلاً)، ما يعني السوق، كما تُسمَّى احتفالات الهندوس الكبيرة - إلا أنَّ سمتها الغالبة هي سمة إسلامية؛ وذلك لأنَّ العناصر متمركزة حول مراقد القديسين لا الآلهة، فهي تخاطب الشعائر والطرق العرفانية المتعارفة عند المسلمين.

[الزيارة] في إندونيسيا^(١)

إنَّ زيارة أماكن ذات وقع روحي أو تأثري ممارسة ثابتة في معظم أنحاء إندونيسيا، وتُسمَّى (زياراه) بالإندونيسية الرسمية، وهناك مواقع مقدَّسة عديدة في مختلف أنحاء الأرخipel، أغلبها ذات أهمِّية محليَّة لا غير، ولكن منها ما يستقطب زوّاراً من كلِّ حدب وصوب من البلد.

(١) للدكتور نيلي وان دورن هاردر، بروفيسور في جامعة وايك فورست - نورث كارولينا/ أمريكا.



ثم إن مواضع الزيارة تنقسم إلى نوعين أساسيين: [أولهما] قبور القادة الدينيين والحكام المسلمين، كالقديسين والملوك والأشراف. و[ثانيهما] أماكن مُترعة بالأزهر؛ لإحاطتها بالطبيعة.

وأكثر القديسين شعبية هم الأولياء التسعة (والي سانقا) - وهم أول من نشر الإسلام في إندونيسيا - بينما تحظى قبور مؤسسي (البيسنترين)^(١) الذين يُطلق عليهم لقب (الكياي)^(٢) بالشهرة المحلية، ويزورها الناس - وخصوصاً خريجي وطلاب البيسنترين - أسبوعياً^(٣).

وأغلب القبور لها حرم، ويكون قبر القديس الرئيس في وسطه، ويدفن تلامذته وأفراد أسرته حوله.

هذا؛ وإن أسباب الإقبال على الزيارة متنوعة، كطلب حاجة من القديس، أو الدعاء والوفاء بالنذر، أو طلب البركة أو القوة، أو معرفة خفية (نقلمو).

وتشهد عدّة مواقع للزيارة - تعود إلى العهد السابق على الإسلام في جاوة - على العملية التدريجية للأسلمة التي استوعبت التوافق الكائن بين الأديان بالنسبة للمعتقدات والممارسات الهندوسية البوذية الجاوية (اجاما جاوي). وهذه التأثيرات [الإسلامية على المنطقة] أدّت إلى ظهور الإسلام في الوسط الأرثوذكسي (اسلام سان تري) الذي تولّى عملية تأسيس الأعراف الممارسة في العديد من مواقع الزيارة^(٤). وكانت بعض المعتقدات السائدة قبل العهد الإسلامي تؤمن بخاصية بعض

(١) البيسنترين: هي مدارس داخلية إسلامية في إندونيسيا. المترجم.

(٢) الكياي: لقب يُطلق على العالم المسلم أو الفائد الإسلامي. المترجم.

(3) Z. Dhofier, *Tradisi pesantren, studitentang pandangan hidup kiyai*, Jakarta 1985, Eng. tr. *The role of the Kiai in the maintenance of traditional Islam in Java*, Tempe, Arizona 1999.

(٤) للاطلاع على المعتقدات الجاوية أنظر:

Koentjaraningrat, *Javanese culture*, Singapore 1985.

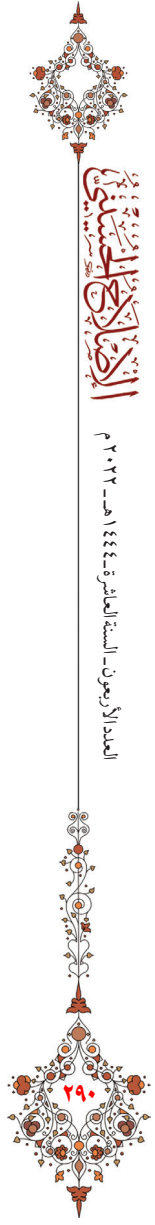
الأماكن الطبيعية المعينة، مثل الجبال التي لها روحية كونية، مما أسفر ذلك عن وضع قبور مقدسة على قمم تلك الجبال. ثم إن هذه المعتقدات السابقة على العهد الإسلامي تأثيراً خاصاً وملحوظاً على العديد من العناصر المعمارية، وتشهد بذلك بوابة الدخول عند قبور الأولياء التسعة، مثل: (سونن امبل) و(سونن قيري) في شرق جافا، و(سونن بيات) في تمبايات وسط جاوة.

وتعتبر بعض المواقع مراكز كونية تحتوي على نفس مقدار الطاقة الروحية التي يمكن استشعارها في مكة؛ وعليه تصبح الزيارة بديلاً في عالم الملايو للمسلمين الذين لا يسعهم الحج إلى مكة، ومن هذه المواقع جبل جونونج سيريم في (كونينجان)، حيث يعتقد المسلمون الإندونيسيون أن تسلق هذا الجبل ثم الحدور منه ثلاث مرات يُضاهي الحج إلى مكة. وهناك مواقع أخرى، مثل كوبور بانجانغ في (ليران) الواقعة في (غريسيك)، حيث يذهب إليها الحجاج من أجل التحضير للحج.

ويتم تحديد وقت أداء الزيارة من خلال نظام معقد، وذلك بعمل دورات أسبوعية بناءً على التقويمات الإسلامية والجاوية، فيعتقد أن الأوقات التي تكون فيها طاقة الضرائح قوية بشكل خاص هي ليالي الجُمع، عندما يتزامن أول يوم من الأسبوع الجاوي المتكوّن من خمسة أيام مع الأسبوع الإسلامي المكوّن من سبعة أيام، وتسمى جمعة كليوان، أو جمعة باينغ، أو جمعة لغني، ففي هذه الليالي يُسمح بالدخول إلى موقع الضريح. وأما في الأيام الأخرى فبإمكان الزوّار نيل البركات من الحرم وبقية المقام لا غير.

وتعتبر هذه الأوقات الخاصة أفضل وقت لطلب شفاعة القديس، وطبق تقاليدهم يجتمع طلاب الكيائي أسبوعياً عند قبر سيدهم، وتُفضل ليلة الجمعة على سائر الليالي لهذه الزيارة، بينما يُفضل أداء الزيارات الإسلامية الجاوية في ليلة ما يُسمى (ليلة السورة الأولى) من الشهر الأول من السنة الجاوية.

وتتبع طقوس كل زيارة القبر المزار، سواء كان إسلامياً بحتاً، أم هندوسياً



جاوياً، ففي ضريح إيموجيري في جنوب (يوجيا كارتا) - وهو موقع دفن الملوك الجاويين الأوائل لإمبراطورية ماتارام - هناك شعائر مختلفة يتبناها الزوّار، فمنهم من يُمارس طقوساً جاوية بحتة، بينما يلتزم بعضهم بالإسلامية منها فحسب. هذا؛ وإنّ الطقوس الجاوية تحمل شيئاً من نسكية ممارسة التأمل الجاوية المعروفة بـ(السَمِدي والتابا)، والغرض منها الحصول على قوّة سحرية من أحد الملوك [الجاويين] الذي كانت له بسطة في يوم من الأيام، بالإضافة إلى تقديم القرابين (سِساين) في مأدبة احتفالية مباركة (سَلاماتان).

ثم إنّ الجنبّة الإسلامية لهؤلاء الملوك يتمّ تكريمها بتلاوة شيء من القرآن بالقرب من قبورهم، أو أداء الـ(تهليلان)، وهو نوع من الأذكار^(١). بينما تكثر الطقوس والممارسات الإسلامية مثل تلاوة القرآن، أو قراءة ذكر، أو الـ(تهليلان) عند قبور الأولياء المسلمين، ويُعقد كلّ عام حفل (الخاول) تكريماً واستذكراً ليوم وفاة أو ولادة الولي، وقد تستغرق هذه الاحتفالات يوماً واحداً، وقد تمتدّ إلى أسبوع كامل. وتشبه هذه الاحتفالات احتفالات (المولد) التي تُقام في الشرق الأوسط، ويتكوّن برنامج حفل (الخاول) من خطب يُقدّمها بعض القياديين المسلمين، مع تلاوة شيء من آيات القرآن الكريم، ويتخلل هذه الاحتفالات معارض وأسواق بيع الأطعمة وتوزيعها. وفي اليوم الذي يُحتفل فيه بالولي يتمّ تغيير قطعة القماش التي كانت تُغطّي قبره طيلة العام بقطعة جديدة توضع على القبر.

وأما الطقوس التي كانت سائدة قبل انتشار الإسلام في هذه المناطق، من قبيل شرب الماء المبارك، ونثر الورود على القبور، وتناول وجبة مباركة مع الآخرين، فهي ممارسات يُسمح بها في جميع الضرائح.

(١) أنظر:

Woodward, Mark R., *Islam in Java*, ch. 5; Pemberton, John, *On the subject of "Java"*, Ithaca and London 1994, ch. 7.

وأما الـ(جورو كونجي)، أي السدنة، فهم يشرفون على تأدية الزيارة بآتم وجه، وهم الذين يسمحون للزائرين بالتقرب من الضريح، ويتولون مهمة حمل السيرة المكتوبة للولي مع باقي مخطوطات وكتابات العبادة باللغة الجاوية والعربية ويقدمونها إلى الولي [صاحب القبر]، ويتم ذلك كله في مراسم إسلامية يُقرأ فيها الـ(تهيلان)، ويتقدم الجميع الـ(كياي) المحليون وشخصيات إسلامية أخرى.

وقد تتأثر الزيارة الشعبية في إندونيسيا بالأعراف السائدة في زيارة قبور الأقارب المتوفين^(١) (نيه كار)، التي تتم غالباً في الأسبوع الذي يسبق شهر رمضان، ولهذه الزيارة مقاصد، من قبيل تنظيف القبور، أو تلاوة النصوص الدينية من أجل الميت، أو حتى من أجل طلب البركة من الأسلاف الماضين.

والزيارة هي ظاهرة منتشرة في جميع أنحاء عالم الملايو، وذكر سنوك هورقرونيه (Snouck Hurgronje) أن الزيارة إلى مقابر الملوك أو القديسين المسلمين في (آتشي) هي من أجل الوفاء بالنذر^(٢)، إلا أن العديد من الجماعات الإسلامية تعتبر هذه الممارسة مخالفة للإسلام، بينما يؤيد أداء الزيارة مسلمو إندونيسيا التابعون إلى جماعة (نهضة العلماء)، وهم تنظيم من الـ(كياي) ذات عقلية جاوية تقليدية. ومن جانب آخر ترفضها الجماعة الإصلاحية المعروفة بالـ(المحمّدية).

هذا؛ وإنّ الملاحظ أنّ القدر الضئيل نسبياً المتوفّر من الأدب المعاصر والتاريخي ممّا كُتب حول ممارسة الزيارة، كُتب غالباً من قبل علماء غربيين، فلم يُكتب عن [الزيارة في] ماليزيا إلا مقال واحد كامل مؤلّفه آر. او. وينستد (R.O. Winstedt)^(٣).

(١) تُسمّى زيارة الأقارب في العرف الشعبي بـ(نيه كار).

(2) Snouck Hurgronje, Christiaan, *The Achehnese*, Leiden 1906, ii, p. 293.

(3) R.O. Winstedt, *Karamat, sacred places and persons in Malaya*, in *Journal of the Malayan Branch of the RAS*, (1924), p. 264-279.

الزيارة في وسط إفريقيا وغربها^(١)

(الزيارة) هو مصطلح فني وُضع لزيارة قبور القديسين، واكتسب معنىً واسعاً في وسط وغرب إفريقيا، فيتضمّن عدّة معانٍ، منها: الزيارة النقية أو الخالصة لشيخ حيٍّ أو ميتٍّ، أو زيارة الاحتفالات التي تُعقد من أجل الاحتفال بحياة قديس ما. ومع ذلك فلا يوجد سوى إشارات معدودة إلى الزيارة في المصادر [المرتبطة بالزيارة في إفريقيا]، بينما يُستخدم المصطلح بمعنى (المكان المقدّس) في أجزاء من آسيا المسلمة.

وانتشرت ممارسة الزيارة مع توسّع الطرق والمذاهب الصوفية، ولا سيّما القادرية والتيجانية منها، وعلى الرغم من ضآلة الأدلة التاريخية، إلّا أنّه يبدو أنّ المقابر أصبحت وجهة الزيارات المتديّنة في (آير) ومنطقة (تمبكتو) خلال القرن السادس عشر، وبدأت ممارسة الزيارة في (سوكوتو) عند وفاة عثمان بن فودي، فبعد وقت قصير من وفاته (عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م) أضفى ضريحه معلماً يُزار.

وفي وقت مبكّر من النصف الأوّل من القرن التاسع عشر من الميلاد، احتفل أتباع كلّ من القادرية والتيجانية بالذكرى السنوية لمناسبة مولد عبد القادر الجيلاني المتوفّى (عام ٥٦١هـ/ ١١٦٦م) في شهر ربيع الأوّل، أو بمناسبة الحولية لأحمد التيجاني (ت ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م) في شهر صفر^(٢).

هناك أيضاً أدلة تُفيد بأنّ أداء الزيارة إلى قبر النبي [محمد ﷺ] في المدينة كان عرفاً معمولاً به عند أغلبية الأفارقة - إن لم نقل كلّهم - ممّن يؤدّون فريضة الحجّ.

وفي القرن العشرين أصبحت زيارة قبور الأولياء ممارسةً شائعةً لعامة المسلمين في غرب ووسط إفريقيا، فعلى سبيل المثال: يمكن الإشارة إلى السنغال ومدينتيها

(١) للبروفسور روديقر سيسمان من جامعة بايروت/ ألمانيا.

(٢) الحولية: أي الذكرى السنوية. (المجلة).

المقدّستين (توبا) و(تيفوان) اللتين تضمّان قبر أحمدو بامبا، مؤسس طريقة المريدية الصوفية، والحاجّ مالك ساي، مؤسس أكبر فرع للطريقة التيجانية في البلاد. ومع هذا يبدو أنّ الزيارة - بمعنى زيارة قبر رجل مقدّس - ليست ممارسة منتشرة في جنوب الصحراء الكبرى لإفريقيا كما هي الحال في المغرب أو في مصر، وهي حقيقة يؤكدها تريمغهام بقوّة - وربما بالغ في ذلك بعض الشيء - إذ هناك عدد قليل من الضرائح التي يمكن العثور عليها في هذه المنطقة، وأقلّ منها الضرائح التي تعلوها قبة، فبدلاً من زيارة الموتى تُطلب الشفاعة في هذه المنطقة من الأحياء.

وتشير كلمة (زيارة) في السنغال إلى زيارة المهرجانات السنوية التي تُقام بمناسبة عيد ميلاد أحد القديسين أو وفاته، أو أيّ حدث مهمّ آخر في حياته، والمكان الذي يُقصد في هذه الزيارات ليس بالضرورة قبر القديس، ف(توبا) هي وجهة الـ(ماقال)، وهو حجّ يُقام في شهر صفر لإحياء ذكرى رحيل أحمدو بامبا إلى منفاه في (الجابون) عام ١٨٩٥ م، ولم يخلُ هذا المهرجان من الأهمية السياسية منذ الماضي، بل إنّ السنوات الأخيرة شهدت حضوراً من المشاركين يبلغ تعدادهم المليون نفر.

وإضافة على الـ(ماقال) الكبير [المشهور]، يحتفل أعضاء طائفة المريدية في الوقت الحاضر باحتفالات (ماقال) بعدد متزايد من الزعماء الدينيين الذين يتمتّعون بمكانة متوسطة الأهمية [بين الناس]. وكذلك يحشد قادة الطريقة التيجانية أتباعهم لحضور اجتماعات منتظمة تُعرف باسم (جامو)، وهو مصطلح وضع في الأصل لاحتفالات المولد النبوي. ويعتبر (جامو) شهر ربيع الأوّل أهمّ حدث في تقويم الزيارة للطريقة التيجانية السنغالية، وإلى يومنا هذا تُقام احتفالات ماثلة على مدار العام لإحياء ذكرى القادة التيجانيين.

وبسبب قلّة البحوث في هذا الحقل يصعب البتّ وذكر شيء محدّد عن ممارسة الزيارة في أجزاء أخرى من غرب ووسط إفريقيا، باستثناء بعض الكتب الإرشادية للزوّار ومذكرات سفر كتبها علماء نيجيريّون عن زيارة قبر النبي [ﷺ] في المدينة،



أو قبر أحمد التيجاني في فاس. ولا يوجد ذكر في أدب الاحتفالات المخصصة عن المناسبات المقامة للرجال المقدسين النيجريين، خلا ما جاء حول زيارة قبر عثمان بن فودي، ويحتمل وجود ذكر لها عند أتباع الطريقة القادرية في (كانو) على سبيل المثال لا الحصر.

وتستخدم لغة الهوسا والمتحدثون باللغات الإفريقية الأخرى الكلمة العربية (زيارة) للإشارة إلى هذه الزيارات الدينية.

وفي مدينة (نيورو دو) ساحل في مالي، يُنظّم أفراد السلالات الدينية مناسبات سنوية يحضرها أتباعهم من أماكن بعيدة.

ويُشير مصطلح (الزيارة) إلى الحجّ الذي يقوم به الأتباع في الاحتفالات التي تُعقد تكريماً لأحد الأولياء، كما ويُفيد معنى الزيارة الرسمية بين الناس في المناسبات الاجتماعية المختلفة، وفي أوسع معانيه يُفيد ظاهرة زيارة الناس لرجل مقدّس في مناسبة معيّنة.

والأغراض من هكذا زيارات مختلفة: بعض يزور من أجل التبرّك، أي حتى ينال الزائر بركة الولي المزار. وبعض بدوافع أكثر أهميّة، مثل طلب الدعاء منه، أو طلب المساعدة في مسألة معيّنة دنيوية. وقد يقصد الرجال والنساء من يسمّى (الشيخ) حتى يحصلوا على دواء لعُقمهم، أو لكي يداويهم بقدراته العلاجية. وقد يطلب الفلاحون من الشيخ إبعاد الجراد [عن محاصيلهم بالدعاء]، أو الصلاة لأجل أن ينزل المطر.

ومن خاصّيات الزيارة في إفريقيا الغربية تقديم الهدايا للشيخ، وقد أصبحت هذه العادة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالزيارات، لدرجة أنّ مصطلح (الزيارة) في بعض المناطق لا يعني فقط الزيارات المتعارفة، بل صار مصطلحاً للتبرّعات العينية والمالية التي يستلمها الشيخ من أتباعه، وفي ضوء ذلك قد يقوم الزعيم الديني برحلة لجمع (الزيارة) [بمعناها الجديد]، ولا سيّما في حالات عدم تمكّن أتباعه من السفر لرؤية

شيخهم، وعليه يصحّ التعبير بأنّ الزيارة هي الرابط المباشر بين الشيخ الحيّ وأتباعه في الطريقة الصوفية.

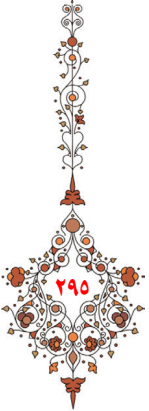
هذا؛ وإنّ أتباع الطريقة التيجانية المنتسبين إلى الشيخ السنغالي إبراهيم نياسي المتوفّى (عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) يؤدّون الزيارة في عيد المولد النبوي، عندما تتجمّع حشود ضخمة للاحتفال في مدينة (كانو)، ومدينة (كاولاك) مسقط رأس نياسي. وعلاوة على ذلك فقد اعتاد نياسي دعوة أتباعه لزيارته - لا أقلّ - مرّة واحدة في السنة؛ لتقديم التبرّعات له مقابل الحصول على بركة سيّدهم، ولهذا يُحدّد موعد كلّ عام بعد الحصاد، وهو الزمن المرجّح لتبرّع أتباعه من المناطق الريفية بمبالغ كبيرة من المال، أو بالمساهمات العينية، وقد لُقّن الأتباع أنّ الزيارة هي مفتاح باب الهداية الصحيحة والفلاح.

واستمرّ زعماء الطريقة التيجانية - المنتمون إلى نياسي - باعتماد هذا المنهج مع أتباعهم في أماكن أخرى من الصحراء الجنوبية في إفريقيا، حتى أنّهم قد يغتزمون فرصة [حضور أتباعهم عندهم] للوعظ والإرشاد. وفي الآونة الأخيرة أقام تلاميذ نياسي في بلدان السنغال وغامبيا وغانا ونيجيريا والكاميرون وتشاد، مهرجاناً في الخامس عشر من رجب احتفالاً بميلاده.

[الزيارة في القرن الإفريقي^(١)]

تُعتبر الزيارات ظاهرة إسلامية في القرن الإفريقي كما هي الحال في مناطق العالم الإسلامي الأخرى، إلّا أنّ المصادر الأولى والثانوية التي توضّح - بشكل مفصّل - مثل هذه الزيارات محدودة، وعلى الرغم من ذلك يمكننا تقديم صورة تقريبية لهذه الممارسات الشائعة بناءً على المعلومات التي في حوزتنا، فالمواقع التي يتمّ تبجيلها على نوعين:

(١) للدكتور سكوت ريس، بروفيسور من جامعة شمال أريزونا - أمريكا.



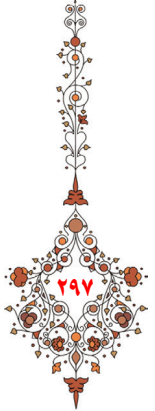
الأول: يضمّ مواقع قبور الأسلاف الذين يتمتّعون باحترام خاصّ؛ لمكانتهم كمؤسّسي عشائر حملت أسماءهم، وباعتبارهم قديسين تقليديّين يُنسب إليهم دور بارز في ترويح ونشر الإسلام في المنطقة.

الآخر: يضمّ رجال دين معاصرين ذاع صيتهم؛ بسبب نشرهم الطرق الصوفية في أواخر القرن التاسع عشر، ويتمّ تبجيلهم؛ لتقواهم وارتباطهم المباشر مع السماء. وبغضّ النظر عن الغاية [من الزيارة] سواء أكانت لتحقيق دعم مادّي في هذا العالم، أم للارتباط الروحي بعالم الآخرة؛ فإنّ الزيارة إلى مراقد هؤلاء الأفراد المباركين له مكانته الخاصّة في حياة المسلمين في منطقة القرن الإفريقي وشرقها.

ومن أبرز مراقد النوع الأوّل قبرا الشيخين إسحاق ودارود، مؤسّسي عشيرتي إسحاق ودارود الصوماليّتين، ويُعتقد أنّهما كانا مهاجرين من جنوب الجزيرة العربية، ويذكر الموروث الصومالي أنّهما من الأشراف ويقدّس مكانا دفنهما، وجُعل منهما موقعين للزيارة السنوية. فعلى سبيل المثال: أنّ الزيارة إلى القبر المنسوب إلى الشيخ إسحاق تقع بعد وقت قصير من حصاد الحبوب في منطقة إسحاق في الشمال، حيث يجتمع الآلاف من الزوّار - أغلبهم من عشيرة إسحاق، بالإضافة إلى العشائر ذات الصلة بهم - عند قبر الشيخ في (مايت) على الساحل الصومالي الشمالي، وكذلك في المقامات الأخرى المشيّدّة باسمه في جميع أنحاء الشمال.

ويُشير (أي. ام. لويس) إلى أنّ مثل هذه الزيارات أخذت شكل الزيارة الدينية، إلّا أنّ الهدف الأساس من هذه الاحتفالات هو تعزيز وحدة العشيرة وهويّتها الاجتماعية، وليس الغاية منها التوسّل بروح القديس.

ثمّ إنّ أماكن الدفن التقليدية للرجال المقدّسين الذين كان لهم دور في نشر الإسلام في القرن الإفريقي مقصد شعبي للزيارة، ومن أبرز تلك الأماكن ضريح الشيخ مؤمن عبد الله في (باي)، والشيخ أو بركادله بالقرب من (هرجيسا) في الصومال، وضريح الشيخ نور حسين من (بايل) في إثيوبيا، ويقدّسهم الناس؛



بصفتهم دعاة للعقيدة الحقّة [عندهم]، كما ويبتجلونهم؛ لكونهم رعاة وحُماة للناس. إنّ رجال العشائر الصومالية في (باي) كثيراً ما يزورون قبر الشيخ مؤمن من أجل تحصيل الحماية لمحاصيلهم الزراعية من الطيور المفترسة، بينما يعتبر أوبركادله - المشهور بتدميره الساحر الشرير بوعور باعير - الضامن للخصوبة والحماية من الإجهاض. كما ويُعظّم الشيخ نور حسين من قبل الأورومو في إثيوبيا؛ باعتباره راعياً عامّاً ومسؤولاً عن رفاهيّتهم العامّة، هذا وقد نُزل عندهم منزلة الأيقونة المركزية لهويّتهم الإسلامية.

بالإضافة إلى هذه المواقع الخاصّة التي تحظى بها الشخصيّات التقليدية؛ فإنّ مقابر الشخصيّات الدينية المعاصرة، وخاصّة تلك المرتبطة بالحركة الصوفية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، هي أيضاً تحظى بتبجيل من قبل الناس، فضرائح المبادرين الأوائل لنشر الطُرق [الصوفية] تمثّل المواقع الرئيسيّة للزيارة، كما يزور أتباع الطُرق قبور الشخصيّات الأقلّ مقاماً في ضمن نطاق طريقتهم. ومن أشهر المواقع الرئيسيّة قبر الشيخ عبد الرحمن زيلعي في (كونكول)، والشيخ أويس محمد البراوي في (بيوله)، والشيخ عبد الرحمن صوفي في (مقديشو)، وجميعهم من الشخصيّات الكبيرة في الحركة القادرية القوية أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وعلى الرغم من زيارة بعض قبور هؤلاء القديسين لأغراض خاصّة، إلّا أنّ أغلب الزوّار يأتون قاصدين التنوير والقرب الروحي من القديس الذي سيجعلهم بمقربة من الله، وهذا ما أفاده أحد زوّار قبر الشيخ أويس - وهو من ذوي الفضيلة العلمية - إذ قال: (لا يوجد عازل بين قبر النبي وقبر أويس)⁽¹⁾، إلّا أنّ الأوّل هو المكان الأقرب إلى الله.

(1) Sh. Abd al-Rahman b. Umar, *Jawhar al-nafis fi kharwass Shaykh Urways*, p. 155 ff.

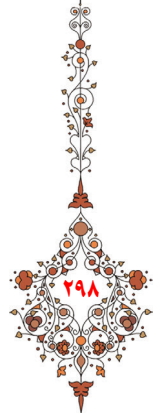
وتُعدّ مثل هذه الزيارات فرصة لتعزيز المعرفة العرفانية للفرد من خلال الحصول على (الإجازة) من سَدنة القبر، وهم غالباً من نسل القديس المتوفّى، يُجيزون فيها تلاوة ورواية الصلوات والصيغ المختلفة التي يُعتقد أنّها تُساعد الفرد في طريقه نحو الاتحاد مع المقدّس.

ويختلف توقيت الزيارة - وكذا المراسم المنعقدة - في موقع ما عنه في موقع آخر، وكثيراً ما ترتبط الزيارات - إلى ما يسمّى بالمواقع (التقليدية) - بأيام مهمّة في التقويم المحليّ، فعلى سبيل المثال: تُعقد الزيارة إلى قبر الشيخ إسحاق بعد وقت قصير من حصاد الحبوب السنوي، بينما تُعقد الزيارة السنوية لضريح الشيخ مؤمن في الربيع بعد موسم الزراعة بوقت قصير.

وتارة ترتبط الزيارة بالتقويم الهجري القمري، فتُعقد زيارة أو بركادله في أوّل جمعة خلال (الفترة المظلمة) من جمادى الأولى، وهكذا فإنّ الزيارة إلى قبور القديسين المرتبطين بالطرق [الصوفيّة] تقع في ذكرى وفاة كلّ قديس حسب التقويم القمري، ومع ذلك يواصل الزوّار - وخاصّة العلماء منهم - زيارة هذه المواقع على مدار العام بحثاً عن البركات والتنوير الروحي.

ويحصل مزيج مثير للاهتمام من هذين النوعين من التقاويم [المحليّ والقمري] في الزيارة إلى قبر الشيخ نور حسين من (بايل)؛ إذ يتمّ تحديد يوم الاحتفال الرئيس بالقديس في التاريخ التقليدي لميلاده، الذي تمّ تحديده بيوم الثلاثاء في بداية شهر أغسطس وفقاً لتقويم (أورومو) التقليدي، ويُعرف الشهر هذا في (أوروميفة) بـ(جيا) الشيخ حسين، أو قمر الشيخ حسين. ثمّ يُعقد يوم احتفال آخر في عيد الأضحى خلال شهر ذي الحجة المتزامن مع نهاية الحجّ.

وهكذا؛ فإنّ مراسم كلّ زيارة تختلف عن غيرها، إلّا أنّ محور معظم الزيارات هو مشاهدة القبر، والدعاء للنفس، أو النيابة عن الآخرين في الدعاء، ولا تخلو هذه المراسم من تقديم العديد من الذبائح وقراءة القصائد المنشودة للقديس.



وتقتصر زيارات القديسين المرتبطين بالطرق [الصوفية] إلى حد كبير على هذه الأنشطة، إلى جانب التركيز الشديد على الخطب والدروس الدينية وكثرة الصلاة، وغالباً ما تتضمن زيارات مقابر القديسين (التقليديين) طقوساً إضافية مطلوبة لإكمال المراسم، ففي زيارة أو بر كادله - مثلاً - يتم التركيز بشكل كبير على تبجيل آثار مختلفة (بما في ذلك قرآن منقوش بالذهب، وسرير يُزعم أنه كان للقديس)، وهناك موكب رسمي يتحرك إلى قمة تل قريب يُعتقد أنه موقع انتصاره على الساحر بوعور باعير، وهو أهم طقس في زيارته التي تكتمل بأداء صلاة الجمعة بعد ذلك.

ونلاحظ أن مراسم الزيارة إلى قبر الشيخ نور حسين أكثر إحكاماً وترتيباً؛ إذ تتضمن العديد من الطقوس التي تحاكي طقوس الحج إلى مكة؛ إذ يدخل الزوار الحرم عبر بوابة تسمى باب السلام كما يفعل الوافدون على مكة [المكرمة]، ثم يشرعون بتقبيل ولس حجر أسود معروف باسم (دارارا باشو) الذي يُعتقد شعبياً أن نور حسين جاء به من مكة، وفي نهاية المراسم يؤدي الزوار طقوس رمي الشيطان في وادي (كاشامساره) القريب كما في طقوس الحج.

[المصادر والمراجع]

المصادر والمراجع الخاصة بالزيارة في الأراضي التركية، ومنها البلقان وآسيا الوسطى

A. Muminov, *Veneration of holy sites of the mid-Sirdar'ya valley. Continuity and transformation*, in M. Kemper et alii (eds.), *Muslim culture and Central Asia from the 18th to the early 20th centuries*, Berlin 1996.

Baha Tanman, *Settings for the veneration of saints*, in *The dervish lodge. Architecture, art and Sufism in Ottoman Turkey*, Berkeley, etc. 1992, p. 141-67.

F.W. Hasluck, *Christianity and Islam under the sultans*, Oxford 1929.

G.P. Snesev, *Khorezmskie legendi kak istochnik po istorii religioznych kul'tov Sredney Azii*, Moscow 1983.

Idem, *Le mausolee de Baha al-Din Naqshband a Bokhara (Uzbekistan)*, in *Journal of Turkish Studies*, 19 (1995).

Idem, *Une route de saintete islamique entre l'Asie centrale et l'Inde: la voie Ush-Kashghar-Srinagar, en Inde-Asie centrale. Routes du commerce et des idees*, in *Cahiers de l'Asie Centrale*, no. 1-2 (1996), p. 227-54.

J. Castagne, *Le culte des lieux saints de l'Islam au Turkestan*, in *L'Ethnographie*, Paris (1951).

J.-P. Roux, *Les traditions des nomades de la Turquie meridionale*, Paris 1970.

Kambar Nasriddinov, *Ozbek dafn va ta'ziya marosimi*, Tashkent 1996.

Loir and E. Guillot (eds.), *Le culte des saints dans le monde musulman*, Paris 1995.

Nathalie Clayer and A. Popovic, [*Le culte des saints*] dans les Balkans, and *Le culte d'Ajvatovica et son pelerinage annuel*, in Chambert Loir and E. Guillot (eds.), *Le culte des saints dans le monde musulman*, Paris 1995.

P.B. Fenton, *Le symbolism du rite de la circumambulation dans le judaisme et dans l'Islam, etude comparative*, in *RHR*, 216/2 (1996).

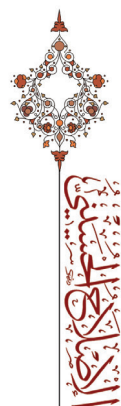
R.M. Mustafina, *Predstavleniya kul'ti, obryady u Kazakhov*, Alma Ata 1992.

T. Ataev, *Karamatli yarlar hakinda hakikat*, Ashgabat 1986.

Th. Zarcone, [*Le culte des saints*] en Turquie et en Asie centrale, and *Le mausolee de Haci Bektash Veli en Anatolie centrale (Turquie)*, in Chambert Loir and E. Guillot (eds.), *Le culte des saints dans le monde musulman*, Paris 1995.

V.N. Basilov, *Kul't svyatikh v Islame*, Moscow 1970.

Yusuf Ziya, *Dini ve sirri hayat dernek*, in *Darulfunun Ilahiyat Fakultesi Mecmuasi*, v/20 (1931).



المصادر والمراجع الخاصة بالزيارة في الهند المسلمة

C.W. Ernst, *An Indo-Persian guide to Sufi shrine pilgrimage* in G.M. Smith and Ernst (eds.), *Manifestations of sainthood in Islam*, Istanbul 1993, 43-67.

C.W. Troll (ed.) *Muslim shrines in India. Their character, history and significance*, Dihli 1989. Traditional Muslim views and those of the early Orientalists on pilgrimages and their timing are analysed in Garcin de Tassy, *Mémoire sur les particularités de la religion musulmane en Inde*, in *JA* 1831 (first), Paris 1969 (second), annotated English tr., *Muslim festivals in India*, Dihli 1995.

J.A. Subhan, *Sufism its saints and shrines: an introduction to the study of Sufism with special reference to India*, New York 1970 (second), 1938 (first).

المصادر والمراجع الخاصة بالتحليل الإثنولوجي للزيارة

I. Ahmad, *Ritual and religion among Muslims in India*, Dihli 1981.

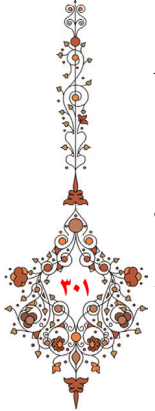
المصادر والمراجع التحليلية للطقوس

Idem, *Le culte des saints en tant que ritual: controverses juridiques*, in *Archives de sciences sociales des religions*, no. 85 (1994), p. 85-98.

M. Gaborieau, *The cult of saints among the Muslims of Nepal and Northern India*, in S. Wilson (ed.), *Saints and their cults. Studies in religious sociology, folklore and history*, Cambridge 1983, p. 291-308.

المصادر والمراجع الخاصة بأماكن الحج المختلفة في مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية

D. Matringe, *Pakistan*, Gaborieau and G. Champion, *Inde*, and Lyndell-Jones, *Bangladesh*, in H. Chambert-Loir and C. Guillot (eds.), *Le culte des saints dans le monde musulman*, Paris 1995, p. 167-234.



المصادر والمراجع الخاصة بدراسات دقيقة لأكبر الزيارات

Gaborieau, *Legende et culte du saint musulman Ghazi Miyan au Nepal occidental et en Inde du Nord*, in *Objets et Mondes*, xv/ 3-4 (1975), p. 289-318.

Idem, *Les saints, les eaux et les recoltes*, dans M.A. Amir-Moezzi (ed.), *Lieux d'Islam. Cultes et cultures de l'Afrique a Java*, Paris 1996, p. 239-254.

P.M. Currie, *The shrine and cult of Muin al-din Chishti of Ajmer*, Dihli 1989

R.M. Eaton, *Court of man, court of god. Local perceptions of the shrine of Baba Farid*, Pakpattan, Punjab, in R.C. Martin (ed.), *Islam in local contexts*, Leiden 1982, p. 44-61.

المصادر والمراجع الخاصة بالزيارة في إندونيسيا

Chen Hock Tong, *The sinicization of Malay Keramats in Malaysia*, in *JMBRAS*, lxxi/2 (1998), p. 29-61.

D.A. Rinkes, *Nine saints of Java*, Kuala Lumpur 1996 (originally 1910-11);

H. de Jonge, *Heiligen, middelen en doel. Ontwikkelingen en betekenis van twee Islamitische bedevaartsorden op Java*, in W. Jansen and H. de Jonge, *Islamitische Pelgrimstochten*, Muiderberg 1991.

J. Fox, *Ziarah visits to the tombs of the Wali, the founders of Islam on Java*, in M.C. Ricklefs (ed.), *Islam in the Indonesian social context*, Clayton, Victoria 1991.

Koentjaraningrat, *Javanese culture*, Singapore 1985.

M.R. Woodward, *Islam in Java*, ch. 5.

M.R. Woodward, *Islam in Java: normative piety and mysticism in the sultanate of Yogyakarta*, Tucson 1989.

Pemberton, John, *On the subject of "Java"*, Ithaca and London 1994, ch. 7.

Z. Dhofier, *Tradisi pesantren, studitentang pandangan hidup kiyai*, Jakarta 1985, Eng. tr. *The role of the Kiai in the maintenance of traditional Islam in Java*, Tempe, Arizona 1999.



المصادر والمراجع الخاصة بالزيارة في وسط إفريقيا وغربها

A.A. Batran, *Sidi al-Mukhtar al-Kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and the Middle Nigeria, c. 1750-1811*, Ph.D. thesis, Univ. of Birmingham 1971.

B.F. Scares, *The spiritual economy of Niore du Sahel*, Ph.D. thesis, Northwestern University 1997, see ch. 5.

Coulon, *The Grand Magal in Touba*, in *African Affairs*, xcvi (1999), p. 195-210.

H.T. Norris, *Sufi mystics of the Niger desert*, Oxford 1990, p. 96-97, p. 113 no 69.

J.N. Paden, *Religion and political culture in Kano*, Berkeley 1973, p. 129.

J.O. Hunwick et al., *Arabic literature of Africa*, ii, *The writings of Central Sudanic Africa*, Leiden 1995.

J.S. Trimingham, *Islam in West Africa*, Oxford 1959, p. 88 ff..

L.A. Villalon, *Islamic society and state power in Senegal*, Cambridge 1995, p. 163-86 on the *magal* and the *gamou* festivities.

P. Marty, *L'Islam au Senegal*, ii, Paris 1917, p. 42-43.

Samb, *Touba et son Magal*, in *Bulletin de l'I.F.A.N.*, xxxi (1969), p. 733-753.

V. Monteil, *L'Islam noir*, 3, Paris 1980, see ch. 5;

المصادر والمراجع الخاصة بـ[الزيارة] في القرن الإفريقي

B.W. Andrzejewski, *The veneration of Sufi saints and its impact on the oral literature of the Somali people*, in *African Language Studies*, xv (1974), p. 15-54.

Braukamper, *Geschichte der Hadiya Sud-Athiopiens. Von den Anfängen bis zur Revolution 1974*, Wiesbaden 1980.

E. Cerulli, *Note sul movimento musulmano nella Somalia*, in *RSO*, x (1923), p. 1-36.

E. Cerulli, *Somalia. Scritti vari editi ed inediti*, 3 vols. Rome 1957, 1959, 1964.



E. Wagner, in *ZDMG*, cxxv (1975), p. 28-65.

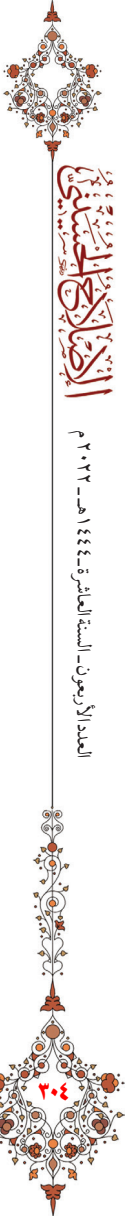
I.M. Lewis, *Saints and Somalis: popular Islam in a clan-based society*, London 1998.

Sh. Abd al-Rahman b. Umar, *Jawhar al-nafis fi kharwass Shaykh Uways*, Cairo 1964.

U. Braukamper, *The sanctuary of Shaykh Husayn and the Oromo-Somali connections in Bale*, in *Procs. of the First International Congress of Somali Studies*, ed. H.M. Adam and Ch.L. Gesheker, Atlanta 1992.

Umar b. Ahmad al-Sumayt, *al-Najha al-shadhadhiyya min al-diyar al-hadramiyya wa-talabiyyat al-sawt min al-Hijaz wa-Hadramawt*, privately printed Tarim 1955.

Yusuf Abd al-Rahman (ed.), *Nuzhat al-asrar wataharat al-akdar; Nisbat al-sharif; Rabi al-kulub fi dhikr manakib al-sayyid Shaykh Nur Husayn*, Cairo 1967.



دراسات حسينية

◆ أسباب النهضة الحسينية.. دراسة تحليلية نقدية.. القسم الثاني

أسباب النهضة الحسينية

دراسة تحليلية نقدية

القسم الثاني

(الأسباب المؤثرة القريبة.. حقيقتها وفعاليتها في أحداث النهضة الحسينية)

السيد محمد باقر الهاشمي

ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

The Causes of the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)

– An Analytical Critical Study

(Part Two: The Specific Influential Causes,

Their Reality and Effectiveness in the Events of the Uprising)

Sayyid Muhammad Baqir al-Hashimi

Master's degree in Sharia and Islamic Sciences,

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies

on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

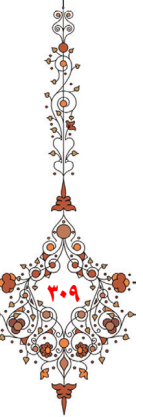
ملخص البحث

يستهدف البحث قراءة أسباب النهضة الحسينية القرية، ومراجعة الآراء وتحليلها، وقد اختصّ هذا القسم من البحث بإبراز الأسباب المؤثرة في النهضة الحسينية، وتطرّقت الدراسة إلى سببين مؤثرين في هذا الصدد، وهما: بيعة يزيد وخطرها على الأمة الإسلامية، ودعوة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام للقدوم إليهم.

أمّا بيعة يزيد، فقد خلصت الدراسة إلى أنّها كانت السبب البارز في النهضة الحسينية؛ لما تحمله هذه البيعة في طيّاتها من بلاءات ومصائب على الإسلام والواقع الإسلامي حال قبولها، وما يستتبع وراءها من تأسيس لشرعية الحكم الوراثي النسبي بلا شرط آخر غير النسب؛ ليتسلّط الحاكم الظالم على المسلمين ومقدّراتهم ودينهم، وكلّ ما يرتبط بهذا المنصب من حقوق، وما يناط به من واجبات.

وأمّا دعوة الكوفيّين، فقد تعدّدت الآراء في مدى تأثيرها في قيام النهضة الحسينية، وبالجملة: كانت الدعوة من الأسباب المؤثرة، دون أن يكون لها من المكانة في التأثير كما للبيعة المتقدّمة.

كما تطرّقت الدراسة لجدلية علم الإمام الحسين عليه السلام ودعوة الكوفيّين، وكيفية التوفيق بينهما. الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، البيعة، دعوة الكوفيّين، علم الإمام الحسين عليه السلام، النهضة الحسينية، الأسباب المؤثرة.



Abstract

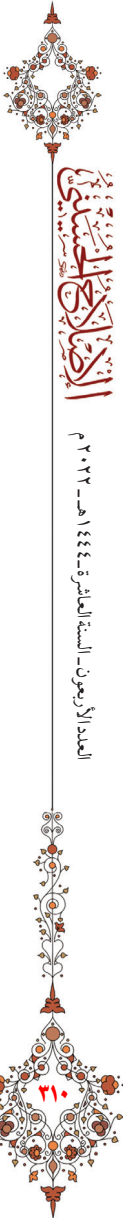
This study aims to analyze the specific reasons for the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) and to review and analyze various opinions about them. Part two of the study specifically highlights the impacting factors leading to the uprising. It addresses two reasons in this regard, namely: the pledge of allegiance to Yazid and its danger to the Islamic nation, and the Kufans' invitation of Imam al-Husayn (PBUH) to come to them.

As for the pledge of allegiance to Yazid, the study concludes that it was the prominent reason for the uprising. This was due to the calamities and afflictions this allegiance would cause on Islam and the Islamic world if accepted, and how it would legitimize and set a new norm of hereditary rule based solely on lineage. This gains the ruler complete control over the Muslims, their resources, their religion, and all the rights and duties associated with this position.

Regarding the invitation of the people of Kufa, opinions vary on its impact on the emergence of the uprising of Imam al-Husayn (PBUH). Nevertheless, it was overall one of the impactful reasons, although not as significant as the aforementioned pledge of allegiance to Yazid.

The study also discusses the debate on the knowledge of the Imam (PBUH) and the invitation of the people of Kufa, and how to reconcile them.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), allegiance, the invitation of the Kufans, knowledge of the Imam (PBUH), the uprising of Imam al-Husayn (PBUH), influential reasons.



المقدمة

لا يزال الكلام في تحليل أسباب النهضة الحسينية، وقد تقدّم الحديث عن أسبابها العامة في القسم الأول من هذه الدراسة، وقمنا باستعراض أهمّ الأسباب وظروفها، وتأمّيتها لقيام الإمام عليه السلام آنذاك، وكلّ ما يتّصل بهذا الشأن.

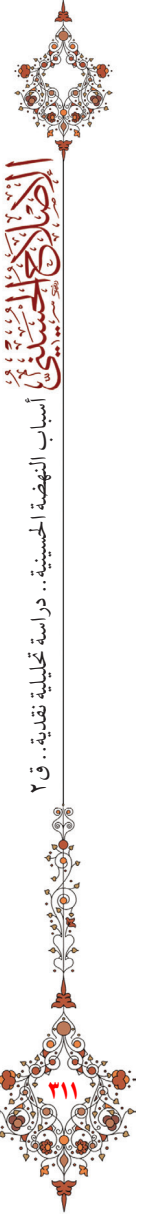
أمّا في هذه القسم، فسنقتصر على الأسباب المؤثّرة أو المباشرة لقيام الإمام عليه السلام، وما رافق ذلك من تساؤلات ترتبط بالعلاقة بين هذه الأسباب والفعل الخارجي، فما مدى فاعلية هذه الأسباب وقوّتها لتكون أسباباً مباشرة لخروج الإمام عليه السلام؟ وكيف يتناسب عدّ بعضها - مثل الاستجابة لدعوة الكوفيّين - في خانة الأسباب مع علم الإمام عليه السلام الغيبي؟ وغير ذلك من الموضوعات التي يستهدف هذا القسم من الدراسة الوقوف عندها.

وقد انقسمت الدراسة في جزئها الثاني إلى مبحثين:

تعرّض المبحث الأوّل منهما لأوّل الأسباب المباشرة، وهو بيعة يزيد وشخصيّته، وقد تطرّق البحث - خلال ذلك - إلى ما وراء بيعته فيما لو تمّت، والآثار المترتبة عليها، تلك الآثار التي تنتهي بمجموعها إلى فناء الدين، وتأسيس شرعية للنظام الأموي، وغير ذلك ممّا تمّ بيانه في هذا المبحث.

كما استهدف هذا المبحث دراسة إشكالية مصاغة بتساؤل مفاده: ماذا لو لم يُطلب من الإمام عليه السلام البيعة؟ فهل سيقوم بنهضته على كلّ حال؟ وقد عرضنا الآراء في ذلك، وانتهينا إلى معالجة هذه الإشكالية.

أمّا المبحث الثاني فهو مخصّص للسبب الآخر، وهو دعوة الكوفيّين، ومدى ارتباط نهضة الإمام عليه السلام بهذه الدعوة، ردّاً على التساؤل القائل: هل شكّلت هذه الدعوة ثقلًا حقيقياً في مسار الخروج والقيام؟ مع معالجة للآراء المطروحة في هذا



الصدد، وإمكانية التوفيق بينها، وكذلك التوفيق بين هذه الدعوة وعلم الإمام عليه السلام بالخواتيم.

وقد انتهى البحث إلى خاتمة استعرضت أهم ما تمخضت عنه هذه الدراسة.

المبحث الأول: بيععة يزيد وخطرها على الأمة الإسلامية

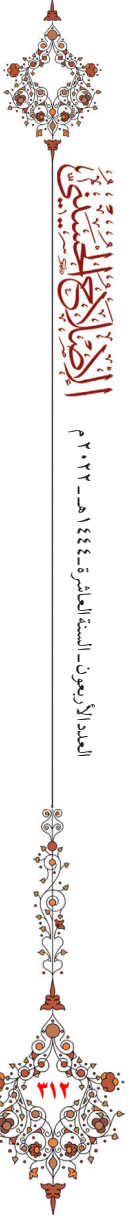
من الأسباب المباشرة والمؤثرة التي دعت الإمام عليه السلام إلى النهضة والقيام طلب البيعة ليزيد، وقد رفضها الإمام عليه السلام بشكل قاطع، وكان السبب في رفض البيعة ما يترتب عليها من آثار ومردودات سلبية على الأمة، فمثل يزيد المتجاهر بالفسق وفعل المحرمات، تستيع بيعته تبعات لا يمكن للإمام عليه السلام بأي حال قبولها، وهي:

١. إضفاء الشرعية على مبدأ توارث الخلافة

التوريث في الخلافة من أخطر المسائل التي أثرت في مسارات الأمة الإسلامية بشكل كامل، وتكمن خطورة التوريث في عده أسلوباً شرعياً في الوصول لإدارة شؤون المسلمين، وإعطاء الحاكم - طبقاً لذلك - الحصانة والقدسية، فيغدو المساس به مساساً بالمقدس، وخرقاً للخطوط الحمراء في الدين، وذلك ما يتم التأصيل له من خلال نصوص وأخبار كثيرة - وهي مبتلاة في سندها ودالاتها، ووجود معارض لها - تمنحه هذه المكانة، وتحرم الخروج عليه، وترى لزوم طاعته على أي حال^(١).

ومن خلال هذين المبدأين - قدسية الحاكم، وشرعية التنصيب بالوراثة - يكون الحاكم - إذا تم تنصيبه - مؤمناً الجانب، تحميه الشرعية المحاطة بحجم أهوائه، والمكانة الاجتماعية، والقوة الاقتصادية المعطاة له، فلا تمتد إليه يد ولا لسان، سواء

(١) أنظر: الخزرجي، د. صفاء الدين، الفصل بين التطرف والثورة.. قراءة فقهية في مشروعية النهضة الحسينية، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد ١١، ص ٢٧٧-٢٨٠، إذ تطرق ضمن معالجته لبعض الشبهات إلى قضية حرمة الخروج على الحاكم الجائر، وذكر العديد من الروايات، سواء المانعة مطلقاً أو المقيدة.



أفعل منكراً، أم بدّل حراماً؛ وحينئذٍ لا يحتاج الأمر لكثير تدبّر لكي يقال: إنّ أمر الدين سيؤول - لا محالة - إلى الزوال والتحريف.

ومن المعلوم والثابت تاريخياً أنّ الاستئثار بالسلطة وجعلها بالوراثّة كان أهمّ غايات بني أمية، وقد سعوا لذلك مبكّراً؛ فهذا أبو سفيان وقد: «دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيمّ وعدي، فأدّرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنّها هو الملك...»^(١). وفي بعض المصادر: «يا بني أمية، تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثّة»^(٢).

٢- هدم الدين الإسلامي

من الثابت أنّ للإمام العديد من الوظائف والمهام، أهمّها حفظ الدين، وهي مهمّة مقدّمة على كلّ عنوان آخر، ولا يزاحمها أيّ اعتبار آخر؛ فإنّها نقطة محورية يرتكز بقاء الدين عليها، فإذا تعلّق الأمر ببقاء الدين، فلا يمكن تقديم حكم آخر أو تغليبه عليه.

وأما إذا قيل: إنّ حفظ الدين قد يترتب عليه الهلاك، وحفظ النفس واجب، سواء أكان بالتقية أم بغيرها. فيجيب عن ذلك بأنّ التقية واجبة في سبيل حفظ النفس والمال، إلّا إذا استلزمت وهن الدين؛ فإنّها حينئذٍ من المحرّمات، فلا تجري التقية في كلّ الأمور، ولا سيّما للإمام عليه السلام؛ إذ به يُحفظ الدين، فلو اتّقى فيما فيه زواله أو وهنه لكان ذلك منافياً لغرض وجوده، وكونه حافظاً للشرعة، وأميناً عليها.

وبالعودة إلى كربلاء؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام يصرّح بأنّ القبول بيزيد يعني زوال الإسلام ووهنه، فيقول عليه السلام: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد...»^(٣).

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٤، ص ١٦٧٩.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ١٥.

إن مسؤولية الإمام عليه السلام وعقيدته ودينه ومنصبه يأبى أن تكون مقاليد السيطرة على أرفع منصب إسلامي مناطة بشخصية مثل يزيد، ولم يكن ذلك إفرازاً لصراعٍ شخصي، بل كان صراعاً بين بقاء الإسلام وزواله.

ويمكننا من خلال كلمته عليه السلام: «وعلى الإسلام السلام...» أن نفسر بعض عبائره الأخرى التي قد يظهر منها أن النزاع يتعلق بشخصين، وأن الأمة والدين ليسا محوراً في الخلاف، ومن ذلك قوله عليه السلام: «ومثلي لا يُباع مثله...»^(١). وكذا قوله: «إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السِّلّة والذِّلّة»^(٢)؛ إذ الكلام فيها ظاهراً يرتبط بشخص الإمام عليه السلام ودينه وكيانه الذي يأبى أن يباع أمثال يزيد، وهو ما قد يُفسر بنحو من الخلاف الشخصي.

ولكن سريعاً ما يندفع هذا المعنى بعد مراجعة بقية كلماته عليه السلام وكلمات الإمام زين العابدين عليه السلام، التي تُبين - بوضوح - أنّ الأمر يتعلق ببقاء الإسلام، وبوظيفته التي تحتم عليه الحفاظ على هذا الدين، أيّاً كانت الظروف^(٣)؛ فقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «لما قدم علي بن الحسين عليه السلام، وقد قُتل الحسين بن علي (صلوات الله عليهما)، استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقال: يا علي بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطى رأسه، وهو في المحمل، قال: فقال له علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذن ثم أقم»^(٤).

إنّ السائل كان يرى الأمر نزاعاً شخصياً بين رجلين، أو بين حزينين متخاصمين، يروم كلٌّ منهما الغنم بالسلطة، وتحقيق مكاسب دنيوية عسكرية، وأنّ الغلبة فيه للأقوى والأكثر عتاداً وعدداً، وليس أمراً يرتبط بالأمة والدين، وعلى الرغم من كون السائل في مقام الشفّي أو التشمّت، إلّا أنّه يحكي عن فهمٍ سائد آنذاك.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

(٣) بيومي، محمّد، الإمام الحسين بن علي: ص ٢٢٥.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص ٦٧٧.

ومن الواضح أنَّ هذا المعنى لم يكن ملحوظاً في النهضة الحسينية، لا النصر العسكري المادّي، ولا النزاعات الشخصية، بل الصراع من أجل بقاء الإسلام أو زواله، وهو ما يُفهم من كلمات الإمام السّجّاد عليه السلام؛ إذ يقول: «إذا أردت أن تعلم مَنْ غلب ودخل وقت الصلاة، فأذّن ثمّ أقم»، إنّها غلبة الإسلام والحقّ الذي أُريد له أن يُحقّق، كما عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك بقوله: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه...»^(١).

كان طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام والدخول فيها يساوي الذلّة، كما عبّر عليه عن ذلك بقوله: «إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السّلّة، والذلّة»، وليس المقصود من الذلّة - هنا - تلك التي يقتصر أثرها على الإمام عليه السلام بشكل شخصي، بل ذلّة الدين؛ باعتبار أنّ الإمام عليه السلام يقف على رأس الهرم في الصرح الديني، وهذا ما لا يمكن أن يرضخ له الإمام عليه السلام.

وقد أدركت السلطات آنذاك هذا المعنى، فلم ترّ المسألة مرتبطة بالجانب الشخصي بقدر ما هي موقف مبدئي يمكنه أن يفتح الباب أمام مواقف معارضة أخرى، تتخذ مشروعيّتها من خروج الإمام الحسين عليه السلام، الذي يمثّل في هذه الحال الجانب التشريعي، وليس هو مجرد رجل دين، أو حفيداً للنبيّ صلى الله عليه وآله؛ فإنّ الأمويين «لم يكونوا على استعداد أن يروا الحسين عليه السلام يسير حرّاً بين الناس وهو لم يبيع الحاكم الجديد... وقد شخّصوا الموقف تشخيصاً سليماً؛ لأنّ الأمر كان يعني... أنّ طاعة يزيد ليست واجبة على الناس، وإنّما الواجب يستدعي الاعتراض على الحكم الجديد»^(٢).

فالمحصّل من مسألة طلب البيعة أنّها كانت سبباً بارزاً في رفض الإمام عليه السلام وتحركه؛ لما يترتّب على ذلك من لوازم كما تبين سابقاً. ويمكن إيجاز أسباب رفض البيعة في عدّة نقاط:

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٤٥.

(٢) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٢، ص ٣٤٢.



١ . أن البيعة كذبٌ صريح؛ إذ مقتضى البيعة الالتزام من الطرفين، وأن الحاكم مرتهنٌ بشروط البيعة، إلا أن الملاحظ في البيعة التي تمت لبني أمية وكذلك بني العباس لم يكن فيها أي التزام من طرفهم بواجبات دينية ودينية ترتبط بالعباد، وحفظ الحقوق وعدم التعدي والإنصاف، وغيرها من الشرائط الملحوظة في البيعة، وفي المقابل فإنهم يطلبون من الأمة الطاعة على كل حال، حتى لو جاروا بالأحكام، وبدّلوا في الدين، واستأثروا بالمال، وأشاعوا الفساد؛ ومن هنا فالبيعة كذب صريح على الأمة، يحفظ فيها الحاكم منصبه، ويرغم الأمة على طاعته، دون أن يكون بإزاء ذلك ما يلتزم به.

٢ . مخالفة ذلك لضمير الإمام عليه السلام ووجدانه.

٣ . في البيعة إعانة على الإثم والعدوان، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

٤ . إضلال الناس بالإقرار بكون بيعة يزيد وخلافته شرعية وإسلامية صحيحة.

٥ . سلب إمكانية أي حركة إصلاحية بعد البيعة^(٢).

وعليه؛ فإن طلب البيعة أحد الأسباب المباشرة لخروج الإمام الحسين عليه السلام؛ لأن بيعة يزيد تساوق هدم الدين، وإعطاء شرعية لتأسيس نظام وراثي غير قائم على معايير إلا النسب، وكذا تسليط الظلمة على الأمة، فلم يكن من بُد إلا الوقوف بوجه هذا الطلب ورفضه، حتى عدّ بعض الأعلام^(٣) أنه لولا طلب البيعة من الإمام عليه السلام فإنه حينئذ لا يمكن الجزم بقيامه إلى كربلاء طبقاً للمعايير الظاهرية وعمل الأئمة عليهم السلام بمبدأ التقية، بغض النظر عن مسألة الغيب وحتمية خروجه طبقاً لهذه الحثية، وفي

(١) المائدة: الآية ٢.

(٢) الصالحى النجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد الحسين بن علي: ص ٦٩.

(٣) أنظر: الخباز، منير، لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام؟ بينما صالح الإمام الحسن عليه السلام؟ موقع المنير:

<https://almoneer.org/?act=arte&id=714>

ذلك إشعار بأهمية البيعة ومحوريّتها، وأنها لو تمت ليزيد للزم منها وهن الدين وإذلاله، وهو ما لا يمكن قبوله من الإمام الحسين عليه السلام.

ثم إنّه قد يتبادر إلى الذهن: إذا كانت البيعة تستتبع آثاراً خطيرة فكيف يتمّ التوفيق بين رفض الإمام الحسين عليه السلام للبيعة، فيما تثبت نصوص آخر وقوعها من قبل الأئمة عليهم السلام؟

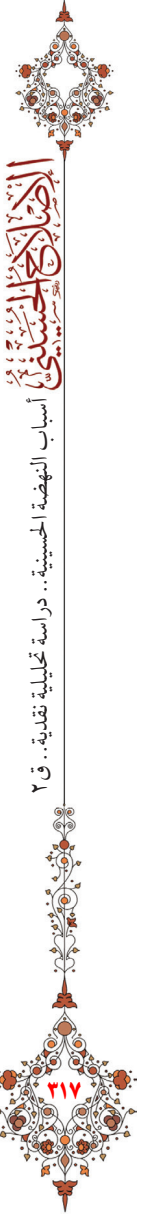
والجواب عن هذا الإيراد في عدّة نقاط:

الأولى: أن النصوص المدّعاة^(١) التي مفادها وقوع البيعة من الأئمة للحكام ضعيفة لا يمكن الركون إليها في إثبات هذا المدّعى، وحتىّ بناءً على التسليم بوقوع البيعة من الأئمة عليهم السلام، فإنّ البيعة هنا قد لا تكون بمعنى الولاء والطاعة، بل غايتها أنّهم لا يخرجون على الحاكم. وتسمية هذا التعهّد بعدم الخروج بالبيعة تسامح؛ إذ البيعة أشمل مفهوماً من جهة الواجبات والحقوق.

الثانية: أن البيعة حتّى مع وقوعها من الأئمة عليهم السلام؛ وبالطبع فإنّه ليس هنالك من شكّ أنّ بيعتهم عليهم السلام بالإكراه والقهر؛ توقّياً من شرّ السلاطين وأذاهم، وحماية لأنفسهم ولأتباعهم من القتل وتهمة الخروج. مضافاً إلى قلّة الناصر، واضطراب الظروف، وغير ذلك ممّا يحدّده الأئمة عليهم السلام، وكما ذكرنا، فإنّه لم تكن بيعة بمعنى الكلمة، بل تعهّد بعدم الخروج عليهم بالسيف، ويؤيّد ذلك أن الأئمة عليهم السلام كانوا يارسون وظائفهم وفي كثير منها أمور تمسّ السلطة في العمق، مثل: التواصل بين مواليهم، نشر علومهم، وقبض الأموال، وغير ذلك، ممّا لم تكن الحكومات لترتضيه، ممّا يؤيّد أنّهم لم يبايعوا على الطاعة والولاء، غايتها أنّهم لم يخرجوا بالسيف، وقد التزموا بذلك دون غيره.

الثالثة: أن البيعة ليزيد تختلف عن كلّ البيعات الباقية التي طلّبت من المسلمين

(١) أنظر: الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم: ص ٢١٦. الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتماز النعمة: ص ٤٨٥.



وعلى رأسهم الأئمة عليهم السلام؛ لعدة أمور:

١ - إن البيعة التي عُرضت على الإمام عليه السلام، ولم يكن أمامه حيالها سوى البيعة والطاعة أو الرفض، إما أن يُبايع عليه السلام، وإما أن يُقتل، وليس هنالك من خيار ثالث كما في البيعات التي عُرضت على الأئمة عليهم السلام، ومن المعلوم أن بيعة يزيد فيها إذلال ووهن للدين، وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك أول ما عُرضت عليه البيعة، فقال عليه السلام للوليد: «أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يُبايع مثله»^(١). وكذا قوله عليه السلام: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة»^(٢)، وليست الذلة ذلة شخصية، بل هي ذلة الدين كما بيّنّا ذلك.

٢ - واجه الإمام الحسين عليه السلام مبدأ التوريث وقدسيتها الحاكم، فالسلطة الأموية التي امتدت سنوات متطاولة، وهي ترسخ الأرضية وتمهدها لهذا الأمر، مضافاً إلى بطشها بكلّ من يخالفها، حتّى بدت مسألة بيعة يزيد في الأمصار الإسلامية كافة أمراً عادياً لا حرج فيه، فإن لم ينهض الإمام عليه السلام لمواجهتها فلن يقوم بذلك أحد؛ إذ يتعلّل الجميع بسكوته ورضاه عليه السلام، ولكنّ قيامه عليه السلام بالأمر أبطل شرعية التوريث وقدسيتها إلى الأبد، فلم يمكث بنو أمية أمداً طويلاً حتّى انهارت عليهم الثورات من كلّ حذب وصوب. وكذا بنو العباس، فقد أدركت الأمة أنّ الحاكم بالتوريث لا حرمة له ولا قداسة، على الرغم ممّا أشاعه علماء السلطة ووضّاع الحديث من تثقيف وتشريع لمبدأ الطاعة للحاكم كيفما بلغ سُدة الحكم، وأيّما كانت صفاته، برّاً كان أو فاجراً.

ولو بايع الإمام عليه السلام لأضفى على التوريث شرعية دينية تؤدّي - لا محالة - إلى وأد

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

أي مشروع إصلاحى أو ثورة، فمن شرعية التورث تُستمدّ قدسية الحاكم، برّاً كان أم فاجراً؛ إذ هو نتاج شرعية تمنحه هذه المكانة، وهذا أوّل محذور من محاذير قبول البيعة، وهو لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بيزيد، بل بالمبدأ الذي على أساسه يُعيّن الحاكم على المسلمين، سواء أكان يزيد أم غيره. يقول الشيخ المطهري: «إن البيعة مع يزيد كانت تعني إضفاء المشروعية على الخلافة الوراثية من قبل الإمام الحسين عليه السلام، أي: أنّ موضوع الخلافة لم يعدّ موضوع الموافقة على فرد معيّن بقدر ما كانت تعني الموافقة على مبدأ الخلافة الوراثية»^(١). فلو لم يواجه الإمام الحسين عليه السلام هذه الأمر لما أمكن مواجهته لاحقاً؛ ولكنه عليه السلام فتح الباب أمام كلّ الثورات دون محاذير شرعية قد تخلقها السلطة ومنها سكوته.

وأما ما قد يتعلّل به بأنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام لم يحقق الهدف؛ فإنّ الحكم قد تمّ بالتوارث جيلاً فجيل، فذلك غير صحيح؛ لأنّ حركته عليه السلام استهدفت الشرعية لقضية تورث الحكم من قبل بني أميّة، بغضّ النظر عمّا بإزائها في الخارج، وهو ما تمارسه الشريعة في بيان الأحكام، فإنّها تبيّن حكم السرقة والزنا والبغي وغيرها، مع أنّها تقع في الخارج وتصدر المخالفة من قبل بعض الناس.

المبحث الثاني: دعوة الكوفيّين

لم يمكث الإمام عليه السلام مدّة من الزمن في مكّة حتّى وصلته كتب أهل الكوفة يطلبون قدومه، وأن يقوم بأمرهم، موضحة بأنّ الكوفة وكبار ساداتها وقبائلها مستعدّة لذلك. وفي هذا الصدد يمكن التساؤل عن طبيعة محورية دعوة الكوفيّين في قيام الإمام الحسين عليه السلام، فهل تُعدّ دعوة أهل الكوفة من الأسباب المباشرة للنهضة الحسينية؟ وما مدى تأثيرها فيها؟

يمكننا في معرض الإجابة عن هذين السؤالين أن نذكر ثلاث رؤى:

(١) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٢، ص ٣٤٠.

الرؤية الأولى

ترتكز هذه الرؤية على أنّ دعوة أهل الكوفة كانت السبب الرئيس لخروج الإمام الحسين عليه السلام، وليس هنالك من سبب آخر، وأنّ جميع أهداف الإمام عليه السلام تولدت بفعل هذه الدعوة. ويمثّل هذا الاتجاه مدرسة الجمهور، وبعض من عرفوا بالنصحاء أيضاً^(١).

وغير خافٍ أنّ أغلب أصحاب هذه الرؤية لا يؤمنون بمسألة الإمامة بمعناها الخاصّة عند الإمامية، ولا أنّ للإمام عليه السلام علماً ومعرفة بالأحداث والمجريات قبل حدوثها، ولذا همّوا جميعاً بالإمام الحسين عليه السلام لردّه عن الاستجابة لدعوة أهل الكوفة؛ بذريعة أنّهم قوم لا أمان لهم، وهو ما ينمّ عن فهمهم أنّ خروج الإمام عليه السلام كان بفعل هذه الدعوة ولأجلها، ولذا تركّزت كلماتهم في التحذير من الكوفيّين؛ ظناً منهم أنّ النهضة مسبّبة عن دعوتهم، فإذا انقطع السبب انتهى المسبّب.

فهذا أبو سعيد الخدري حين علم بعزم الإمام عليه السلام على الخروج، قدم وقال: «يا أبا عبد الله، إنّ لك ناصح ومشفق، وقد بلغني أنّه كاتبك قوم من شيعتك، فلا تخرج إليهم...»^(٢).

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث قولاً قريباً من ذلك: «قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك...»^(٣). بل حتّى ابن الزبير، الذي نصّح الإمام عليه السلام بالخروج

(١) التقييد ببعض النصحاء؛ لعدم إمكان الجزم بأنّ جميع من نصّح الإمام عليه السلام غير مؤمن بالإمامة بالمعنى الذي عليه الإمامية، ولا سيّما ابن عباس وابن الحنفية، فقد يقال بأنّ نصّحهما لم يكن لخفاء مقام الإمام عليه السلام ومنصب الإمامة الإلهية، ولكن كان ذلك منهم حبّاً للإمام عليه السلام، وخوفاً عليه، وغير ذلك من الوجوه، ولا يسع المقام لتحقيق هذه المسألة.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٤.

(٣) ابن سعد، محمّد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص ٥٨. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٩.

للتخلّص منه، قد رتبّ نصحه المزعوم للإمام عليه السلام على الدعوة الموجهة إليه عليه السلام منهم؛ إذ قال: «الحق بهم؛ فإنهم ناصروك...»^(١).

وذهب بعض الباحثين إلى أنّ ما ذكر في بعض المصادر من إيحاء معاوية يزيد بقوله: «وأما الحسين فإنّ أهل العراق خلفه، لا يدعونه حتى يخرجونه عليك...»^(٢)، يكشف عن أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام للكوفة تلبية لأهلها ودعوتهم، كان أمراً مفروغاً منه حتّى قبل حصوله.

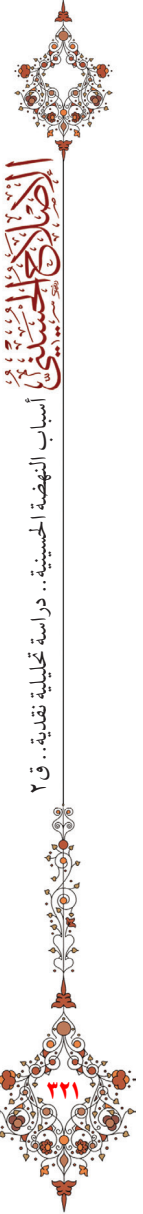
وبعبارة أخرى: أنّ كون النهضة الحسينية مسببة عن دعوة الكوفيين أمر واضح، ومن جملة ما يُفهم من كلام معاوية أنّ «الحسين عليه السلام سوف يخرج تحت الضغط الجماهيري، لا أنّه يخرج بالقناعات الذاتية»^(٣)، وهذا الفهم يحدّد سبب الخروج بدعوة الجماهير، أي: دعوة الكوفيين.

ويلاحظ عليه: أنّ كلام معاوية وإن كشف عن الدور الكبير للضغط الجماهيري في خروج الإمام عليه السلام، إلّا أنّ نفيه لوجود قناعة ذاتية عند الإمام عليه السلام للخروج لا يمكن استنتاجه من المقولة ذاتها، أو لا أقلّ هو أمرٌ مسكوت عنه، بل يمكن إفادة وجود إرادة ذاتية عند الإمام عليه السلام للخروج على يزيد من خلال الضغط الجماهيري ذاته؛ فإنّ هذه الجماهير لا يمكن أن تتحرّك نحو الإمام عليه السلام وتطالبه بالقيام لولا علمهم بأنّ الإمام عليه السلام رافض للمشروع الأموي، وأنّه لا يمكن الركون إلى الأمويين والسكوت عن مخالفتهم، ولا سيّما تنصيب يزيد، فيكون الضغط الجماهيري سبباً قوياً في خروج الإمام عليه السلام، وقد يكون - في حدّ نفسه - كاشفاً عن أنّ الجماهير قد تحرّكت نحو الإمام عليه السلام مطالبة إيّاه بالقيام؛ لعلمها برفضه ذلك وحمية خروجه ضدّ الأمويين. وعليه؛ فإنّ الخبر المتعلّق بوصية معاوية لا يمكن الأخذ به في الاستدلال على

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٢٣.

(٣) الشويلي، فؤاد، الخروج: ص ١٣٦.



أنّ دعوة الكوفيّين هي السبب الحتمي في خروج الإمام عليه السلام، وأنّه لو لا ذلك لما خرج، فغاية ما يؤخذ من مجرّد الإخبار عن خروجه عليه السلام بدعوة الكوفيّين أنّ لهم تأثيراً في الخروج، وهو ما لا يمكن نكرانه، أمّا تعليق الخروج بالكامل على دعوتهم، فذلك ممّا لا دليل عليه.

وبالعودة إلى أصل هذا الرأي؛ فالمحصّل منه: أنّ هذه الرؤية تذهب إلى أنّ دعوة أهل الكوفة هي السبب المؤثر الوحيد في خروج الإمام الحسين عليه السلام.

ويلاحظ على هذه الرؤية: أنّ فهم النصحاء لكون الخروج مسبباً عن دعوة أهل الكوفة تولّد عندهم من قراءة تداعيات الأحداث القريبة الظاهرة، وأبرزها دعوة الكوفيّين؛ ولذا فمن الطبيعي أن تكون تحليلاتهم للخروج مرتكزة عليها، لا سيّما وأنّ تحرّك الإمام عليه السلام إلى الكوفة جاء بعد هذه الكتب، فربط الأحداث يودّي إلى هذه النتيجة. وأمّا الهدف المتوخّى ضمن هذه الرؤية فهو الإمساك بزمام السلطة.

وقد كانت التحذيرات التي ركّز عليها هذا الاتجاه تتلخّص في أمرين: غدر الكوفيّين، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهما أمران يدعوان للغرابة؛ إذ كلا الأمرين قد ذكرهما الإمام عليه السلام، فقد أخبر غير مرّة أنّه مقتول؛ قال عليه السلام: «وأيّم الله، لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني، حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت...»^(١). وقال لابن الزبير: «يا ابن الزبير، لئن أُدْفِن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أُدْفِن بفناء الكعبة»^(٢).

فالذي يُفهم من هذه العبارات - من خلال أدنى تأمل فيها - أنّ الإمام عليه السلام يُخبر عن مقتله، وأنّه لا يريد ذلك في الحرم الإلهي، وأنّه مقتول سواء بقي أو خرج، فهل من جديد في كلام النصحاء؟! أفلا يستدعي ذلك إعادة النظر في سبب خروج الإمام عليه السلام

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): ج ٤، ص ٢٨٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٧٣.

عندهم، وفي طبيعة الاستجابة لدعوة الكوفيّين؟! إذ لا معنى لجعل الاستجابة لدعوة الكوفيّين هي السبب المباشر في خروج الإمام عليه السلام مع جزمه بمقتله عليه السلام؛ لأنّ الهدف من الاستجابة لهذه الدعوة - بناءً هذا الرأي - هو الوصول إلى السلطة، فكيف يتلاءم الإخبار عن مقتل مع هذا الهدف؟!

ثمّ هل يُعقل أن يُخبر النصحاء الإمام عليه السلام عن حال الكوفة، وهو العارف بوضعها وأمزجتها؟! فقد عاش فيها ردحاً من الزمن في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، وهي حقبة مليئة بالفتن والتقلّبات، فهل اطّلت الأُمّة كلّها على مصير الخروج، ولم يخفَ ذلك إلّا عن الإمام الحسين عليه السلام؟! فمن الواضح أنّ مثل هذه الأمور كانت بمنتهى الوضوح، ولا تحتاج إلى علم الإمام عليه السلام الغيبي.

ولذا؛ فإنّ أصحاب هذا التوجّه يرون النهضة نزاعاً على السلطة دعت إليه الكوفة، دون وجود هدفٍ إصلاحي آخر، وأتمّها لم تكن موقفاً لدرء خطر يتهدّد الإسلام بوجود يزيد؛ ولذا فهم لا يجدون حرجاً في أن يكون الخليفة عليهم شخصية مثل يزيد المتهتّك ولو بذرائع مثل الحفاظ على وحدة الأُمّة؛ «حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهمّ عند الشارع»^(١). أو أنّ الشوكة والقوّة ليزيد وإن كان الشرع مع الإمام الحسين عليه السلام، والحكم لمن كانت له الشوكة^(٢). وغير ذلك من المبرّرات، وهو ما لا يرتضيه الإمام عليه السلام؛ مصرّحاً بذلك بقوله: «مثلي لا يُباع مثله».

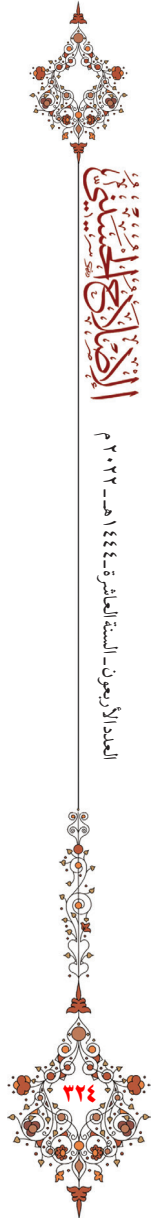
الرؤية الثانية

يعتقد بعض الباحثين أنّ دعوة أهل الكوفة هي السبب في خروج الإمام الحسين عليه السلام، ضمن معادلة مفادها أنّ إظهار الاستعداد من قبل الأُمّة بنحو مطمئن لإقامة حكم الله تعالى فيهم، وإعادة الخلافة الإسلامية إلى نصابها الصحيح، يوجب

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد، تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٢٦٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق ١: ٢٧٠-٢٧١.





على الإمام عليه السلام، فقد تمت الحجة على الإمام الحسين عليه السلام بدعوة أهل الكوفة، فلا بد من القيام لتشكيل الحكومة الإسلامية، ومن ثم فإن «إقدام الإمام على تشكيل الحكومة الإسلامية، وإسقاط حكومة الظلم... كان أداءً للواجب، وعملاً بالمسؤولية؛ لأن واجب الإمام إحياء الدين، وكان إتماماً للحجة؛ لأنه حين تصدى الإمام عليه السلام... لمسؤولية إعادة الخلافة... فإنه بذلك قد أتم الحجة على الناس بتصديده لذلك الأمر»^(١). ويرى أصحاب هذا الرأي أن خيارات النصر كانت متوافرة في الكوفة لولا بعض المتغيرات، بل إن كتاب مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام يشهد بذلك، وفيه: «إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام»^(٢). وهذا يعزز أن تكون دعوة أهل الكوفة هي السبب الفاعل في خروج الإمام عليه السلام ونهضته، ومن ثم فإن من يرى أن الإمام عليه السلام حين تحرك إلى الكوفة لم تكن هناك إمكانية للنصر والغلبة، فهو ينسب الخطأ إلى مسلم بن عقيل، و«نسبة الخطأ والاشتباه إلى مسلم ستعني التشكيك في حسن انتخاب الإمام عليه السلام، وهذا أمرٌ يتنافى مع عصمته عليه السلام»^(٣).

وهذه الاتجاه يمتاز عن سابقه بكونه معتقداً بمسألة الإمامة، وعلم الأئمة عليهم السلام الغيبي، وهنا وقفان ترتبطان بهذا الرأي: الأولى: ليس هناك من شك في دور دعوة أهل الكوفة في تحرك الإمام الحسين عليه السلام، إلا أنه لا يمكن الجزم بأنه العامل المباشر؛ وذلك لأن تحرك الإمام عليه السلام للمعارضة - كما سيتضح لاحقاً - كان سابقاً على دعوة أهل الكوفة. مضافاً إلى علم الإمام عليه السلام بما سيؤول إليه أمر الكوفة ودعوتهم، وهي نهاية لم تكن من الخفاء بحيث يصعب على الإمام عليه السلام معرفتها، بل إن جميع النصحاء أخبروا الإمام عليه السلام بما سيفضي إليه أمر الخروج، ومع وجود هذا القطع في الرؤية عند الإمام عليه السلام - وعند غيره أيضاً - لا

(١) الصالحى النجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد الحسين بن علي: ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): ج ٤، ص ٢٩٧.

(٣) الصالحى النجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد الحسين بن علي: ص ١٠٢-١٠٣.

يمكن لأيّ قائد أن يكون العامل المباشر في خروجه مستنداً إلى هذه الدعوة فقط .
ولكن قد يقال: إنّ وجود دعوة للإمام عليه السلام هي حجّة عليه توجب قيامه؛ إذ قد
يؤاخذ على تركه القيام؛ لعلمه بالخواتيم بأنّه يمثل تركاً للأمر مع توافر عناصره،
فالدعوة حجّة عليه عليه السلام للزوم تلبية الأمر، وقيامه حجّة على مَنْ دعاه لئلا يتعلّل بعدم
قيامه عليه السلام لاحقاً، حتّى وإن كان الدعاة غير موثوقين وغير جادّين في ذلك .
وأما مسألة علم الإمام عليه السلام بأنّ هذه النصرة لن تتحقّق سواء أكان ذلك لخدلان،
أم لتضييق، أم لقتل، فإنّ الكوفة عانت قبل وصول الإمام عليه السلام على مشارفها من حملة
اغتيالات ابتدأت بمسلم وهانئ، وحبس وتعذيب لكثير من قادة الشيعة وزعمائهم،
أمثال: سليمان بن صرد، والمختار، وغيرهما، فلا يمكن القول - على نحو الكلية - بأنّ
الكوفيّين نقضوا عهودهم، بل الأصح أن أحوال الكوفة قد تبدّلت، وظهر المنافقون
فيها، وهو ما أدّى إلى هذه النتيجة، وإلا فقد كانت لرجالات الكوفة البارزين
والشيعة وقفة صادقة وثابتة في نصرة الإمام عليه السلام . وعليه؛ فإنّ لمقولة: «قيام الحجّة
بوجود الناصر»^(١) دوراً في تحرّك الإمام عليه السلام .

ولهذا؛ يمكن أن تُعدّ دعوة الكوفيّين - من هذا الوجه - العامل والسبب المباشر
في تحرّك الإمام عليه السلام، ولا يؤثّر علم الإمام عليه السلام بعدم تحقّق النصرة فعلياً؛ وذلك:
١- إمّا لكون مسألة علم المعصومين عليهم السلام بمآلات الأمور لا تمنعهم من التصرّف
بمقتضى الظاهر، «فلا منافاة في أن يعلم النبي صلى الله عليه وآله بمصير معركة أحد، لكنّه في مقام
الإقدام والعمل لا يتصرّف إلاّ كقائد عادي... كما أنّ الإمام عليه السلام - أيضاً - قد توقّع
ما تؤول إليه الأوضاع في ثورته المقدّسة، وكان عالماً بأنّ النصر العسكري لن يكون
حليفه...»^(٢). ومع هذا؛ فالمعصوم عليه السلام لا تتنيه معرفة مآلات الأمور - بها أعطاه

(١) نهج البلاغة: ص ٥٠ .

(٢) الصافي الكلبايكاني، لطف الله، النهضة الحسينية وعلم الإمام: ص ١٣٩ .

الله تعالى من اطلاعٍ على الغيب - عن الإقدام والتحرّك بمقتضى الواقع الخارجي، وإلاّ لو اعتمد المعصوم «في إدارة الحرب على الوحي وعلم الغيب، فيحارب متى رأى النصر، ويجتنب الحرب متى علم الهزيمة، ويرسل إليه كلّ من لا يُقتل، ويجنبها من يُقتل، هذا المنهج ينافي مصلحة بعثة الرسل وتربية المجتمع»^(١).

٢- وإمّا لأنّ أهل البيت (عليهم السلام) - مع علمهم، ومع ما يملكون من اطلاع على الغيب، بما أعطاهم الله سبحانه من علمه - لا يجزمون على الله سبحانه بشيء، فعلمهم الغيبي محكوم بالإرادة والمشئة الإلهيتين، «فهو مفتوح على جميع الاحتمالات، وقابل للتغيير والتبديل، فلا ينبغي الاستسلام لتنتائج، بل لا بدّ من مواصلة المسير، والعمل بالوظائف والتكاليف التي تتناسب مع عالمنا، ويبقى بيد الله تعالى إمكانية التبديل والتغيير»^(٢).

ويشهد لهذا الأمر - كما يرى أصحاب هذا الرأي - ما رواه ابن شهر آشوب في (المناقب) عن مسير الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق؛ إذ يقول: «فلما نزل (شقوق) أتاه رجل فسأله عن العراق، فأخبره بحاله، فقال: إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء، وربّنا تبارك كلّ يوم في شأن، فإن نزل القضاء فالحمد لله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من الحقّ نفيه»^(٣).

وعلى الرغم من اختلاف النتائج بين هذين الرأيين في طبيعة علم المعصوم - ولا يعنينا تفصيل ذلك - فإنّ بينهما قدراً جامعاً يقوم على أنّ علمهم (عليهم السلام) لا يؤثّر في مسيرة الأحداث وطبيعتها، فلا مورد للشبهات التي تتمحور حول إشكالية التحرك والعلم الغيبي.

كما أنّ الانتصار العسكري - لو فرض كونه مراداً - لا يمثّل الهدف والغاية الوحيدة للإمام (عليه السلام)، بل إنّ هناك عدّة غايات وأسباباً أخرى للنهضة الحسينية، ولعلّ

(١) المصدر السابق.

(٢) التميمي، قيصر، الأهداف والمبادئ الأساسية لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٤١.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٦.

إصلاح المجتمع الإسلامي هو الهدف الأكثر أهمية، والإمام عليه السلام بعلمه يُدرك أنه سيتحقق هذا الهدف بخروجه وتحركه، كما أنه بعلمه الغيبي يُدرك سر الشهادة في هذه البقعة، وما يترتب على ذلك من آثار مرجوة، الأمر الذي لا ندرك حقيقته واقعاً. وعليه؛ يمكن القول: إن دعوة أهل الكوفة تتضمن مراتب من الأهداف التي ستتحقق على إثرها الغايات المطلوبة للإمام عليه السلام، فإن تم الأمر وانتصر الإمام عليه السلام فقد تحققت الغاية، ولو استشهد على إثر هذه الدعوة فسيتحقق الهدف كذلك.

الآخرة: بقي في هذا القول أن نقف عند مقولة: إن «نسبة الخطأ والاشتباه إلى مسلم يعني التشكيك في حسن انتخاب الإمام عليه السلام، وهذا أمر يتنافى مع عصمته عليه السلام»^(١). فهنا أمران:

١- لا تلازم بين القول بخطأ مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) وبين الخدش بعلم الإمام عليه السلام وعصمته؛ فإنه بعد الفراغ من عدم وجود معصوم سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإن جميع البشر قابلين للوقوع في الخطأ والاشتباه، غاية الأمر تتفاوت نسب الوقوع فيهما من شخص إلى آخر. ومسلم (رضوان الله عليه) في أقصى درجات التحرّز من الوقوع في الاشتباه، إلا أن ذلك لا يمنع من وقوعه فيه، والإمام عليه السلام عالم بهذا الأمر، غير خافٍ عنه، فهو من البداية لم يكلف معصوماً، وبما أنه غير معصوم فوقوع الخطأ منه غير ممتنع. ولا ينافي ذلك حسن اختيار الإمام عليه السلام؛ لأن الإمام عليه السلام قد اختار الأفضل من غير المعصومين.

٢- وليس هناك تشكيك في مواقف مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه)، بل التشكيك في أهل الكوفة وعزمهم، أو التشكيك في قدرتهم؛ ولذا فإن مسلماً لما كتب إلى الإمام عليه السلام: «أن أقبل...»، كان وضع الكوفة آنذاك مطابقاً لتشخيصه فيما أخبر به الإمام عليه السلام، ولما تبدّل الحال فإنه لم يتوان عن إبلاغ الإمام عليه السلام بذلك لولا أن حالت

(١) الصالحى النجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد الحسين بن علي: ص ١٠٢ - ١٠٣.



الأوضاع دون وصول رسائله إلى الإمام عليه السلام؛ فيروي الشيخ المفيد رحمته الله في (الإرشاد): أن مسلماً بعد أن وقع في أيدي القوم بفعل الخديعة، وما كان من أمر محمد بن الأشعث بإعطائه الأمان، قال له مسلم (رضوان الله عليه): «يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أمني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً... ويقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم... ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة... فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن»^(١).

الرؤية الثالثة

تقوم هذه الرؤية على أن دعوة أهل الكوفة لعبت دوراً في قيام النهضة الحسينية، إلا أنه دور فرعي ثانوي في حصول التحرك والنهضة؛ إذ إن الإمام الحسين عليه السلام كان قد بدأ تحرّكه في أوائل حكومة يزيد، عندما خرج من المدينة متوجّهاً إلى مكة، ومن المعلوم أن مكة - مضافاً لموقعيتها الأمنية؛ إذ هي الحرم الإلهي الذي يوفر الأمن والفضل - مكانة ومركزية اجتماعية؛ إذ يجتمع المسلمون فيها، وهو ما يشكل ثقلًا سياسياً في معارضة الإمام عليه السلام للسلطة، ودعوته الناس^(٢).

إن أهل الكوفة أرسلوا بكتبهم بعد أن علموا عزم الإمام الحسين عليه السلام على النهضة، والدليل على ذلك ما ذكره الطبري بقوله: «ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية، وامتناع الحسين عليه السلام... عن البيعة، أرففوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين عليه السلام إلى مكة، وكتبوا إليه...»^(٣).

يضاف إلى ذلك أن جميع المصادر تؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه قد علموا وهم في طريقهم إلى الكوفة بتبدل حالها، ونقض كثير من أهلها لعهودهم،

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٥٩-٦٠.

(٢) أنظر: مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية ٢: ٣٤٨-٣٤٩.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٠.

فلو كانت دعوة الكوفيّين هي السبب المباشر لخروج الإمام عليه السلام لعزم الإمام عليه السلام على العودة بعد انتفاء الداعي للخروج. بل إنّ بعض كلمات الإمام عليه السلام تتضمن نصوصاً صريحة بأنّ أهل الكوفة سينكثون العهد، كما في جواب الإمام عليه السلام أحدهم: «هذه كتب أهل الكوفة إليّ، ولا أراهم إلّا قاتلي...»^(١). وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تُجبر بها الإمام عليه السلام عن مقتله في كربلاء، وهي بمجموعها تشكّل قرائن كثيرة لعدم كون دعوة أهل الكوفة السبب الفاعل في خروج الإمام عليه السلام، وأقصى ما يمكن إثباته أنّ لدعوتهم دوراً ثانوياً في النهضة الحسينية.

وملاحظ أنّ هذه الرؤية تتنافى مع الرؤية الأولى جملة وتفصيلاً، فلا يمكن التوفيق بين هاتين الرؤيتين؛ فتلك تركز على أنّ خروج الإمام عليه السلام كان تلبية لدعوة الكوفيّين، ولولا ذلك لما خرج، وأنّه لو بقي في المدينة ولم يستجب لهم لكان خيراً له، وهو الأمر الذي حثّه عليه غير واحد من النصحاء، كما تقدّم بيانه.

وكذا الحال - ظاهراً - في العلاقة بين هذه الرؤية - التي تؤكد الدور الثانوي لدعوة الكوفيّين - والرؤية الثانية التي ترى أنّ دعوة الكوفيّين سبب مباشر في خروج الإمام عليه السلام، إلّا أنّه يمكن الجمع بين هاتين الرؤيتين بالقول: إنّ الرؤية الثانية تدرس العوامل الظاهرية لخروج الإمام عليه السلام، ولا شك أنّ لدعوة أهل الكوفة تأثيراً مباشراً فيها، حتّى مع علم الإمام عليه السلام بالمآلات، إلّا أنّ الإمام عليه السلام - كما تقدّم - يتعامل مع الظواهر الخارجية معاملة تتناسب وواقعها، وقد عبّر الإمام عليه السلام عن ذلك مصرّحاً بأنّه لا بدّ من الاستجابة لدعوة أهل الكوفة؛ لأنّها حجّة عليه؛ فقد قال عليه السلام: «هذه كتبهم ورسولهم، وقد وجب عليّ المسير لقتال أعداء الله»^(٢).

أمّا الرؤية الثالثة، فندرس النهضة الحسينية من زاوية أخرى ترتبط بنحوين من التعامل مع دعوة أهل الكوفة من قبل الإمام عليه السلام: التعامل الظاهري، والتعامل

(١) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله، تذكرة الخواص: ص ٢١٦.

الواقعي. فهو عليه السلام يستجيب لهم على نحو الظاهر، ويظهر من تحرّكه وإرسال رسله إليهم أنّهم السبب في خروجه، وهو تعامل صحيح. أمّا في الواقع فإنّ الإمام عليه السلام عالم بما وراء هذه الدعوة، يعلم بما سيؤول إليه مصيره عليه السلام، فليست دعوة أهل الكوفة في أفضل أحوالها - من هذه الحيثية - إلّا عاملاً ثانوياً في الانتهاء إلى الغاية المطلوبة. وعلى هذا؛ فإنّه لا تنافي في الواقع بين الرؤيتين، الواقعية المرتبطة بعلم الإمام عليه السلام من جهة، والظاهرية التي يتعامل عليه السلام بها مع الظاهر في إطار معطياته من جهة أخرى، وكلتا الرؤيتين صحيحة؛ لاختلاف جهة النظر والتحليل فيما بينهما.

الخاتمة

ومن خلال ما تمّ بحثه وتحليله في فلسفة أسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام يمكن القول: أنّ فهم الأسباب لا يتمّ إلّا من خلال النظر في كافّة الأبعاد المرتبطة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام؛ باعتباره إماماً له مهامّ أهمّها حفظ الدين بالصورة التي يراها ويشخصها بعلمه الغيبي، وكذلك دراسة الأبعاد المرتبطة بالظروف التاريخية والمتغيّرات آنذاك، فهي بمجموعها تشكّل فهماً سليماً لفلسفة الأسباب، وأنّ أيّ دراسة أحادية لبعد دون آخر، ولسبب دون غيره، قد تواجه كثيراً من الإشكالات والإيرادات.

وقد تمخّض عن هذا القسم من الدراسة نتائج متعدّدة، أهمّها:

١. لم يكن الإمام الحسين عليه السلام ليركن إلى بيعة يزيد بأيّ حال من الأحوال؛ لما يترتّب على ذلك من مفساد، وهدم للدين بكلّ مفاصله، وإعطاء الشرعية لمبدأ التوريث في الحكم دون معايير لذلك إلّا النسب.
٢. لا يمكن الجزم بتحقيق ثورة الإمام الحسين عليه السلام فيما إذا لم تُطلب منه البيعة، فلا يمكن إثبات التحرك استناداً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقط دون طلب البيعة؛ لأنّ القاعدة لا تُحدّد صيغة الأمر الخارجية، فالذي يُحدّد ذلك هو ظروف

الآمر نفسه، والظروف المحيطة به.

ولا يمكن نفي الخروج لو لم تُطلب منه عليه السلام البيعة أخذاً بمبدأ التقية، وأن البيعة مطلقاً سبب من أسباب الوهن للدين التي لا تقبل فيها التقية؛ لعدم التسليم بهذه القاعدة الكلية. نعم، ممّا لا خلاف فيه أنّ بيعة يزيد تستلزم ذلك، ولا يمكن قبولها، ولكن لو ترك الإمام عليه السلام ولم تُطلب منه البيعة، فلا جزم بعدم قيامه بالأمر.

٣. تُعدّ دعوة الكوفيّين وكتبهم من الأسباب الظاهرية في خروج الإمام عليه السلام، وقد اختلفت الأقوال في مدى تأثيرها على رأيين:

الأول: أنّ لها كامل التأثير، ويتفرّع عن هذا الرأي قسمان: يؤمن أولهما بتأثير هذه الدعوة التامّة، وأتمّها السبب في الخروج، مع عدم الإيمان بالإمامة بمعناها الخاصّ المستلزم للعلم والعصمة. بينما يؤمن الثاني بتأثيرها المباشر، مع الإيمان بالإمامة بمعناها المتقدّم، مع توجيه لعلم الإمام عليه السلام في هذه الحال بأنّ علمه بالخواتيم لا أثر له في الأحداث ونتائجها، مثل علم النبي صلى الله عليه وآله بما سيؤول إليه الأمر في معركة أحد، ولكنّه صلى الله عليه وآله - مع ذلك - لم يمتنع عن الخروج.

الثاني: ليس لدعوة الكوفيّين التأثير المباشر في قيام الإمام عليه السلام بناء على أنّ قرار الخروج قد اتُّخذ قبل وصول الكتب من أهل الكوفة.

وعلى أيّ حال، يبقى البحث مفتوحاً لقراءات أكثر عمقاً لكلّ سببٍ من هذه الأسباب، ودراسة تفصيلاتها وفروعها وشواهداها ومصاديقها.

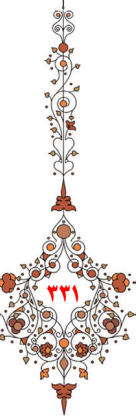
المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

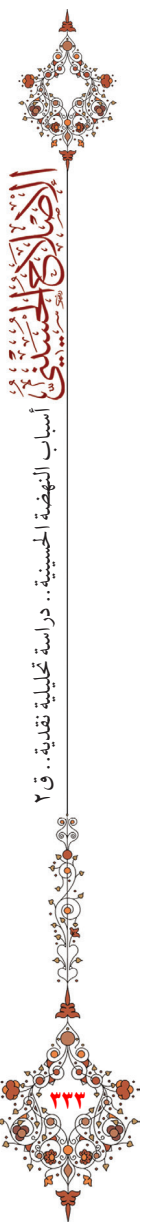
١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري

البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق

التراث، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.



- ٢ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٣ . الأمالي، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٤ . الإمام الحسين بن علي عليه السلام، د. محمد بيومي مهران، الناشر: السيد محمود المير هندي، مطبعة السفير، إصفهان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٥ . الأهداف والمبادئ الأساسية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، قيصر التميمي، مؤسسة وارث الأنبياء، النجف، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.
- ٦ . البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٧ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.
- ٨ . تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت.
- ٩ . تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٠ . تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي الحراي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ١١ . تذكرة الخواص، يوسف بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: د. عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ١٢ . ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد، محمد بن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.



- ١٣ . الخروج، فؤاد حران الشويلي، دار الرافد، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ.
- ١٤ . سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: حسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- ١٥ . الشهيد الخالد، نعمة الله صالح، ترجمة: د. سعد رستم، دار الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ١٦ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٧ . الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- ١٨ . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ١٩ . كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دار الهادي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠ . كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤٠٥هـ.
- ٢١ . اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى المعروف بابن طاووس، أنوار الهدى، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.

- ٢٢ . مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.
- ٢٣ . مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
- ٢٤ . الملحمة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهري، آينده درخشان، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- ٢٥ . مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٧هـ.
- ٢٦ . نهج البلاغة، خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جمع: الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ٢٧ . النهضة الحسينية وعلم الإمام، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، ترجمة: د. خالد السيساوي ونبيل يعقوبي، مؤسّسة وارث الأنبياء، النجف، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

المجلات المواقع الإلكترونية

- ٢٨ . مجلّة الإصلاح الحسيني، مؤسّسة وارث الأنبياء، النجف، السنة الثالثة، العدد الحادي عشر، ١٤٣٦هـ.
- ٢٩ . موقع المنير: <https://almoneer.org/?act=artc&id=714> (لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام بينما صالح الإمام الحسن عليه السلام، السيّد منير الحنّاز).



لَمَّا خَرَجْتُ طَلَبَ الْإِصْلَاحَ فِي مُتَشَرَّجِي

الْإِصْلَاحُ الْحَسَنِيُّ

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَّهْضَةِ الْحَسَنِيَّةِ وَأَفَاتِهَا الْفِكْرِيَّةِ